رواية

عن النمل والديناصورات

ليو تسي شين

مكتبة

ترجمة : يارا المصري

إهداء لـ..

بطلة شجرتي .. شجرة البرتقال الرائعة

هذا كتاب جيد يعطلك عن الدراسة

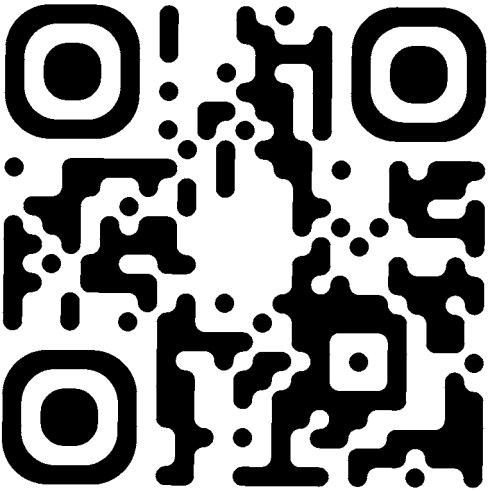

سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

عن النملِ والديناصورات

ليو تسي شين

Author: 刘慈欣

白垩纪往事

© Copyright

Translated from Chinese by:
Yara ElMasri

Book and Cover Design:
Sarwar Murad

Cover Illustration:
Basel Barakah

ترجمها عن الصينية:
يارا المصري

تصميم الغلاف والإخراج الفني:
سرور مراد

لوحة الغلاف:
باسل بركه

الطبعة الأولى | سبتمبر 2024

ISBN: 978-9921-712-84-1

رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية - دولة الكويت:

1526-2024

OF ANTS AND DINOSAURS by Cixin Liu

Copyrights © 2004 by Liu Cixin (刘慈欣)

B&R Book Program

Arranged with Chongqing Publishing House Co., Ltd. (重庆出版社有限责任公司)

Arabic translation rights © 2023 by FT Culture (Beijing) Co., Ltd. (北京漫传奇文化传播有限公司)

حقوق هذه الترجمة ونشرها والاقتباس باللغة العربية محفوظة للناشر

© Alkhan Publishing & Distribution

دار الخان للنشر والتوزيع

+965 99462291 / +965 51088000

@DarAlkhan_kw

info@daralkhan.com

مكتبة

t.me/soramnqraa

رواية

مكتبة
t.me/soramnqraa

عن النملِ والديناصورات

ليو تسي شين

ترجمة

يارا المصري

Author: 刘慈欣

白垩纪往事

الخيالُ والعِلم
النملُ والديناصورات كاستعاراتٍ للبشر

في روايته القصيرة "عن النمل والديناصورات" يتحدَّثُ الكاتبُ ليو تسي شين عن أواخرِ العصر الطباشيري، أي قبلَ ملايين السنين، في قصةٍ تبدو في ظاهرها عن النملِ والديناصورات، وعن خلقِهما لحضارتين مزدهرتين، ويصفُ الفكرةَ بجديَّة، مستخدماً النوعين كاستعارتين ربما لما حدث في الماضي من خَلْقٍ وازدهارٍ وانهيارٍ لحضاراتٍ بأكملِها، وأيضاً يربطُ القصةَ الخيالية بقضايا من الوقتِ الحاضرِ مثل التلوثِ البيئي والأسلحةِ النووية. الأمر الذي يعني أنَّ أدبَ الخيال العلمي قد يكون استشرافاً للمستقبل، وقد يكون كذلك تحذيراً من مآل الأرض كلها إلى الفناء، وهذا ممَّا نراه ماثلاً أمامنا، مع وجود الترسانات النووية في الغرب والشرق.

وإن كانت الفكرةُ في ظاهرِها بسيطة، فإنَّ الكاتبَ سردَها بطريقةٍ ذكيةٍ، مرحةٍ، مثيرةٍ للتفكيرِ والتأمُّل، إذا ما أردنا أن نحلِّقَ بأفكارِنا وراءَ الحكاية، التي يسألُ فيها الكاتب أو يثيرُ سؤالَ الحضارةِ والحرب. أو كما أشارت إحدى مراجعات الكتاب إلى أنَّ الرواية: "قصةٌ رائعة يمكنُ رؤيتُها كأسطورةٍ للإنسانية، أو كتحذيرٍ بيئي، أو كنقدٍ للرأسمالية، أو من أي منظورٍ آخرَ ترغبُ في استخدامِه".

إنَّ القصة عن ذكاء الكائنات الذي يخلقُ الحضارة، ممَّا يعني أنَّ هذا الذكاءَ قوةٌ على الأرض، لكنه في الوقتِ ذاته، قد يكون هشاشةً تقضي على كلِّ شيء. ويشيرُ ذلك أيضاً إلى هشاشةِ الأرض في الكون، أو كما يقول الكاتب ليو تسي شين: "في الخيال العلمي، الأرضُ مجردُ ذرةٍ غبار في

الكون، ونحن جميعاً نعيشُ على هذا الغبار." وفي استعارةٍ ما: نحن غبارٌ يعيشُ على غبار.

ولمَّا كان هذا الكتابُ تجربتي الأولى في ترجمةِ أدبِ الخيال العلمي لكاتبٍ من أهمِّ كُتَّابِه في الصين، رأيتُ أنَّه من المناسبِ تقديمُ نبذةٍ قصيرةٍ عن تاريخِ هذا الأدبِ في الإبداع الصيني:

انتشرَ أدبُ الخيالِ العلمي في الصين من خلال ترجمة أعمال المؤلفين الغربيين في أواخر أسرة تشينغ على أيدي مفكرين مثل "ليانغ تشي تشاو" و"كانغ يو وي". وكتبَ لوشون، وهو من أهمِّ الكُتَّابِ في الصين، في مقدمةِ ترجمتِه لرواية جول فيرن "من الأرض إلى القمر" عن أدبِ الخيالِ العلمي: "إنَّ الخيالَ العلمي نادرٌ مثل قَرْنَي الكيلين، ويكشف بطريقةٍ ما عن الفقر الفكري لعصرنا".

روايةُ الخيالِ العلمي الهامةُ الأخرى، التي يعتبرُها الكثيرون "أوَّلَ روايةِ خيالٍ علميٍّ حقيقيةٍ في الصين" بعنوان "مستعمرةُ القمر" لمؤلفٍ مجهول، يُعرَفُ فقط باسمِه المستعار، "هوانغ جيانغ دياو سو"، وتحكي قصةَ صيني يسافرُ حولَ العالَم باستخدام المنطاد. وكان الغرضُ من كلِّ هذه القصص في تلك الأوقات بسيطاً، لنشرِ العِلم وإثارةِ الخيال.

ومنذ بدايةِ تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٦٦، عاد أدبُ الخيالِ العلمي إلى الظهور. وفي الخمسينيّات نُشِرَت رواية "رحلةٌ مُسرنم في المجموعةِ الشمسية A Tour of the Solar System" للكاتب "تجانغ رِنّ" و"من الأرض إلى المريخ" للكاتب "تجينغ وِن غوانغ"، التي تحكي عن ثلاثةِ مراهقين صينيين سرقوا مركبةً فضائيةً وانطلقوا في رحلةٍ إلى المريخ.

في عام ١٩٦٦، بدأت الثورةُ الثقافيةُ الصينية، واستمرت عشرَ سنوات، وخلالَها طالَ الركودُ جميعَ المجالات، وفُرِضَت القيودُ على المجالِ الأدبي في الصين بما في ذلك ترجمةُ الأدبِ الأجنبي. لذا لم

يزدهر أدبُ الخيالِ العلمي في الصين إلَّا في السبعينيات، خلال حكم دينغ شياو بينغ، رغم أنَّ ذروةَ ازدهارِه كانت قصيرة. والروايةُ الأولى التي نُشرَت في هذه الفترة وحقَّقت مبيعاتٍ وصلت إلى مليون ونصف المليون نسخة في طبعتها الأولى، هي رواية "جولة المُتعالِم الصغير في المستقبل" Little Know-It-all Travels the Future للكاتب الصيني "يي يونغ لِيَ". كما تأسَّسَ في هذه الفترة العديدُ من المجلات ونوادي المهتمين بأدبِ الخيالِ العلمي. ومن أهم هذه المجلات "أدبُ العلوم"، التي تأسَّست عام ١٩٧٩، واستمرت من ذلك العام حتى الآن تحت اسم "عالَمُ الخيالِ العلمي".

لم يشهد أدبُ الخيالِ العلمي عصرَه الذهبي في الصين إلَّا في أوائل التسعينيات، والممتد إلى الآن، بانتشارِ أعمالِ لكُتَّابٍ عاشوا خلالَ الثورةِ الثقافية، أو ولدوا خلالها ومن أهمهم: "خان سونغ" و"ليو تسي شين." ومن الكُتَّاب الشباب "تشين تشيو فان".

وُلِدَ الكاتب ليو تسي شين مؤلفُ هذه الرواية، عام ١٩٦٣ في بكين، ثم انتقل مع والديه إلى "يانغ تشوان" في مقاطعة شانشي. تخرج في جامعة شمال الصين للموارد المائية والطاقة الكهربائية عام ١٩٨٨، وعمل مهندسَ كمبيوتر في محطةٍ للطاقة في مقاطعة شانشي. وعن علاقةِ الكتابةِ بالبيئةِ المحيطة، وخاصةً أنَّ شانشي أرضٌ غنيةٌ تاريخيّاً، وكانت كذلك خلفيةً لأعمالٍ أدبيةٍ كثيرة، يقول ليو تسي شين: "أعتقدُ أنَّ كاتبَ الخيالِ العلمي لا يكونُ بالضرورةِ على علاقةٍ مباشرةٍ بالبيئةِ المحيطة. آرثر كلارك، أحدُ عمالقةِ الخيالِ العلمي الثلاثةِ المعترف بهم عالميّاً بريطاني، لكنَّه كتبَ معظمَ أعمالِه في قريةِ صيدٍ صغيرةٍ في سريلانكا. وفي المجتمع الحديث المميز بتكنولوجيا المعلوماتِ المتقدمة، يواجه الكُتَّاب في الواقع بيئاتٍ مماثلةً سواء في شانشي أو في المدنِ الكبرى".

ليو تسي شين حاصلٌ على "جائزة جالاكسي للخيال العلمي" في الصين تسعَ مرَّات، من عام ١٩٩٩ إلى عام ٢٠٠٦. وحاصل على جائزة هوغو عام

٢٠١٥ عن روايته "معضلةُ الأجسامِ الثلاثة"، والتي تُعَدُّ الجائزةَ الرائدةَ في مجالِ الخيالِ العلمي، وهو العملُ المترجمُ الأوَّلُ الذي يفوز بهذه الجائزةِ المرموقة.

ومن أعمال الكاتب إلى جانب "معضلة الأجسام الثلاثة"، الرواية القصيرة "الأرض المتجولة"، رواية "الصين ٢١٨٥"، القصة القصيرة "مُعلم القرية" وغيرها.

لقد قاد الخيالُ العلمي العِلمَ، والعلمُ يقودُ التكنولوجيا التي تقودُ بدورِها البشرَ إلى مستقبلٍ لا يعرفُ أحدٌ كيف سيكونُ بعد مئةِ عام، لكن ليو تسي تشين يقول للبشر بعد مئة عامٍ في رده على سؤالٍ صحفي:

- "آمل أن يتمكنوا من تجاوز جيلنا، سواء في حياتِهم أو إنجازاتِهم أو في نطاقِ حياةِ الإنسان في عصرهم، إلى ما هو أبعد بكثيرٍ من خيالِ جيلنا من كُتَّابِ الخيالِ العلمي. هذا هو أملي لهم، وأعتقد أنَّ هذا ما سيكون."

أنوِّه أخيراً بأنَّني وفي سياق عملي على ترجمة هذه الرواية من اللغة الصينية إلى اللغة العربية، كنت أتواصل مع وكيل الكاتب لتدقيق بعض المصطلحات العلمية كما هي في النص الأصلي والترجمة الإنجليزية، إضافةً إلى ملاحظات أخرى متعلقة بالترجمة، وكان ذلك بموافقة المؤلف، فله ولوكيله الشكر. وأشكرُ كذلك زملائي المترجمين: هشام فهمي، نادر أسامة، وأحمد سمير سعد لتوضيحِهم بعضَ المفرداتِ العلمية المتخصصةِ والمتعلِّقةِ بالديناصورات.

يارا المصري

مكتبة
t.me/soramnqraa

مكتبة
t.me/soramnqraa

مقدمة

لو ضُغِطَ تاريخ الأرضِ كاملاً في يوم واحد، لعادلت الساعة ٢٠٠ مليون سنة، ولعادلت الدقيقة الواحدة ٣,٣ مليون سنة، والثانية الواحدة ٥٥٠٠٠ سنة.

بزغت الحياة في الساعة الثامنة أو التاسعة صباحاً، لكنَّ الحضارة الإنسانية نشأت فقط في العُشر الأخير من الثانية الأخيرة من ذلك اليوم. بدايةً من المناظرةِ الأولى بين الفلاسفة أمام المعابد اليونانية القديمة، ومن وضعِ العبيد حجر الزاوية الأول للأهرامات، ومن قبولِ كونفوشيوس أوّل تلاميذه على ضوءِ الشموع في كوخٍ مسقوفٍ بالقش، إلى لحظةِ فتحِكَ الصفحةَ الأولى من هذا الكتابِ اليوم، سينقضي عُشر من تكة عقرب الثواني فحسب.

وفي الساعات العشر التي سبقت عُشرَ الثانية تلك، ماذا كانت تفعلُ الحيوات على الأرض؟ هل كانت تسبح، تركض، تتزاوج، تتكاثر وتنام فحسب؟ هل ظلّت عقولها بلهاء لمليارات السنين؟ على الفروع التي لا حصر لها من شجرة التطور، هل فرعُنا الصغيرُ هو فقط مَن يشعُّ بنورِ الحكمة؟ بالطبع لا. لكن ليس من السهل أن تنمو براعم الحكمة لتصبحَ حضارات كبرى، إذ يتطلبُ ذلك استيفاءَ العديد من الشروط دفعةً واحدة، وهذه مصادفة نادرة. الذكاءُ الناشئ مثل شعلة صغيرة في البرية، يمكن أن يخمدها نسيم لطيف يهبُّ من أي اتجاه، حتى لو أشعلت الأرض البرية حولها، فسرعان ما ستعرقلها مساحة صغيرة من الفضاء المفتوح أو جدول صغير، وفي النهاية ستخمد في صمت. حتى لو انتشر اللهب أخيراً وتحول إلى حريق هائل، فمن المحتمل أن تخمدهُ عاصفة ممطرة. باختصار، احتمالٌ ضئيل جدّاً أن يشتعلَ هذا اللهب ويتحول إلى حريق براري. يمكننا أن نتخيل

أنه عبر التاريخ الطويل للتطور، كان الذكاء الناشئ يومض ويختفي في ليالي العصور القديمة الطويلة مثل يراعات صغيرة.

قرابة حوالي الساعة ٢٣:٤٠ على هذا اليوم من أيام الأرض، الذي يبعد عنا حوالي عشرين دقيقة، انبثقت شعلتا ذكاء على الأرض.

هذه العشرون دقيقة ليست قصيرة، فهي تعادل أكثر من ستين مليون سنة، حقبة بعيدة جدّاً حقّاً إلى درجةٍ لا يُمكنُكَ تخيلها. لن يظهر أسلاف البشرية إلا بعد عشرات الملايين من السنين، وحينها، لم يوجد بشرٌ، حتى شكل القارة كان مختلفًا تماماً عن شكلها اليوم: كانت أواخر العصر الطباشيري حسب المقياس الزمني الجيولوجي.

في ذلك الوقت، عاشَ على الأرض حيوانٌ ضخم يُسَمَّى الديناصور. تنقسمُ الديناصورات إلى أنواعٍ عدة، معظمها ضخم الحجم، يزنُ أثقلُها ثمانين طنّاً، أي ما يعادل وزنَ ثمانمئةِ شخص، ويفوقُ طولها ثلاثين متراً، أي بارتفاعِ مبنىً من أربعةِ طوابق. كانت قد عاشت على الأرض سبعينَ مليون سنة، أَي إنَّها ظهرت على الأرض منذ أكثر من مئة مليون سنة. ومقارنة بمئات الآلاف من السنين التي عاشها البشر على الأرض، فإنَّ سبعينَ مليون سنة حقّاً فترة طويلة جدّاً. خلال فترة طويلة كهذه، إذا توالى هطول الأمطار في المكان نفسه، فقد تتغلغل المياه في الأرض؛ إذا استمر هبوب نسيم لطيف على الجبل ذاته، فقد يؤدي إلى تسويته. إذا استمرت الأنواع في التطور، بغض النظر عن مدى غبائها، فإنها ستصبح ذكية، وهكذا أصبحت الديناصورات في النهاية أذكى: اقتلعت الأشجار الكبيرة، شجرةً تلو الأخرى، وجردتها من الأغصان والأوراق، وتركت الجذوع فقط، ثم استخدمت الخيزران لربط حجر كبير فوقها. إذا كان الحجر مستديراً أو مربعاً، فهو مطرقة كبيرة (يمكن لهذه المطرقة تسطيح إحدى سياراتنا بضربة واحدة)، وإذا كان حجراً مسطحاً، فهو مجرفة كبيرة، وإذا كان مدبباً، فهو رمحٌ كبير! تترك الديناصورات حين صنع الرمح جزءاً من الأغصان والأوراق على قمة الشجرة لاستخدامها ذيلاً لاتزان طيران الرمح، الذي قد يكون ارتفاعه أكثر من عشرة أمتار، ويطير مثل

قنبلةٍ غير موجهة*. كوَّنت الديناصورات قبائل بدائية، وعاشت في كهوف ضخمة حفرتها بنفسها. كما تعلمت استخدام النار، واحتفظت بشراراتِ البرق، واستخدمتها لإضاءة كهوفها الضخمة أو طبخ الطعام. قد تكون الشموع المُضاءة عبارة عن أشجار صنوبر كبيرة بسمك عدةِ أذرع! حتى إنها كتبت على جدران الكهوف بجذوعِ أشجارٍ متفحمة، وبمجرد خطوطٍ بسيطة، سجّلت كم بيضة وضعت البارحة، وكم بيضة فقست ديناصوراتٍ صغيرة اليوم. والأهم من ذلك، أنَّ الديناصورات اكتسبت بالفعل لغة بسيطة، وقد تبدو محادثاتها لنا مثل صفير القاطرات.

في الوقت نفسه، انبثقت براعم الذكاء عند نوع آخر على الأرض أيضاً: النمل. ومثل الديناصورات، مرَّ النملُ بحلولِ ذلك الوقت بطورِ تطورٍ طويل. بنى النمل مدنه الخاصة في مختلف القارات، والتي كانت إمَّا أبراجاً بأعداد كبيرة أو متاهات معقدة تحت الأرض. يفوق حجم مجتمعات النمل مجتمعاتِ الديناصورات، إذ يوجد العديد من الممالك المكونة من مليارات النمل، وهذه المجتمعات الضخمة لها هياكل معقدة وصارمة تعمل بإيقاع دقيق كالآلات. يتواصل النمل مع بعضه من خلال الفيرمونات، ويمكن لجزيئات الرائحة الشديدة التعقيد والحساسية أن تنقل معلومات معقدة، وقد منحت النمل لغة أكثر تطوراً من لغة الديناصورات.

مع أنَّ فجر الذكاء بزغَ بين المخلوقين العظيم والصغير على الأرض، فإنَّ كلاً منهما اتسمَ بعيوبِه القاتلة، وواجها عقبات مستعصية في طريقه إلى الحضارة.

أكبرُ عيوب لدى الديناصورات افتقارها إلى يدين مرنتين. مخالبها سميكة وخرقاء، رغم امتلاكها قوة ساحقة في القتال (على سبيل المثال، ثمة ديناصور يسمى دَينونيكس Deinonychus، لديه مخالب حادة كالسيوف،

---

* القنبلة غير الموجهة والمعروفة أيضاً باسم قنبلة السقوط الحر، أو قنبلة الجاذبية، أو القنبلة الغبية، أو القنبلة الحديدية، هي قنبلة تقليدية أو نووية محمولة بالطائرات ولا تحتوي على نظام توجيه.

وتُستخدم على وجه التحديد لبَقر بطن الديناصورات الأخرى)، وبوسعها صنع أدواتٍ بدائية، لكنَّها من المستحيل أن تُجري عمليات دقيقة، أو تصنع أدوات معقدة، أو تكتب كتابة معقدة، فالبراعة اليدوية شرط أساسي لنشأة الحضارة، فقط بهذه الأيدي يمكن تشكيل حلقة مثمرة بين تطور الفكر وأنشطة البقاء.

النمل، من ناحية أخرى، عكس الديناصورات، يمكنه إجراء عمليات دقيقة للغاية، وبناء مبانٍ معقدة فوق سطح الأرض وتحتها، لكنه يفتقر إلى ثراء الفكر. حين يتجمع النمل في عدد معين، يتولد ذكاءٌ جماعي دقيق وصارم مثل برامج الكمبيوتر. وقد استرشدت مستعمرات النمل بهذه البرامج التي تشكّلت على مدى زمنٍ طويل لإكمال العمليات الدقيقة وبناء مدنه المعقدة. مجتمع النمل يشبه آلة كبيرة دقيقة، حيث كل نملة مجرد جزء صغير من هذه الآلة. حين ينفصل جزء من هذه الأجزاء عن الآلة ويستقل، يغدو تفكيره ضعيفاً للغاية وميكانيكيّاً. والتفكير الإبداعي الضروري للحضارة هو من صنع الأفراد، مثل نيوتن وآينشتاين. والتكرار البسيط للذكاء الجماعي لا يمكن أن تنتج عنه أفكار رفيعة، تماماً مثل مئة مليون منَّا يعملون بجد معاً، لكنَّهم يعجزون عن التوصل إلى نظرية النسبية أو قوانين الحركة الثلاثة. لذلك، كان من المستحيل أن ينتج تفكير النمل الفردي المثير للشفقة الثقافةَ والعلمَ الضروريين للحضارة.

في المسار الطبيعي للأمور، لا يمكن أن يستمر مجتمع الديناصورات والنمل في التطور، وسوف تنطفئ نار الذكاء المشتعلة حديثاً عند هذين النوعين تدريجيّاً في نهر الزمن الطويل، كما حدث لعدد لا يحصى من الأنواع قبلهما وبعدهما، مجرد ومضتين عابرتين في ليلة طويلة من تاريخ الأرض.

لكن حينئذٍ، حدثَ شيءٌ ما.

(١)
اللقاءُ الأول

هذا يوم عادي من العصر الطباشيري المتأخر، من المستحيل حقّاً معرفة أي يوم بالتحديد، لكنه في الحقيقة يومٌ عادي. وأمضت الأرض هذا اليوم في سلام.

لنلقِ نظرة على تضاريس العالم في هذا اليوم. آنذاك، كانت تضاريس ومواقع كثير من القارات مختلفة تماماً عن الآن؛ كانت القارةُ القطبية الجنوبية متصلةً بأستراليا، وشكّلتا معاً قارةً أكبر بكثير ممَّا هي عليه الآن؛ والهندُ مجرد جزيرة كبيرة في بحر تيثس*؛ وأوروبا أرضَين منفصلتين عن آسيا. انتشرت حضارة الديناصورات بشكل رئيس في قارتين، الأولى أرض غندوانا، التي كانت في الأصل القارة الكاملة الوحيدة على الأرض قبل مئات الملايين من السنوات، وتقلصت مساحتها بدرجة كبيرة الآن بعد انفصالها، لكنَّ مساحتها لا تزال كبيرة مثل مساحة كلٍّ من إفريقيا وأمريكا الجنوبية مجتمعتين اليوم. والثانية قارة لوراسيا، القارة التي انفصلت عن غندوانا، وشكلت لاحقاً ما يُعرَفُ الآن بأمريكا الشمالية.

في ذلك اليوم، في جميع القارات، كانت كل الحيوات مشغولة بالبقاء، في هذا العالم غير المتحضر، لم تعرف من أين أتت ولم تهتم إلى أين ستذهب، حين ترتفعُ شمسُ العصر الطباشيري إلى منتصف السماء، وتتقلص الظلال التي تلقيها الأوراق الكبيرة لنباتات السيكاديات على الأرض إلى أصغرها، كان همُّ تلك الحيوات الوحيد مكان العثور على غدائها اليوم.

---

* هو البحر القديم الذي كان يفصل بين القارات خلال العصور المختلفة من عمر الأرض، وهو غير ثابت الموقع إذ إن موقعه كان يتغير تبعاً لحركة القارات.

عثر تيرانوصورس ركس على غدائه، وكان حينها في المنطقة الوسطى من غندوانا، في أرض مشمسة وسط نخيل الساغو الشاهق. كان غداؤه عبارة عن سحليةٍ سمينةٍ اصطادها للتو؛ مزق السحلية التي تتلوى بيأسٍ إلى نصفين بمخالبه الكبيرة، وألقى بالنصف الذي يحتوي على الذيل في فمه الكبير ومضغه باستمتاعٍ بالغٍ. كان في هذه اللحظة، راضياً عن العالم وعن حياته.

ثمة بلدةٌ صغيرة للنمل على بعد متر واحد فقط من قدم التيرانوصورس اليسرى، يقع معظمها تحت الأرض، ويعيش داخلها ما يزيد على ألف نملة. تسبب صيدُ التيرانوصورس للسحلية في الفضاء المفتوح في حدوث زلزال قوي في البلدة، ولحسن الحظ أنَّ معظمها يقع تحت الأرض، ولم تدمرها قدما التيرانوصورس الضخمتان. هرعَ سكان البلدة إلى السطح ونظروا إلى أعلى. في أعينِ النمل، احتل التيرانوصورس معظم السماء، مثل قمةٍ شاهقةٍ تخترقُ السحاب، وتجمَّع النمل في ظلِّ هذه القمة، وبدا له أنَّ الطقس قد غامَ فجأةً. شاهد النمل على ارتفاعِ نصفَ السحليةِ تنزلقُ من مخلبه العملاق إلى فمه العملاق، وسمع صوت مضغه الأشبه برعد من السماء. في مرَّاتٍ سابقة، كان هذا الرعد يأتي في الغالبِ بأمطار غزيرة من العظام المكسورة وقطع اللحم، وهي بقايا وجبته، بقايا قليلة، ضَمنتْ وجبةَ غداء سكانِ بلدة النمل اليومية. لكنَّ فم هذا التيرانوصورس كان مُطبقاً، ولم يتساقط شيءٌ. وبعد لحظات، ألقى بنصف السحلية الآخر في فمه، ودوَّى الرعد مجدداً في السماء، لكن أمطار العظام واللحم لم تتساقط. بعد انتهائه من تناول وجبته، تراجع خطوتين، واستلقى هانئاً في ظل شجرة وأخذ قيلولة. شاهد النمل سقوطَ القمةِ العالية، وتحولها إلى سلسلة جبال شاهقة على مسافة بعيدة. اهتزت الأرض بعنف، وغمر ضوء الشمس الساطع السهل مجدداً. هزَّ النمل رأسه وتنهد، فقد طالَ موسم الجفاف هذا العام، واشتدَّت الأيام صعوبةً بمرورها، وكان قد عانى الجوعَ يومين متتاليين.

بينما يسير النمل خائب الأمل نحو مدخل البلدة، حدث زلزال مرة أخرى. التفتَ فرأى سلسلة الجبال تتدحرج ذهاباً وإياباً على الأرض. ورأى

بعد ذلك التيرانوصورس يقحم مخلبه العملاق في فمه وينظف ما بين أسنانه بقوة. حينها أدرك النمل سبب عدم نومِه: لقد سبّبت له بقايا اللحم العالقة بين أسنانه انزعاجاً بالغاً.

خطرت للنملة، عمدة بلدة النمل فكرةٌ. تسلَّقَت عشبةً صغيرة، وأطلقَت فيروموناتٍ إلى مستعمرة النمل أسفلها، وأينما انتشرت، فهم النمل قصد العمدة، وأطلق فيروموناتٍ بدوره لنشر هذه المعلومات على نطاق أوسع. اهتزت قرون الاستشعار في مستعمرة النمل في موجةٍ من الإثارة، ثم تقدمت مستعمرة النمل بقيادة العمدة نحو التيرانوصورس، مكوّنة عدة جداول سوداء على الأرض. في البداية، بدت سلسلة الجبال للنمل عند الأفق، وظنَّ أنَّها بعيدةٌ جدّاً لكنها في الحقيقة قريبة. لكن التيرانوصورس تقلَّب بانزعاج مجدداً في هذه اللحظة، مواجهاً النمل، وهو ما جعله أقرب كثيراً إلى صفوفها. هوى مخلبه الضخم، وهبط على مقربة من العمدة، محدثًا صوتاً مدوياً، ورفعَ طابور النمل كله عالياً عن الأرض. وارتفع الغبار الذي أثاره المخلب العملاق أمام النمل مثل سحابة عيش غراب أطلقتها قنبلة ذرية.

قبل أن يستقر الغبار، تبع النمل العمدة، وبدأ تسلُّق مخلب الديناصور العملاق. أصبحت كف التيرانوصورس الآن عمودية على الأرض، مُشكِّلةً جرفاً وعراً. لكن أمام النمل الذي يجيد التسلُّقَ لم يكن هذا عائقاً، إذ صعد بسرعة إلى قمة الجرف ثم إلى ساعده الذي بدا جلده الخشن في عيونه، عبارةً عن هضبة تتقاطع فيها الأخاديد مع الوديان. عبرت طوابير النمل هذه الوديان والأخاديد، وتقدمت إلى خلف الذراع، نحو هدفها النهائي وهو فم التيرانوصورس. في هذه اللحظة، رفع مخالبه العملاقة مرة أخرى لتنظيف أسنانه، وأحسَّ النملُ الذي يمشي على ساعديه بميلانِ الأرض، وبشعورٍ بالثقلِ الشديد، فتشبث بقوة بالأرض تجنُّباً لرميه بعيداً. احتل رأس التيرانوصورس الطويل والضخم نصف السماء الشاسعة، وكان تنفسه البطيء مثل رياح تجتاحها، وعيناه الضخمتان تحدِّقان من أعلى، وهو ما جعل النمل يرتجف من الخوف.

رأى التيرانوصورس مستعمرة النمل على ساعده، فرفع ذراعه الأخرى وأبعدها. كانت كفه الضخمة التي رفعها مثل سحابة مظلمة، غطت على الفور شمس الظهيرة، وأظلم سهل الساعد حيث تسير المستعمرة على الفور. نظر النمل في ذعرٍ إلى الكف المعلَّقة في الهواء، ولوَّحَ باهتياج بقرون استشعاره. رفعت العمدة قدماً من قدميها الأماميتين وأشارت إلى فم الديناصور، فيما حذا بقية النمل حذو العمدة وأشار إلى فمه في آن واحد. ذُهِلَ التيرانوصورس لبضع ثوان، إلى أن أدركَ أخيراً قصد النمل. وبعد تفكير، أنزل مخلبه المرفوع، فانقشعت الغيوم على الفور على سهل ساعده. فتح فمه الكبير، ووضع مخلباً من كفه على سنه العملاقة، مشكلاً جسراً بين سهل الساعد والسن. تردد النمل، فسارت العمدة أولاً على طول إصبعه، وخلفها سارت المستعمرة.

وصلت مجموعة من النمل بسرعة إلى نهاية إصبعه، ووقفت على تلك الحافة المخروطية الناعمة ونظرت في رهبة إلى فم الديناصور، كأنما تواجه عالماً مظلماً قبل عاصفة رعدية، بينما تهبُّ رياحٌ رطبة برائحة دموية، ويدوي رعدٌ هادر قادم من الظلام اللامتناهي. حين أَلِفت أعين النمل الظلام، رأت بصورة غيرِ واضحةٍ مساحةً أكبرَ وأشدَّ عتمةً على مسافةٍ بعيدة، وكان شكل حدود تلك المنطقة يتغير باستمرار. استغرق النمل وقتاً طويلاً ليفهم أنَّ هذا حَلْقُ الديناصور، وأنَّ الرعدَ الهادر قادمٌ من هناك، وانبعث هذا الصوت من معدة التيرانوصورس الضخمة الموجودة في أعماق ذلك الثقب الأسود. أشاح النمل بأنظاره في خوف وتسلق إلى أسنان الديناصور العملاقة من أطراف مخالبه، ثم نزل من المنحدر الأبيض الناعم على سطح السن. في الفجوات الواسعة بين أسنانه، استخدم النمل فكيه القويين لقضم لحم السحلية الوردي العالق هناك. من حين إلى آخر، في أثناء المضغ بشدة، ينظر بعض النمل إلى أعلى ويرى أسنان التيرانوصورس الضخمة تخترق السماء على كلا جانبيه، وفوق هاتين السنَّين العملاقتين، تألق الصف الآخر من الأسنان العملاقة على سقف حنك التيرانوصورس ساطعاً في ضوء الشمس

المائل، وبدا كما لو أنه سيسقط في أي لحظة. كان التيرانوصورس قد وضع مخلبه على أسنانه العلوية، واستمر النمل القادم في التسلق وأكل اللحم من بين أسنانه، وهو ما جعل مشهد الأسنان العلوية يبدو كأنه صورة طبق الأصل من الأسنان السفلية. انهمكت أكثر من ألف نملة في ما يزيد على عشرٍ من فجوات الأسنان، وسرعان ما أُزيلَ اللحم المتبقي في الفجوات.

تلاشى الانزعاجُ من أسنانه، ولم يكن قد تطور بعد ليقول شكراً، وأطلق فقط تنهيدةً طويلةً تنمُّ عن الرضا، واكتسح إعصارٌ مفاجئ صَفَّي الأسنانِ العملاقة، طيَّر النمل كله. انجرفت مستعمرة النمل في الهواء مثل الغبار الأسود، وبسبب خفة أجسامها الشديدة، سقطت على بعد أكثر من متر من رأس التيرانوصورس من دون أن تصاب بأذىً. سار النمل الشبعان بسرورٍ نحو مدخل البلدة، بينما عاد التيرانوصورس، وقد تحرر من الانزعاج بين أسنانه، ونعسَ هائناً في ظل الشجرة البارد.

وهذا ما حدث.

الأرض تدور برفقٍ، والشمس تنزلق بصمت نحو الغرب، وظلال السيكاديات تمتدُّ بسكون، وتُحلِّقُ الفراشات والحشرات الطائرة الصغيرة تحليقاً هادئاً في الغابة، وبعيداً، تضرب أمواج المحيط القديم ساحلَ غندوانا...

لا أحدَ يعلمُ أنَّه في هذه اللحظة الهادئة، تحول تاريخُ الأرض في اتجاهٍ آخر.

(٢)
فجرُ الحضارة

مرَّ يومان على تلك الحادثة، وفي منتصفِ ظهيرة لا تقِلُّ قيظاً عن ظهيرة ذاك اليوم، شعر سكان بلدة النمل بزلزال قادم من سطح الأرض، وحين خرجوا إلى السطح، رأوا قامة تيرانوصورس شاهقةً، وأمكنهم بسهولةٍ تمييز أنَّه ذلك الذي رأوه منذ يومين. جلس التيرانوصورس القرفصاء باحثاً عن مستعمرةِ النمل، وحين عثر عليها، رفع مخلبه العملاق وأشارَ إلى صفَّين من الأسنان الضخمة في فمه المفتوح. فهم النمل قصده على الفور، فلوَّح آلاف معاً بقرون الاستشعار في حماسٍ شديد. بسطَ التيرانوصورس مخلبه على الأرض ليتسلَّقَه النمل، فأعيد المشهد الذي حدثَ قبل يومين؛ أكلت مستعمرة النمل بقايا اللحم من بين أسنان التيرانوصورس، وملأت معداتها بوجبة كبيرة، وخففت ألمه الطفيف.

لاحقاً، ظلَّ التيرانوصورس يتردَّد بين حين وآخر بحثاً عن هذه المستعمرة، لتساعده في تنظيف أسنانه. كان بوسع النمل الشعور بخطواته من بُعد ألف متر، وتمييزها بدقة من وقعِ خطواتِ الديناصورات الأخرى. بل وتحديد وجهة التيرانوصورس بناءً على وقعِ خطواته، فإذا كان متجهاً نحو البلدة الصغيرة، فسيصعد النمل إلى السطح بحماسة، مدركاً أنَّ الطعام متوفر اليوم. أصبح هذا التعاون بين المخلوقين العملاق والضئيل تدريجيّاً أكثرَ كفاءةً وانسجاماً.

ذات يوم، سمع سكان البلدة الصغيرة عبر الأرض وقع خُطى، لكنها مختلفة عن سابقتها، الخطواتُ المألوفة ممتزجة بذبذبة غير مألوفة،

وحين صعد النمل إلى السطح، رأى برفقة شريكه ثلاثة تيرانوصورات وتاربوصورس بَتار! أشارت بمخالبها إلى أسنانها وطلبت مساعدة النمل. أدركت العمدة أنَّ قواتها ليست كافية، فأُرسِلَت عدة نملات من النمل الطائر للتواصل بسرعة مع بلدات النمل الأخرى القريبة، وسرعان ما تدفقت ثلاثة تيارات نمل من الغابةِ وتجمعت في الفسحة الفارغة، وكان عددها ستة آلاف نملة. يحتاج كل ديناصور إلى أكثر من ألف نملة لخدمته، أو بالأحرى، تكفي اللحوم المتبقية في أسنانه لإطعام أكثر من ألف نملة.

في اليوم التالي، ارتفع عدد الديناصورات القادمة لينظف النمل أسنانها إلى ثمانية ديناصورات. ثم ارتفع في الأيام اللاحقة إلى أكثر من عشرة ديناصورات، معظمها من آكلة اللحوم، لا سيما التيرانوصورات والتاربوصورات. داست الديناصورات نباتات السيكاديات المحيطة، ما وسَّع مساحةَ هذه البقعة الخالية، وحلَّ في الوقت ذاته مسألة الغذاء لأكثر من اثنتي عشرة بلدةَ نمل حولها.

لكن أساس التعاون بين النوعين الرئيسين اللذين يعيشان على الأرض ليس متيناً. أولاً، بالنسبة للديناصورات، ومقارنة بالصعوبات المختلفة التي تواجهها، مثل الجوع حين ندرةِ الفرائس، والعطش حين لا تعثرُ على الماء، والإصابات الناجمة عن القتال مع الديناصورات من فصائلها أو من فصائل أخرى، والإصابةِ بالعديد من الأمراض القاتلة، فاللحم المغروز بين الأسنان في أثناء الأكل مجرد إزعاج هيِّن. جاء كثير من الديناصورات لينظف النملُ أسنانها بدافعِ الفضول والمرح. ومن ناحية أخرى، بالنسبة إلى النمل، تزداد وفرة الطعامِ في الأماكن المحيطة بعد انتهاء موسم الجفاف، ولا حاجة للعثور على الغذاء بهذه الطريقة البديلة. إذ لم يكن أمراً ممتعاً لعدد كبيرٍ من النمل حضور تلك المأدبة المرعبة في أفواه الديناصورات العملاقة، الشبيهةِ ببوابات الجحيم.

كان مجيء التاربوصورس المصاب بتسوس الأسنان حينها، خطوة كبيرة في التعاون بين الديناصورات والنمل.

بعد ظهر ذلك اليوم، جاءت مجموعة من تسعة ديناصورات لينظف لها النمل أسنانها، لكن واحداً من التاربوصورات كان لا يزال مضطرباً بعد إزالة اللحم من بين أسنانه، فرفع ساعده عالياً، لمنع مستعمرة النمل التي أنهت عملها من المغادرة، مشيراً في الوقت ذاته إلى أسنانه بمخلبه الآخر. عادت عمدة هذه البلدة بمجموعة من النمل مجدداً إلى فمه، وانهمكت في بحث دقيق بين صفَّيْ أسنانِه العملاقة. وسرعان ما اكتشفت عدداً من الفتحات في مينا السن الأملس، كلٌّ منها يكفي لاستيعابِ من نملتين إلى ثلاثِ نملاتٍ متجاوِرَة. دخلت العمدة إلى الفتحةِ في البداية، ثم تبعتها عدةُ نملات. عاينَّ جدار الفتحة بعناية، وكانت أسنان الديناصور صلبةً جدّاً، من الواضح أنَّ أي شيء يمكنه حفر نفق عبر مادة كهذه، هو بلا شك حفَّار ينافس النمل. بينما تقدم النمل، ظهرت فجأة من حفرة جانبية دودة سوداء حجمها ضعفا حجم النمل، لديها فكَّان حادان، وطقطقت قاضمةً رأس العمدة. في الوقت نفسه، اندفع مزيد من الديدان السوداء فجأة، وشطرت صفوف النمل في النفق وشنت هجمات شرسة عليه. عجز النمل عن الدفاع عن نفسه لشدة الإنهاك، وفي طرفة عين قُتِلَ معظمُه. كافح النمل المتبقي للخروج من دائرة الهجوم، ورغم تجاوزه الديدان السوداء، فقد تاه في هذه الممرات التي تشبه المتاهة. لم يخرج من التجويف إلَّا خمس نملات، تحمل إحداها رأس العمدة. يظل رأس النملة حيّاً وواعياً لفترة طويلة بعد انفصاله عن جسده، لذلك حين خرجت النملات الخمس من فم الديناصور وهي تحمله، وقبل أن يفقد الرأس الحياة، شرح الوضع في أسنان الديناصور لأكثر من ألف نملة لا تزال واقفة على ساعديه، وأصدر الأوامر. وعلى الفور، دخل جيش صغير من مائتي نملة محاربة إلى فم الديناصور. في البداية، أخلى السن التي دخلتها العمدة. ورغم مهارة جنديات النمل القتالية، فإنَّ الديدان السوداء فاقتها حجماً، ولأنَّها مُلمة ببنية الأنفاق، نجحت في صد هجوم النمل، وقتلت أكثر من عشرِ جنديات، وأجبرتها في النهاية على التراجع خارج التجويف. بينما كان جيشُ النملِ لا حولَ له ولا قوة، وصلت تعزيزات من بلدة صغيرة أخرى. كان نوعاً آخر من قوات النمل، ورغم صِغَرِ حجمه، فإنَّ

بوسعه شن هجمات شرسة بحمض الفورميك. اندفعت جنديات النمل إلى التجويف، واستدارت بسرعة ووجهت مؤخراتها البطنية نحو العدو، ورشت رذاذاً كثيفاً من حمض الفورميك. انبعث دخان من أنحاء أجسام الديدان السوداء التي أصابها الحمض، وتحولت في لحظةٍ إلى كتل سوداء متفحمة. وصلت تعزيزات أخرى، جنديات أصغر، لكنَّ فكوكهن شديدةُ السُّمِّيَّة، ما إنْ تتعرض الدودةُ السوداء إلى عضتها، حتى تتلوى وتموت.

اندلعت المعركةُ على أشُدِّها، وفي فم التاربوصورس، اجتاح جيش النمل الديدان السوداء واقتلعها من كل سن، وانبعث دخان حمض الفورميك من كلِّ تجويف في السِّن. استمر فريق عمال النمل في حمل جثث الديدان السوداء من فم الديناصور الكبير، ووضعها على ورق شجرٍ في راحة مخالبه. وخلال لحظات، امتلأت الأوراق بالديدان الميتة، ومن بينها أيضاً ديدان ينبعث منها دخان بسبب احتراقها بحمض الفورميك. أحاطت به الديناصورات الأخرى ونظرت إلى كل شيء بذهول. انتهت المعركة بعد نصف ساعة، وأُبيدت كلُّ الديدان السوداء. وامتلأ فم التاربوصورس برائحة حمض الفورميك الغريبة، لكن مرض الأسنان الذي ابتلي به معظم حياته اختفى. زأر بإثارةٍ وأخبر جميع الديناصورات الحاضرة عن هذه المعجزة.

سرعان ما انتشر الخبر في الغابة، وحدثت زيادة مفاجئة في أعداد الديناصورات القادمة لزيارةِ النمل، كان منها الآتي لينظف النمل أسنانه، أما الأغلب فأتى لمعالجة أمراض الأسنان، لأن التسوس شاع بين الديناصورات اللاحمة أو العاشبة. يمكن أن يصل الحد الأقصى لعدد الديناصورات التي تجتمع هنا إلى عدة مئات، ومن ثم يزداد أيضاً عدد النمل القادم للخدمة زيادةً حادة. على عكس الديناصورات، لم يغادر النمل في العادة بعد وصوله، وتشكلت هنا مدينة كبيرة ضمت أكثر من مليون نملة، وأصبحت هذه المدينة المسماة "مدينة العاج" المكان الأول لتجمع النمل والديناصورات على الأرض. كل يوم تتجول عدة ديناصورات ضخمة عبر الأرض وتتقاطع مع تيارات النمل في مشهدٍ مزدهر.

مع زيادة العمل وانتهاء موسم الجفاف، لم يعد النمل راضياً عن بقايا اللحوم في أسنان الديناصورات. فدفعت له أجره عظاماً ولحوماً طازجة مقابل خدماته الطبية، وهكذا لم يضطر النمل في مدينة العاج إلى البحث عن الغذاء، واحترفَ طبَّ الأسنان. وأدى هذا التخصص إلى تطور سريع في التكنولوجيا الطبية للنمل.

سار النمل في الغالب على طول التجاويف للوصول إلى جذور أسنان الديناصورات في معركة القضاء على تسوس الأسنان، وعند التقاء الأسنان مع اللثة، رأى بعض القنوات السميكة الشفافة، التي حين تُلمَس في المعركة، تهزُّ زلازل عنيفة فم الديناصور. أدرك النمل تدريجيّاً أنه حين تُحَفَّزُ هذه القنوات، فإنَّها تثير ألمَ الديناصورات، وأطلقوا على هذه الأشياء: الأعصاب. عرف النمل منذ وقت طويل أنَّ ابتلاع جذور نوع من الأعشاب يمكن أن يسبب خدراً في أطرافه وينوِّمه، أحياناً لعدة أيام. حتى إذا قُطعت سيقانها، فإنَّها لا تشعر بأي ألم. لذلك وضعت عصارة هذا العشب على الأعصاب الموجودة في جذور أسنان الديناصورات، ولم يعد لمسها يسبب زلازل. تعاني الديناصورات المصابة بأمراض الأسنان غالباً من تقيح اللثة، وعرف النمل منذ وقت طويل أيضاً أنَّ عصارةَ نوعٍ آخر من العشب يمكن أن تعزز التئامَ الجروح، لذلك وضعها على تقرحاتِ اللثة، فالتأمت بسرعة. لم تساعد هاتان التقنيتان المسكنة للألم والمضادة للالتهاب النمل في القضاء على تسوس أسنان الديناصورات فقط، بل أيضاً في علاج أمراض الأسنان الأخرى التي لا يسببها التسوس، مثل التهاب دعائم السِّن وآلام الأسنان الحادة.

ومع ذلك، فإن الثورة الحقيقية في التكنولوجيا الطبية للنمل نجمت عن الاستكشاف العظيم لجسم الديناصورات.

النملُ مخلوقاتٌ مسكتشِفةٌ بالفطرة، لا بدافعِ الفضول، إنَّها مخلوقاتٌ غيرُ فضولية، وتدفعها الغريزةُ لإيجادِ مساحةِ معيشَتِها وتوسيعِها. كان النمل بين حين وآخر يلقي نظرةً في أعماق فم الديناصور في أثناء القضاء على

الديدان السوداء وسكبِ الدواء على صفَّيْ أسنانِه العملاقين، إذ أثار العالم الداخلي المظلم والرطب رغبتَه في الاستكشاف، لكن الطبيعة المخيفة والشريرة لهذا العالم جعلت النمل يتردد في اتخاذِ هذه الخطوةِ الشجاعة.

بدأ عصر الاستكشاف العظيم لجسم الديناصور بواسطة نملة تدعى "دابا"، أقدم نملة يُسجَّلُ اسمُها في تاريخ الحضارة الطباشيرية. وبعد استعدادٍ شامل، استغلت دابا فرصة علاج تسوس الأسنان، وقادت فريقَ استكشافٍ صغيراً مكوناً من عشر نملات محاربة وعشر نملات عاملة، وتوغلت في فم التيرانوصورس. عَبَر فريق الاستكشاف سهلَ اللسان الضيق الطويل مواجهاً رطوبةً شديدة، وبدت حُليمات اللسان مثل عدد لا يحصى من الصخور البيضاء غطَّت السهلَ بالكامل، وشكَّلت أنصاباً حجريةً مهيبةً تمتد في الظلام البعيد. وتنقلت النملات المستكشفة بين الصخور الزلقة، وحين يفتح الديناصور فمه ويغلقه، يتدفق الضوء الخارجي عبر فجوات أسنانه. سطع هذا الضوءُ مائلاً على سهل اللسان، وكان يومضُ كبرقٍ في الأفق، ويلقي بظلالٍ طويلة متأرجحة للأحجار على سطحه. وحين يتلوَّى فمُ الديناصور، يرتفع السهل وينخفض كالأمواج، وتظهر تموجات متغيرة باستمرار على الأحجار، وأثار هذا المشهدُ الكابوسي خوفَ النمل، لكنه واصل التقدم بثبات. في بعض الأحيان، حين يبلع الديناصور لعابه، تندفعُ فجأةً فيضاناتٌ لزجة من جانبي السهل وتغمرُ النملَ في لحظة، فيتشبثُ بحُليمات اللسان لكيلا ينجرف، في انتظار انحسار الفيضان قبل الاستمرار في التقدم.

وصل الفريقُ أخيراً إلى جذرِ اللسان. هنا، أصبح الضوء القادم من بعيد أشدَّ خفوتاً، وكشفَ بغير وضوح عن مدخل كهفين عملاقين. هبت عاصفةٌ شديدةٌ من أحد المدخلين، تدخل ريحها وتخرج عاكسةً اتجاهَها كل ثانيتين أو ثلاث. لا تدخل رياح قوية أو تخرج من الكهف العملاق الآخر، لكنَّ هديراً عميقاً انبعث من قاعِه الذي لا يُسْبَرُ غوره. كان الصوتُ مألوفاً بالفعل للنمل من وقت عمله على الأسنان، لكنَّه أشدُّ هنا، أشبه بدويٍّ رعد. اكتشفَ النمل لاحقاً أنَّ هذين الكهفين هما الجهاز التنفسي ومريء الديناصور. أكثر

من الرياح القوية، أخاف الصوت الغامض المرعب النمل، لذلك قرر التقدم في مسار الجهاز التنفسي. تقدم فريق الاستكشاف بحذر على جدار الكهف الأملس بقيادة دابا، وحين تهبُّ الريح في اتجاهِه، يتقدم النملُ سريعاً بضعَ خطوات، وعندما تهبُّ عكسَه، لا يستطيع المشي وبوسعه فقط بسط أجسامه والتشبث بجدار الكهف. لم يقطع النمل مسافة كبيرة، وسبَّبت أطرافُه تهيجاً طفيفاً في جهاز الديناصور التنفسي، فسعل سعالاً خفيفاً، وأنهى رحلةَ الاستكشاف الأولى كُليّاً. انفجر فجأة إعصار بقوة لا تُحتمَل من أعماق الكهف العملاق، وجرف جميع أعضاء الفريق بعيداً إلى سهل اللسان بسرعة البرق، اصطدمت أعضاء من الفريق بأسنانه العملاقة، بينما طارت أخريات مباشرةً من فم الديناصور.

فقدت دابا ساقاً من ساقيها الوسطيين في هذه الرحلة الاستكشافية الفاشلة، لكن عزيمتها لم تفتر، وسرعان ما نَظَّمت رحلةً استكشافيةً ثانية. وهذه المرة، لم يمرَّ فريق الاستكشاف عبر القصبة الهوائية، بل عبر المريء. كانت بدايةُ الرحلةِ سلسةً نسبيّاً، وبعد الوصول إلى جذرِ اللسان، دخلت النملات المريء وتقدمت لمسافة طويلة على طول هذا الكهف الضخم. في الظلام، بدا هذا الكهف بلا نهاية، وكان الهدير القادم من الهاوية السوداء يعلو أكثرَ فأكثر. في تلك اللحظة، ذهب التيرانوصورس -الذي كانت النملات بداخله- لشرب الماء من الجدول. سمعت النملات السائرات في المريء هديراً قادماً من خلفه، سرعان ما اشتدَّ وطغى على الصوت القادم من الأمام. بينما أمرت دابا فريق الاستكشاف بالتوقف ومحاولة معرفة ما يجري، تدفق فيضانٌ ملأ الكهف العملاق بأكمله، وجرف النملات إلى المريء. تدحرجت دابا في التيار الشديد، وشعرت بالدوار، لكنَّها عرفت أنَّها تقطع مسافة طويلة عبر الفيضان متجهة نحو معدة الديناصور. أخيراً، شعرت دابا كأنها حطَّت بشدة في مكانٍ ما وغرقت في مادةٍ تشبه الوحل. جدَّفت بأطرافها باستماتةٍ في محاولةٍ للخروج منها، لكنَّها عجزت عن التحرك في هذه المادة اللزجة. لحسن الحظ، استمر الفيضان في التدفق، ما

أدى إلى تخفيفِ الوحل وتحريكِ كلِّ شيءٍ بقوة. بعد أن هدأ المكان، طفَت دابا على السطح. حاولت المشي، وكان السطحُ أسفلَها رخواً وناعماً، تغطِّيه أيضاً طبقة من الكتل الصلبة متفاوتة الحجم والشكل تطفو فوق الوحل، ما ساعدها على الزحف. زحفت مترنحةً فترةً طويلة، إلى أن وصلت أخيراً إلى نهايته، ورأت أمامها جداراً ناعماً مغطّىً بأهداب يبلغُ طولُها طولَ النمل، وبدت مثل أحراشٍ قزمةٍ غريبة. علمت دابا أنَّ هذا هو جدارُ المعدة وتسلقته، وأينما ذهبت انثنت الأهدابُ في محاولةٍ للقبض عليها، لكنَّ حركتَها بطيئة، وتنقبضُ وتنبسطُ دون أن تظفرَ بها. في تلك اللحظة، كانت عينا دابا قد اعتادتا العالمَ الداخليَّ المظلم، واكتشفت أنَّ الظلامَ ليس دامساً هنا، بل يملأُ ضوءٌ خافتٌ الأرجاء، ربما كان يتسربُ من الخارج عبر جلد الديناصور.

رأت دابا في هذا النور الخافت النملات الأربعَ الأخريات يزحفن على جدار المعدة والتحقت بهن. بعد أن استعادت النملات هدوءهن، نظرن إلى الأسفل ورأين المكانَ الذي عُرف فيما بعد باسم البحر الهضمي، وهي المنطقة الموحلة التي فررن منها للتو. كان البحر الهضمي مستنقعاً كبيراً يشبه العصيدة، يتموج سطحه ببطء، ومن وقت لآخر تنفجر فقاعات كبيرة، وهو ما يُصدرُ الهديرَ المألوفَ للنمل. وعلى مسافةٍ قريبةٍ أسفلها، رأت دابا أنَّه عندما انفجرت فقاعةٌ كبيرة، ظهر جسمٌ قصيرٌ وسميكٌ خارج سطح البحر الهضمي ومالَ ببطء، واستطاعت تمييزَ أنَّها ساقٌ سحلية. ثم ظهر جسمٌ مثلثٌ ضخمٌ آخر، له عينان بيضاوان كبيرتان وفمٌ كبير، وكان رأس سمكة. ثم تعرفت دابا على مزيد من الأشياء التي لم تُهضَم بالكامل، معظمها بقايا حيوانات وهياكل عظمية غير ممضوغة، وكذلك نوى فواكه برية. في هذه اللحظة، لكزتها نملة قريبة لتذكيرها بالانتباه لجدار المعدة القريب. رأت دابا إفرازاتٍ مخاطيةً شفافةً تتدفق على الجدار، تلاقت هذه التدفقات وشكَّلت مجاريَ عكست نوراً خافتاً وتدفقت ببطء عبر غابة الأهدابِ نحو البحر الهضمي في الأسفل. اكتشفت لاحقاً أنَّ هذه عصارةُ المعدةِ المسؤولةُ عن وظيفةِ الهضم. غطَّت العصارة النملات، فشعرن بوخز في أنحاء أجسامهن،

وسرعان ما اشتدَّ وتحولَ إلى إحساسٍ بالحَرق، لم يشعرن به من قبل إلَّا حين هُوجِمن بحمض الفورميك.

صاحت نملةٌ: "إنَّنا نُهضَم!". استغربت دابا، إذ كان بوسعها تمييز رائحة فيرمونات رفيقاتِها وسط الهواء العكر المليء بالروائح القوية والغريبة.

كلامها صحيح، كانت عصارةُ معدةِ الديناصور تهضمُ النملات، وأوَّلُ ما هُضِمَ، قرونُ الاستشعار النحيلة، ورأت دابا أنَّ قرنَيِ استشعارها تآكلا نصفياً.

قالت دابا: "علينا أن نخرجَ بسرعة!".

ردَّت نملةٌ أخرى: "كيف سنفعل ذلك؟ الطريق طويل ولم نعد نقوى".

ثم قالت نملةٌ أخرى: "لا يمكننا الزحف، لقد هُضمت أقدامنا بالفعل". ثم لاحظت دابا أنَّ أقدامها الست تآكلت جزئياً بسبب العصارة المعدية، وكذلك أقدام النملات الأربع الأخريات.

قالت نملةٌ واهمة: "آه، فقط لو وقع فيضانٌ آخر يُخرجنا!". أيقظت كلماتها دابا، فحدقت إليها، ورأت أنها جندية تتميز بفكَّين شديدي السمية.

صاحت دابا في الجندية: "حمقاء! يمكنك أن تُحدثي فيضاناً!".

نظرت النملة إلى قائدة البعثة بحيرة.

- "عضِّيه ليصابَ بالغثيان".

فهمت النملة ما تقصده القائدة، فعضَّت جدار المعدة على الفور عضَّات متوحشة، وقطعت بسرعة عدة أهداب وأحدثت خدوشاً كثيرة في جدار المعدة، الذي ارتجف بشدة، ثم بدأ يتلوَّى ويتشوه، فتمسك النمل بالأهداب بإحكام لكيلا يسقط. اكتشفت دابا أنَّ الأهداب أصبحت أكثف، ما يشير إلى أنَّ المعدة تنقبض وأنَّ الديناصور على وشك التقيؤ. مع تقلص المعدة، ارتفع مستوى البحر الهضمي ارتفاعاً حاداً، ووصل منسوبه بسرعة إلى موقع النملات الخمس وجرفها. غُمِرَت النملات الخمس في بحر الهضم المتصاعد بسرعة ومرت عبر المريء الطويل في مُدَّةٍ وجيزة، ثم انجرفت

عبر سهل اللسان، وصفَّيْ أسنان الديناصور العملاقين إلى العالم الخارجي الشاسع، وهبطت بقوة على العشب.

بينما كافحت مستكشفات النمل الخمس للزحف من كومة القيء، رأين بحراً من النمل؛ حشداً من مئات الآلاف من النمل يهتفون لهؤلاء المستكشفات العظيمات.

بدأ عصر الاستكشاف العظيم لجسم الديناصورات، وهو أمر مهم لحضارة النمل، شابه في أهميته عصر الاستكشاف لنا نحن البشر. بعد إنجاز دابا الرائد، دخلت فرق استكشاف النمل واحدة تلو أخرى أجسام الديناصورات المختلفة عبر المريء، واكتشف النمل أن أسرع طريقة للدخول هي الركوب على الماء والطعام الممضوغ في أثناء الأكل والشرب.

يعرف النمل أنَّ الديناصور يتكون من عالمين على الأقل، الأول عالم الجهاز الهضمي الذي استكشفه مرَّاتٍ عدة، والآخر هو عالم الجهاز التنفسي الذي لم يدخله من قبل. قادت دابا، بعد التعافي من إصابتها، فريقَ بحثٍ مرَّةً أخرى لاستكشاف الديناصور عبر القصبة الهوائية، بخمس أرجل ونصف قرن استشعار. هذه المرَّة، تألف الفريق من نملاتٍ أصغر، وباعدت المسافة بينها، لتقليل تهيج الجهاز التنفسي للديناصور وتجنب السعال الكارثي. مقارنةً باستكشاف المريء، كانت رحلة استكشاف القصبة الهوائية شاقة للغاية، لعدم وجود ماء أو طعام لركوبه في المريء، بينما يجب عليها التقدم في مواجهة الرياح القوية، وأقوى النمل فقط هو القادر على إكمال الرحلة إلى نهايتها. لكنَّ هذه المستكشفةَ العظيمة وفريقَ بعثتِها نجحنَ مُجدَّداً، ودخلن عالم الجهاز التنفسي للديناصورات للمرَّةِ الأولى. على العكسِ من عالم الجهاز الهضمي الرطب والخانق، فإنَّ عالمَ التنفس مليءٌ بالرياح القوية والتيارات الهوائية. شاهدت النملات في رئتي الديناصور المشهد المذهل للهواء وهو يتحول إلى دم في المتاهة الضخمة الثلاثية الأبعاد التي شكلتها الحويصلات الهوائية. وكشف لهن نهر الدم الذي يتدفق من مصدر مجهول أنَّه لا بُدَّ من وجود عوالم أخرى داخل جسم الديناصور. لم يدرك النمل

إلَّا بعد وقتٍ طويل أنَّ أجسامِ الديناصورات لا تضمُّ عالمَ الدورة الدموية فحسب، بل تضمُّ عالماً عصبيّاً وغدداً صمَّاءَ كذلك.

المرحلةُ الثالثةُ من الاستكشافِ العظيم هي استكشافُ جمجمةِ الديناصور. في البداية حاول النمل الدخول من خلال أنفه، لكنَّه تسبَّب في أن يعطس الديناصور، وكان تدفقُ الهواء الناتج عن العطسِ أسرعَ بكثيرٍ من السعالِ الذي صادفَه في أثناء استكشافِ القصبةِ الهوائية. دفع هذا التدفقُ الفائق السرعة للهواء النملَ خارجَ أنفه مثل الرصاص، ومزقَ أجسامَ أعضاء الوحدة الرئيسة لفريق البعثة. لاحقاً استُكشِفت جمجمةُ الديناصور بنجاحٍ بالدخولِ من الأذنين. فحص النمل الأعضاء البصرية والسمعية وتأمل هذين النظامين الرائعين. وصل النمل أيضاً إلى دماغ الديناصور، وأصابته حيرة تجاه وظيفة هذا العضو، ولم يُدرِك أهميته إلَّا بعد سنواتٍ كثيرة.

اكتسب النمل في هذه المرحلة فهماً تفصيليّاً لبنية جسم الديناصورات، ما وضع الأساسَ للثورةِ الطبية اللاحقة.

في أغلبِ الأحيان، يستقبلُ النمل الديناصورات المريضة، التي تئِن من الألم باستمرار، وقد بدت نحيفةً مثل جذوع الأشجار، بعيون باهتة، وحركات بطيئة واهنة، وسيموت عدد كبير من هذه الديناصورات بعد وقت قصير. كما دخلت فرق استكشاف النمل أجسام هذه الديناصورات المريضة مرَّاتٍ عدَّة، وبمقارنتها مع الديناصورات السليمة، تيسر للنمل تحديد مواقع الأعضاء الداخلية والآفات في أجسامها. تصور النملُ طرائقَ عدَّة لعلاج الأمراض الداخلية للديناصورات، ولكن لم يُختَبرْ أيٌّ منها فعليّاً. لأنَّ هذا العلاجَ عمليةٌ ضخمة، كما أنَّ النمل دخل أجسام هذه الديناصورات من دونِ علمها في السابق، ولو علمت مسبقاً أنَّ النمل سيدخل أدمغتها أو بطونها، لرفضت الغالبية العظمى من الديناصورات، ولو كان ذلك من أجل علاجها.

حدث الإنجاز الرائد في ديناصور من فصيلة الهادروصورات اسمه "آليجيا" وكان أيضاً أقدمَ ديناصور مسجَّل باسم في تاريخ الحضارة الطباشيرية.

ذات يوم، كان الديناصور "آليجيا" يسير بتثاقل إلى مدينة العاج، وعلم النمل من مظهره الواهن أنه مريض. فتقدمت مجموعة من خمسمئة نملة لخدمته كما يفعل حين وصول مرضى الديناصورات الآخرين. فتح آليجيا فمه الكبير وأشار إلى داخله بمخلبه. هذه الحركة غير ضرورية، إذ لا بُدَّ أنَّ الديناصورات أتت إلى هنا بغية علاج أسنانها. لكن "آقي" الطبيب المسؤول عن الفريق (الذي أصبح فيما بعد أبا طب النمل) لاحظ أنَّه على عكس الديناصورات الأخرى، لم يكن يشير إلى أسنانه، بل عميقاً إلى حلقه. ثم أشار إلى بطنه، وجعَّدَ قسماته في تعاسةٍ، يقصد أنَّه يعاني من آلام في المعدة ثم أشار إلى حَلْقِه مجدداً. المعنى واضح جدّاً، كان يطلب من النمل علاج معدته. وهكذا قاد الطبيب آقي عشرات النمل لإجراء أول فحص داخلي سمحت به الديناصورات. دخل فريق التشخيص معدته من المريء واكتشف بسرعة موضع الآفة على جدار المعدة. لكن القوة الحالية لمستعمرة النمل بقيادة آقي من المحال أن تنفذ علاجاً جسيماً كهذا، لذلك بعد الخروج من فم الديناصور، حدَّد آقي موعداً عاجلاً مع محافظ مدينة العاج.

أوضح آقي الوضع للمحافظ، وطلب إرسال خمسين ألف نملة إضافية، وتخصيص ثلاثة كيلوغرامات من كلٍّ من أدوية التخدير ومضادات الالتهاب.

لوَّحت المحافظ بقرنَي استشعارها بغضبٍ وقالت: "هل جُننتَ أيُّها الطبيب؟ لدينا عدد كبير من الديناصورات المريضة اليوم، وسيؤدي إرسال هذا العدد من النمل إلى تأخير علاج ما يقرب من خمسين أو ستين ديناصوراً، لا سيما أنَّ كمية الأدوية هذه تكفي لنستخدمها مئات المرات! هذا الهادروصورس مريض جدّاً، وليس لديه القوة للحصول على العظام واللحوم، فكيف سيدفع ثمن هذا العلاج الفائق!".

ردَّ آقي: "انظُري إلى الصورة الأكبر يا سيادة المحافظ، إذا نجحت هذه الخطوة العلاجية، فلن تقتصر قدرة النمل على علاج الديناصورات المصابة بأمراض الأسنان في المستقبل، بل يمكننا علاج جميع الأمراض تقريباً أيضاً. وهكذا ستتضاعف تجارتنا مع الديناصورات عشر مرات، بل مئة مرَّة،

سنكسبُ كميةَ عظام ولحوم ضخمة، وستنمو مدينتك نموّاً هائلاً!". اقتنعت المحافظ وأعطت آقي النملَ والأدوية والسلطة التي طلبها.

جُمِعَت مجموعة كبيرة من خمسين ألف نملة بسرعة، وسُلِّمت كومتان كبيرتان من الأدوية. استلقى الهادروصورس المريض على الأرض، ودخل جيش النمل بأعداده الضخمةِ عبر فمه المفتوح، يحملُ كلٌّ منها حقيبة ظهر صغيرة معبأة بالأدوية. تجمع المئات من الديناصورات الشاهقة في دائرة وراقبت هذا العمل الفذ العظيم.

قال تاربوصورس غاضباً: "كيف سمح هذا الغبي لعدد كبير من الحشرات الصغيرة بالزحف إلى معدته؟!".

ردَّ تيرانوصورس باستنكار: "وماذا في ذلك؟ ألم نسمح لها بالدخول إلى أفواهنا؟".

أجاب التاربوصورس: "سمحت لها بالزحف على أسناني، لكن المعدة أمرٌ مختلف!".

قال ستيغوصورس قصير، مشرئبّاً بعنقه من الخلف: "إذا كان بإمكانه حقّاً علاج المرض..."

حدَّق التاربوصورس إليه بغضب: "أتركها تدخل إلى معدتي من أجل العلاج؟ ستزحف إلى أنوفنا وآذاننا وأعيننا وحتى أدمغتنا. ومن يعلم ماذا سيحدث حينها؟!".

حكَّ التيرانوصورس ذقنه وقال: "لا يهم، لَكَم ستكون المعيشة مريحة إذا عولجت كل الأمراض!".

وافقت الديناصورات الأخرى على كلامه قائلة: "أجل أجل، لَكَم ستكون المعيشة مريحة. المرض مخيف جدّاً!".

الخطوة الأولى من الجراحة هي تخدير الجزء المصاب من معدة آليجيا. وبتوجيه من الطبيب آقي، بدأ النمل في نقل بضعة كيلوغرامات من

المُخدر المستخرج من النباتات المستخدمة في الأصل لجراحات أسنان الديناصورات إلى معدة الهادروصورس. بعد الانتهاء من التخدير، بدأت آلاف النملات العاملات في معدة آليجيا بإزالة الأجزاء المصابة، وكانت مهمةً ضخمة حيث تُنقَل أنسجة المعدة المُستأصلة باستمرار إلى خارج جسم الديناصور. شكَّل حمَّالو النمل خلال هذه العملية خطّاً أسودَ طويلاً غير منقطع، ينقل أنسجة المعدة التي استأصلتها عاملات النمل، وبدأت الأنسجة المتحللة لجدار المعدة الأسود تتراكم في نهاية الخط الأسود على الأرض. كانت الخطوة الأخيرة من الجراحة بعد استئصال الأنسجة المصابة، وضع أدوية مضادة للالتهابات على الجرح في المعدة، فبدأت مجدداً عملية نقل ضخمة إلى جسم الهادروصورس. استغرقت العملية الجراحية بأكملها ثلاث ساعات وانتهت قبيل غروب الشمس. وبعد انسحاب كل النمل، قال آليجيا إن معدته لم تعد تؤلمه. وبعد بضعة أيام، تعافى تماماً.

سرعان ما انتشر الخبر في عالم الديناصورات في غندوانا، وتضاعفت الأعداد التي تأتي إلى مدينة العاج لتلقي العلاج أكثر من عشر أضعاف. وفي الوقت نفسه، جاء عدد أكبر من النمل لكسب لقمة العيش.

مع الزيادة الكبيرة في حجم الأعمال، تطورت التكنولوجيا الطبية للنمل بسرعة أيضاً. أصبح بوسعه التغلغل عميقاً في جسم الديناصورات لعلاج أمراض الجهاز الهضمي والتنفسي المختلفة، واتسع نطاق العلاج لاحقاً ليتطلب تقنيات أكثر تطوراً شملت نظام الدم والجهاز العصبي والجهازين البصري والسمعي، وحتى النظام العصبي. وطُورت أدوية جديدة باستمرار، ولم تشمل المواد الخام لاستخراج هذه الأدوية النباتات فحسب، بل أيضاً الحيوانات والمعادن غير العضوية. وفي الوقت نفسه، تطورت أيضاً التقنيات الجراحية داخل الديناصورات بسرعة. على سبيل المثال: عند إجراء جراحة الجهاز الهضمي الآن لا حاجة إلى صفوف طويلة من النمل تزحف عبر مريء الديناصور، بل استخدمت تقنية "حبة النمل": يتلاصق نحو ألف نملة لتشكيل "حبة نمل" يبلغ قطرها من عشرة سنتيمترات إلى عشرين سنتيمتراً،

ويبتلع مرضى الديناصورات واحدة أو أكثر مع الماء مثل أقراص الدواء، ما يحسن كفاءة الجراحة بدرجةٍ كبيرة.

ومع توسع "مدينة العاج" السريع، بقي عدد من الديناصورات التي أتت لتلقي العلاج الطبي، وشكلت مدينة ديناصورات غير بعيدة عن "مدينة العاج". ولأنَّ هذه الديناصورات بنت مساكنها بالحجارة الضخمة، فقد أطلق النمل على هذه المدينة "مدينة الجلاميد". أصبح كلٌّ من مدينة العاج ومدينة الجلاميد الضخمة لاحقاً عاصمتي إمبراطورية النمل وإمبراطورية الديناصورات في غندوانا.

في الوقت نفسه، أخذ بعض الديناصورات التي غادرت بعد تلقي العلاج، أعداداً متفاوتة من مستعمرات النمل إلى مدن ومستوطنات ديناصورات أخرى في غندوانا. بعد وصول مستعمرات النمل إلى هذه الأماكن البعيدة، نقلت تكنولوجيا مدينة العاج الطبية إلى النمل المحلي، فانتشر تعاون النمل والديناصورات تدريجيّاً عبر أرض غندوانا العتيقة. ورسَّخ أساس تحالف النمل والديناصورات.

ومع ذلك، حتى الآن، فإن التحالف بين النوعين الرئيسين على الأرض ليس إلَّا علاقة تكافلية عالية المستوى: يقدم النمل الخدمات الطبية للديناصورات مقابل الطعام، في حين تقدم الديناصورات الطعام مقابل الرعاية الطبية. ورغم أن هذا السلوك المتبادل تطورَ تطوراً كبيراً منذ أن نظف النمل أسنان الديناصورات، فإنَّ جوهره لم يتغير. في الواقع، علاقة المنفعة المتبادلة بين الكائنات الحية المختلفة على الأرض موجودة من قديم الزمن ومستمرة حتى يومنا هذا. مثال على العلاقة التكافلية بين النمل والديناصورات التي ما تزال موجودة حتى اليوم: التكافل التنظيفي بين الكائنات البحرية. يمكن للكائنات المنظفة إزالة الطفيليات الخارجية والبكتيريا والطحالب من بعض أجسام الأسماك، وأيضاً إزالة الأنسجة المصابة أو بقايا الطعام، وبذلك يحصلُ المنظف على وجبة مشبعة. كما سيظهر المنظفون بانتظام في "محطات تنظيف" محددة في انتظار الأسماك

لخدمتها. وسينشأ مسار للتواصل بين المُنظِّف والمُنظَّف. على سبيل المثال، حين يريد روبيان منظِّف الاقتراب من سمكة كبيرة للتنظيف، فإنه سيلمسها أولاً بواسطة قرون استشعاره، وإذا وافقت السمكة على تلقي الخدمة حينها، ستُمُيلُ جسمَها أولاً وتفتح خياشيمها وفمها للإشارة إلى القبول. لن يقدم المنظِّف الخدمةَ بثقة إلَّا بعد تلقي هذا الرد اللطيف، وإلَّا فسيتعرض لخطر أن يؤكل. إنَّ العلاقة التكافلية التنظيفية بالغة الأهمية عند الأسماك، بمجرد إزالة الكائنات المنظِّفة من منطقة معينة، ستتدهور صحة الأسماك ويقل عددها.

لكن هذه العلاقة التكافلية لها حدودها، إذ تعايَش الكائنان من أجل البقاء فقط، واقتصر ما تبادلاه على الطعام والخدمات الضرورية لأغراض العيش. يتطلب تطور الحضارة من الكائنات المتعايشة تبادل أشياء ذات مستوى رفيع، والانخراط في تعاون على المستوى ذاتِه، وإقامة تحالف ليس تكافليّاً فحسب، بل وقائمٌ على تطورٍ مشتركٍ أيضاً.

حينئذ وقع حادث في مدينة الجلاميد رفعَ تحالفَ النملِ والديناصورات إلى مستوى أعلى.

(٣)
الألواح

كانت الألواح عند الديناصورات شيئاً أساسيّاً، تعادل أهمية ورق الكتابة عندنا، وتُقَسَّم إلى نوعين: ثابتة ومتحركة. تُعرَفُ الألواح الثابتة أيضاً باسم تلال الكلمات أو أحجار الكلمات، وهي تلال ذات منحدرات أو جروف مسطحة نسبيّاً، أو صخرة كبيرة ذات سطح أملس، نقشت عليها الديناصورات رموزاً ضخمة. يمكن صنع الألواح المتنقلة من مواد مختلفة، الشائع منها الخشب والحجر والجلد. كانت الألواح الخشبية عموماً عبارة عن نصف جذع شجرة كبيرة مقسوم بالطول، والرموز محفورة على نصفيه. ولأنَّ الديناصورات لم تستخدم المعدن بعد، فضلاً عن المنشار، فلم يكن باستطاعتها صنع الألواح الخشبية، وأمكنها فقط استخدامُ فؤوسٍ حجرية ضخمة لتقسيم الجذع إلى نصفين. أمَّا الألواح الحجرية فكانت عبارة عن ألواحٍ كبيرة ومسطَّحة بأشكال وأحجام مختلفة يسهلُ نقشُ الرموز على أسطُحِها، حتى أصغرُها يعادل في الحجم موائدِنا المستديرة. بينما صُنِعَت الألواحُ الجلدية من جلود الحيوانات المختلفة أو السحالي، ويُكتَبُ عليها في الغالب بأصباغ نباتية أو معدنية، وفي كثير من الأحيان تُربَطُ قطعٌ من الجلود معاً لتكوِّنَ لوحاً.

وبسبب أصابع الديناصورات السميكة الخرقاء، لم تستطع الإمساكَ بأدوات النقش أو أدوات الكتابة الأصغر حجماً، وافتقرت إلى البراعة اللازمة لكتابة الرموز الصغيرة. لذا فإنَّ حجم الرموز المكتوبة أو المنقوشة ضخمٌ جدّاً، أصغرُها بحجم كرة القدم، وهذا يعني ألواحَ كتابةٍ كبيرة وغير عملية، وحتى على لوحة كبيرة كهذه، كُتِبَ عددٌ قليلٌ من الكلمات. وألواح كتابة

الكلمات الضخمة عموماً ملكية عامة لقبيلة أو مدينة ديناصورات، وتُسجِّلُ بإيجازٍ ملكيةَ المجموعة، وحالةَ الأعضاء، وحالةَ الخصوبة أو الوفاة، وحالةَ الإنتاج ونحوَ ذلك. تحتاج القبيلةُ المكونة من نحو ألف ديناصور إلى ألواحٍ مصنوعة من عشرين إلى ثلاثين شجرة كبيرة لتدوين قائمة أفرادها، وقد يتطلب تدوين موجز اجتماع مئات القِطَع من جلود الحيوانات.

تعدُّ صناعة الألواح استنزافاً كبيراً لوسائل الإنتاج والمعيشة عند الديناصورات، وحين تهاجر القبائل أو المدن (وهو أمر شائع في مجتمعات الديناصورات التي لا تزال في عصر الصيد)، فإنَّ حملَ عددٍ كبير من مختلف الألواح شكَّل عبئًا ثقيلًا. لهذا السبب، ورغم أنَّ اللغة المكتوبة في مجتمع الديناصورات نشأت منذ ألف عام، فإنَّ تطور ثقافته كان بطيئاً جدّاً، وراكداً تقريباً في القرن الأخير. وحتى يومِنا هذا، لا تزالُ نصوص الديناصورات بدائية للغاية، لا تحتوي إلَّا على أرقام أحادية بسيطة وعدد محدود من الرموز التصويرية، وهي متخلِّفة كثيراً عن تطور خطابها. وقد أصبح التطور البطيء للكتابة العائق الأكبر أمام التطور العلمي والثقافي في عالم الديناصورات، ما جعلَ مجتمعها لزمنٍ طويلٍ رهينَ الحالةِ البدائية.

هذا مثالٌ نموذجي للأنواع التي تعيقُ أياديها غيرُ المرنة تطورَها.

الديناصور "كوندا" واحد من أكثر من مئة ناسخ في مدينة الجلاميد. تعادل مهنةُ النسَّاخِ في عالم الديناصورات مزيجاً من عامل الآلة الكاتبة والطابعة عندنا، وهم مسؤولون عن التدوين على ألواح الكتابة. والآن، يعمل كوندا مع أكثر من عشرين عاملاً غيره أمام ألواح الكتابة المكدسة لصنع نسخة احتياطية من قائمة المقيمين في المدينة. نُقِش معظم القائمة على ألواح خشبية، وكُدِّسَ عددٌ لا يُحصى من جذوع الأشجار المقطوعة في تلالٍ صغيرة، وهو ما يجعلُ مكانَ عمل كوندا وزملائه شبيهاً بساحة الأخشاب لدينا.

الآن، يحمل الديناصور كوندا سكيناً حجريّاً مثلوماً في مخلبه الأيسر، ومطرقةً حجرية كبيرة في مخلبه الأيمن، وينسخ الرموز التصويرية من لوح

خشبي يبلغ طوله نحو عشرة أمتار على لوحين جديدين أقصرَ طولاً. كان يُنجز هذا العمل الممل والمرهق أياماً عدَّة، ولكن يبدو أن كومة جذوع الأشجار التي ينسخ منها لم تنقص على الإطلاق. ألقى كوندا سكينه الحجري ومطرقته، وفرك عينيه المتعبتين، واستند إلى كومة من الألواح وأطلق تنهيدة طويلة، شاعراً بالإحباط من حياته المملة.

في هذه اللحظة مرَّت مجموعة من نحو ألف نملة على الأرض أمامه، ربما كانت عائدة من عملية جراحية. لمعت في ذهنه فكرة، فنهض وأخرج لحم اثنتين من السحالي المتوهجة المجففة ولوح به لمستعمرة النمل. السحالي المتوهجة نوعٌ من السحالي ينبعث منه وهجٌ أخضرُ في الليل، ولحمها هو الغذاء المفضل للنمل. انجذبت المستعمرة واقتربت، فأشار كوندا إلى اللوح الذي ينسخه، ثم أشار إلى اللوح الفارغ الذي لا يحتوي إلَّا على رمزين ونصف رمز، ثم أشار إلى النمل. أدركَ النمل على الفور ما يقصده، وتسلق السطح الأبيض الأملس للوح الخشبي، وبدأ نقش الرموز بفكَّيه.

استلقى كوندا برضاً على كومة الألواح، مدركاً أن النمل سينجز العمل بوتيرةٍ أبطأ، لكن النمل أكثر الحيوانات صبراً ومرونة، وبمقدوره إنجاز المهمات دائماً، بينما يسترخي هو قليلاً. نام كوندا وحلم أنَّه يقود جيشاً من ملايين النمل مليئاً بالحيوية، وغطَّت مستعمرة النمل بلونها الأسود المئات من الألواح الكبيرة الفارغة، وبعد وقتٍ قصير، انسحبت المستعمرة، وعادت الألواح إلى اللون الأبيض، وظهر خطُّ رموز كبير أنيق على كل لوح. استيقظ فجأة على وخز طفيف في أصابع قدميه، فرفع رأسه، ورأى عديداً من النمل يقضم إصبع قدمه اليسرى، وهي الطريقة التي ينبه بها النمل الديناصورات. وحين رأى النمل أنَّه استيقظ، أشار بقرون استشعاره إلى اللوح، وهو ما يعني أنَّه انتهى من عمله. نظر كوندا إلى الشمس وأدركَ أنَّه لم يمضِ كثير من الوقت، ثم عاد ونظر إلى اللوح، وثارت ثائرته. فإضافة إلى إنهاء نصف الرموز المكتوبة وفقًا لحجمِها الأصلي، فإنَّ الرموز التي نحتها النمل أصغر

بعدَّةِ مرَّات، بدت مثل ذيول صغيرة لتلك الرموز الثلاثة الكبيرة! لم يفشل هذا العمل الرديء في إنجاز المهمة فحسب، بل أهدر لوحاً كاملاً! وكان كوندا يعرف أنَّ النملَ مرتزقةٌ ماكرون، والآن لديه الدليل. فرفع المكنسة لمعاقبته، ولكن بعد إلقاء نظرة غير مقصودة على اللوح، لمع الإلهام: رغم أنَّ الرموز التي نقشها النمل أصغر بكثير، فإنها مقروءة لأعين الديناصورات. في السابق، كانت الرموز المنقوشة سابقاً كبيرة الحجم، ليس لتسهيل القراءة، بل لأن الديناصورات افتقرت إلى البراعة في نقش أو كتابة رموز صغيرة كهذه بأيديها. وخطر في باله أنَّ النمل الذي يلوح بقرون استشعاره باهتياج، يحاول أن يشرح له ذلك.

ألقى كوندا مكنسته، ولاحت ابتسامةٌ على وجهه، ووضع شريحةً من لحم السحلية المتوهجة وسط مستعمرة النمل، ولوَّح بالشريحة الأخرى بإغراء، ثم جلس القرفصاء أمام اللوح، وأشار إلى ثلاثة رموزٍ كبيرة وصفٍّ من الرموز الصغيرة، وسأل النمل هل بإمكانه نحتها بحجم أصغر. استغرق النمل بعض الوقت لفهم ما يقصده، وأومأ بقرون استشعاره معاً للإشارة إلى استطاعته، ثم تسلق الجزء الفارغ من اللوح معاً لبدء العمل. وسرعان ما نحت سطراً أصغر من الرموز، كل منها بحجم الرموز على غلاف هذا الكتاب، وبنفس محتوى السطر الذي نحته منذ قليل. لا يعرف النمل القراءة والكتابة، فهو ينحت فقط وفقاً لشكل المخطوطة الأصلية. أعطى كوندا القطعة المتبقية من اللحم للنمل، ثم قطع الجزء من اللوح ذات الرموز الصغيرة بفأس حجرية، ووضعه تحت ذراعه وانطلق مبتهجاً يقصد محافظَ المدينة.

نظراً لمكانة كوندا المتواضعة، منعه حراس البوابة من دخول قاعة المدينة المبنية بالحجارة الضخمة. رفع كوندا الجزء الصغير من لوح الكتابة أمامهم، فتفحصه حراس الديناصورات الطوال القامة الأقوياء، وتغيرت نظراتهم من الدهشةِ إلى الرهبة، كما لو كانوا في حضرة شيء مقدس. ثم حولوا أنظارهم إلى كوندا مرة أخرى ونظروا إليه كقديس قبل السماح له بالدخول.

سأل المحافظ بعد رؤية كوندا: "ماذا تحمل؟ خلة أسنان؟".

- "لا يا سيدي، هذا لوح كتابة".

- "لوح كتابة؟ هل أنت أبله؟ ولا نصف رمز مكتوب عليه".

قال كوندا وهو يسلم قطعة الخشب الصغيرة: "بل عليه أكثر من ثلاثين رمزاً مكتوباً يا سيدي".

أخذ العمدة اللوح، أبدى أيضاً تعبيرات الرهبة التي أظهرها الحراس للتو. ثم نظر إلى كوندا بعد وقت طويل وقال: "هذا... لم تنحت هذه الكلمات أليس كذلك؟".

- "بالطبع لا يا سيدي، نحتتها مجموعة من النمل".

تناقل مسؤولو المدينةِ لوحَ الكتابةِ الصغير، مثلما نتناقلُ نحن المنحوتاتِ العاجية. بدأت هذه الديناصورات - التي كانت جزءاً من الطبقة الحاكمة في المدينة - نقاشاً حاداً.

- "إنه لأمر مدهش، هذه الرموز الصغيرة".

- "ومقروءة تماماً".

- "في الواقع، حاول العديدُ من أسلافنا كتابةَ رموزٍ صغيرة، لكنَّهم فشلوا جميعاً".

- "أجل، هذه الحشرات الصغيرة ماهرة حقّاً".

- "كان ينبغي لنا أن نعرف أنَّ النمل سيفيدُ في أكثر من مجرد الرعاية الطبية".

- "تخيل المواد التي سنوفرها لصنع لوح كتابة إذا كتبنا هذه الرموز الصغيرة!".

- "نعم، ويسهل حملها. ربما أمكنني حمل قائمة جميع مواطني المدينة وحدي! كنَّا بحاجة إلى المئات من حمَّالي الديناصورات لنقلها في السابق".

- "شيء آخر لم يفكر فيه الجميع: ستتغير المواد المستخدمة في صنع ألواح الكتابة أيضاً".

- "أجل، لماذا علينا أن نستخدم جذوع الأشجار؟ أليس استخدام اللحاء أخف وزناً لرموز بهذا الحجم الصغير؟".

- "صحيح، صحيح. لحاء الشجرة وجلد السحالي مواد أرخص".

لوَّح المحافظ بيده وقاطع نقاشهم قائلاً: "حسن، لندع النمل يكتب لنا من الآن فصاعداً! أولاً، سنشكل جيشَ نملٍ للكتابة من أكثر من مليون نملة! ولتكن...". نظر المحافظ حوله، ووقعت نظراته أخيراً على كوندا. "لتكن أنتَ المسؤول".

حقَّق كوندا حلمه، وستوفر مدينة الجلاميد، وحتى عالم الديناصورات، الكثير من الخشب والحجر وجلود الحيوانات المُستخدمَة أصلاً. لكن مقارنة بأهمية هذا الأمر الحقيقية في تاريخ الحضارة الطباشيرية، فإنَّ كلَّ هذا التوفير لا يُذكر.

زادت الكلمات الصغيرة بواسطة النمل من إمكانية نسخ كميات أكبر من المعلومات، وأصبحت نصوص الديناصورات أكثر تطوراً وثراءً. وهكذا أمكنَ تسجيل الخبرة والمعرفة في مختلف المجالات في عالم الديناصورات بطريقةٍ منهجية وكاملة في صورةِ نصوص ومعادلات رياضية، وانتشرت هذه الطريقة على نطاق واسع، بدلاً من الاعتماد فقط على الذاكرة والتعليمات الشفهية كالسابق. وأضفى هذا التقدم الهائل زخماً شديداً على علم وثقافة الحضارة الطباشيرية، ما دفع بالتطور السريع للحضارة التي ظلت في حالة ركود لفترة طويلة.

وفي الوقت ذاته، دخلت مهارات التشغيل الدقيقة للنمل بوتيرةٍ متزايدة في مختلف مجالات عالم الديناصورات. لنأخذ تكنولوجيا ضبط الوقت مثالاً: اخترعت الديناصورات المزولة منذ فترة طويلة، لكنها استخدمت جذع شجرة كبيراً عقرباً للساعة، ورسمت حوله خطوطاً غليظة، ولم يكن

وضع هذه المزولة البدائية ممكناً إلَّا في مكان محدد. بفضل استخدام مهارات النمل، أصبح من الممكن تصغير المزاول، وأصبحت خطوط الساعات أكثر دقة، ما سهَّلَ على الديناصورات حملها. ولاحقاً اخترعت الديناصورات الساعة الرملية والساعة المائية. وإن كان بمقدور الديناصورات صنع الحاويات اللازمة لتلك السّاعات، فإنَّ النمل وحده الذي يستطيع حفر الثقوب الصغيرة الرئيسة. أصبح تصنيع الساعات منوطاً بالنمل، فحتى الساعة الأرضية الأطول من الديناصور احتوت على أجزاء صغيرةٍ عديدة لا يمكن إلَّا للنمل تصنيعها.

ومع ذلك، فإنَّ الجانب الأهم الذي أسهمت فيه مهارات النمل في تطور الحضارة لم ينحصر في الكتابة فحسب، بل في التجارب العلمية أيضاً. ونظراً لقدرته على التنفيذ الدقيق، أصبح من الممكن الآن إجراء قياسات دقيقة استعصت على الديناصورات في السابق، ما أدَّى إلى تحول في التجارب العلمية المبكرة في عالم الديناصورات من النوعية إلى الكمية. وأصبحت الأبحاث التجريبية المستحيلة سابقاً حقيقة، وعزَّزَ ذلك التطور السريع للعلوم في العصر الطباشيري.

أصبح النمل جزءاً لا غنى عنه في عالم الديناصورات. إذ تحمل الديناصورات ذات المكانةِ المرموقة دائماً عشَّ نملٍ صغيراً، يشبه معظمها كرةً خشبية تحتوي على مئات النمل. حين يحتاج الديناصور إلى الكتابة، يفرد صفحة مصنوعة من جلد الشجرة أو جلد غير مدبوغ على سطح المكتب ويضع العشَّ جانبها، فيزحف النمل بالتتابع وينقش الرموز على الصفحةِ وفقاً لإملاء الديناصور. كتابة النمل مختلفة عن كتابتنا نحن البشر، إذ يعتمد على طريقةٍ متزامنة؛ يكتب عدد كبير من النمل عديداً من الرموز في الوقت ذاته، لذا فإنَّ سرعته أكبر من كتابتنا اليدوية. وطبعاً بمقدور عش نمل بحجم جيب أن يؤدّي كذلك عديداً من المهام الأخرى التي تتطلب تنفيذاً دقيقاً.

أمّا النّملُ فقد حصل من الديناصورات على ما هو أهمُّ من العظام

واللّحوم. بعد بدء التعاون الجديد بينه وبين الديناصورات، كان النص المكتوب أولَ كنز نفيس تلقاه عالم النمل من عالم الديناصورات. لم يكن في عالم النمل لغة مكتوبة، حتى بعد أن بدأ الكتابة للديناصورات ظلَّ أمِّيًا. واقتصر عمله في البداية على أعمال النسخ البسيطة، أي نسخ الرموز التي كتبتها الديناصورات على الألواح الكبيرة إلى الورق. ورغم ذلك كانت كفاءته منخفضة، ولم يتمكن إلّا من نسخ سطرٍ واحد تلو آخر. وكانت الديناصورات في حاجة ماسة إلى النمل لتلقّي الإملاء مثل السكرتيرات، كما أدرك عالم النمل أيضاً أهمية اللغة بالنسبة إلى المجتمع، وحرص على التعلم. ومن خلال الجهود المشتركة لكلا الطرفين، أتقن النملُ بسرعة لغةَ الديناصورات، وفي أثناء تقديم خدمات الكتابة للديناصورات، استخدمها أيضاً في مجتمعه.

بالنسبة إلى الحضارة الطباشيرية، تكمن الأهمية الكبرى لإتقان النمل لغةَ الديناصورات المكتوبة في بناء جسر تواصل بين عالميهما. وبمرور الوقت، فهم النمل لغة الديناصورات تدريجيّاً، واستبعد التركيب الفسيولوجي للديناصورات قدرتها على فهم لغة الفيرمونات، لذا كان التواصل بسيطاً بين العالمين. لكنَّ تغيراً جذريّاً طرأ مع إتقان النمل للغةِ المكتوبة، ما سمح له بالتواصل مع الديناصورات من خلال الكتابة: اخترع النمل طريقةً مذهلة لتسهيل التواصل تتمثل في تركيبِ الكلمات، أي ترتيب أسطر النص بسرعة بواسطة مئات أو آلاف النمل داخل مساحة مربعة. وازدادت مهارة النمل في التركيب يوماً بعد آخر، وأصبح الانتقال بين التركيبات سريعاً جدّاً إلى درجة أنَّ كتلة النمل المربعة تشبه عملية الإخراج على شاشة الكمبيوتر، إذ تعرض محتوى مختلفاً في أوقات مختلفة.

مع تحسن التواصل بين العالمين، استمدَّ عالم النمل المزيد من المعرفة والأفكار من الديناصورات، وأمكن لكل إنجاز علمي وثقافي جديد في مجتمع الديناصورات أن ينتشر بسرعة إلى عالم المخلوقات الضئيلة. وهذا ما كان تعويضاً عن الخلل القاتل في مجتمع النمل، أي الافتقار إلى التفكير

الإبداعي، ما أدَّى إلى التطور السريع لحضارته.

كانت نتيجة تحالف النمل والديناصورات أنَّ النمل أصبح أيدي الديناصورات المرنة، في حين أصبحت الديناصورات مصدر فكر النمل وإبداعه.

أدى اندماج الذكاءين الناشئين في أواخر العصر الطباشيري أخيراً إلى تفاعل نووي عنيف، وأشرقت شمسُ الحضارة من قلب قارة غندوانا، لتضيءَ الليلَ الطويل لتطور الحياة على الأرض.

(٤)

عصرُ المحركِ البخاري

مضى الزمنُ، ومرَّ ألفُ عام.

دخلت الحضارةُ الطباشيرية حقبةً جديدة تماماً، إذ أسَّس كلٌّ من النمل والديناصورات إمبراطوريته الشاسعة.

دخل عالمُ الديناصورات عصرَ المحركات البخارية، واستُخرِجَت مختلفُ المعادن على نطاقٍ واسع، وصُهِرَت واستُغِلَّت. ورغم عدمِ استخدامِهِ الكهرباءَ بعد، فقد شُغِّلَت الآلاتُ العملاقة المعقَّدة بالمحركاتِ البخارية. شيَّدت الديناصورات مدناً ضخمة عديدة، رُبطَت بأجزاءٍ مختلفةٍ من القارة عن طريق شبكة سكك حديدية متقاطعة وواسعة النطاق. عادلت عربةُ القطار السريع الواحدة حجمَ واحدٍ من مبانينا المكونة من خمسة أو ستة طوابق، تسحبها قاطرةٌ بخارية كبيرة بالحجم نفسه، وحيثما سار القطار، تهتز الأرض، ويرتفع البخار الذي تنفثه القاطرة كالسحب في الأفق. كما اخترعت الديناصورات أيضاً مناطيدَ تطير عالياً، وتحجب بظلالها الضخمةِ مدينةً كاملة حين تطفو في السماء. وبنت سفناً عملاقة تجوب المحيطات المختلفة، تعمل بمحركاتٍ بخارية أو أشرعةٍ عملاقة، وأساطيلُها تشبه الجبالَ العائمة على البحر. وهذه السفنُ العملاقة هي ما حملَ الديناصورات والنمل من غندوانا إلى بقيّة القارات، وبفضلها انتشر نموذجُ الحضارة المستند إلى تحالف النمل والديناصورات في جميع أنحاء الأرض خلال أواخر العصر الطباشيري.

ووفقاً لمعايير النمل، فإنَّ إمبراطورياته واسعةٌ بالقدر نفسه. لم يعد النمل يعيش في أعشاش، وملأت مدنه القارات مثل النجوم. إنّ فهْمَ ضآلةِ النمل ودقةِ حضارته عصيٌّ علينا، مثل صعوبة فهم اتساع حضارة الديناصورات وخشونتها. حجم مدينةٍ من مدن النّمل لا يكاد يزيد عن حجمِ ملعبٍ من ملاعب كرة القدم عندنا نحن البشر، وإذا روقبَت المدينة منها بعنايةٍ تحت عدسةٍ مكبِّرة، فإنّ حجمها وتعقيدها مذهلان. يبلغ طول مباني النمل الشاهقة عموماً من متر إلى مترين، وبنيتها الداخلية دقيقة ومعقدة للغاية، تشبه متاهةً ثلاثيةَ الأبعاد. لا يتجاوز حجم قطارات النمل حجم أصغر السيارات اللعبة لدينا، وتشبه المناطيد فقاعات الصابون التي يمكن أن تطفو في الريح. لكنَّ النمل عادةً يسافرُ مسافةً قصيرة فقط، وإذا أراد السفرَ بعيداً، فإنَّه يستقل دائماً قطارات الديناصورات، أو المناطيد، أو السفن.

حافظ عالما النمل والديناصورات على علاقةِ تعاون وثيقة واعتمادٍ متبادل. رغم أنَّ الديناصورات كانت قد اخترعت تكنولوجيا الطباعة، والتي مكَّنتها من طباعة كميات هائلة من الرموز الصغيرة على الورق بسرعة باستخدام الآلات، فقد اخترعت في الوقت ذاته آلاتٍ كاتبةً تتكيفُ على أصابع الديناصورات السميكة، بمفاتيح كلٍ منها بحجم شاشة كمبيوتر، لكن يمكنها بسرعةٍ طباعةُ رموزٍ صغيرةٍ جداً. ورغم أنَّ الديناصورات لم تعد في حاجة إلى مساعدة النمل في أعمال الكتابة، فإنَّ مهارات النمل التشغيلية أصبحت ضرورية وأكثر أهمية في العديد من القطاعات في عالم الديناصورات. فيما يتعلق بصناعة الطباعة ومعالجة النصوص وحدها، فمن دون معالجة عدد كبير من الأجزاء الدقيقة بواسطة النمل، لم يكن من الممكن تصنيع آلات الطباعة والآلات الكاتبة. ومع ظهور الصناعات الكبرى في عالمِ الديناصورات في هذا العصر، زاد الطلب على العمليات الدقيقة في كلِّ مكان؛ من صمَّامات وعدَّادات المحركات البخارية، إلى بوصلات الخطوط الملاحية، كلّها أشياء تتطلّبُ مهارات النمل. أمَّا في المجال الطبي، حيث نشأ تحالف النمل والديناصورات،

فهيمنَ النمل، ولم تتعلَّم الديناصورات ذات الأصابع الغليظة قط إجراءَ الجراحات لمرضاها.

كان عالما الديناصورات والنمل مترابطين ولكنَّهما مستقلان، ما أدى إلى تكوين علاقات اقتصادية أكثر تقدماً. نوعان من العملات المتداولة في المجتمع الأرضي كانا آنذاك: عملاتٌ ورقية بحجم حصائرِ النوم الصيفية، واستخدمتها الديناصورات، والأخرى صغيرة مثل مزق الورق، واستخدمها النمل. وكان يجري تبادل العملتين بقيمة متساوية.

في الألف سنة الأولى من الحضارة الطباشيرية، كانت العلاقة بين عالم النمل والديناصورات متناغمة للغاية، من دون أي صراعاتٍ كبيرة. ويعود ذلك بالتأكيد إلى الترابط بين الجانبين، كما أنَّ تضرر التحالف وتفككه من شأنه أن يؤدي إلى أزمة قاتلة لكلا العالمين. سبب آخر مهم هو أنَّ النمل مجتمع منخفض الاستهلاك، وتلبيةُ متطلباتِه المادية يسيرة، ويحتلُّ مساحةً صغيرة جدّاً، كما أنَّه يمكن لمناطقَ كثيرة من أراضي إمبراطورية النمل أن تتعايش بسلاسةٍ مع إمبراطورية الديناصورات، لذلك لا توجد منافسة كبيرة على البقاء بينهما.

لكن الاختلافات الهائلة في البنية الفسيولوجية الاجتماعية بين النوعين انعكست حتماً في شكل فجوة لم يُتغلَّبْ عليها بين الحضارتين والثقافتين. ولهذا السبب، استحالَ أن يصبح عالما النمل والديناصورات عالماً واحداً حقيقياً. مع تقدم الحضارة، أصبحت الصراعات بين ثقافة العالمين أمراً لا مفر منه.

ومع تطور الذكاء، اكتسب النمل والديناصورات إدراكاً متزايداً باتساع الكون الخارجي، لكن استكشاف قوانين الكون العميقة كان لا يزال في بداياته، وبدا العلم واهناً آنذاك، لذلك ظهر الدين، وتطور إلى حالة من الجنون في العالمين. وتجلت فروق الحضارة مع ظهور الدين، وانكشفت الأزمة الخفية التي استمرت طويلاً، وغطت الغيوم الداكنة سماء الحضارة الطباشيرية.

تُعقد قمة النمل والديناصورات السنوية في مدينة الجلاميد، حيث يناقش الحكام الأعلى لإمبراطوريتي الديناصورات والنمل القضايا الرئيسة التي تواجه كلا العالمين.

كانت عاصمتا إمبراطورية الديناصورات وإمبراطورية النمل لا تزالان مدينة الجلاميد ومدينة العاج، ومقارنةً بمدينة الجلاميد العظيمة، بدت مدينة العاج قربها كأنَّها طابعٌ بريدي مُلصَقٌ وغيرُ واضح، لكنَّ مكانتهما تساوت. لذلك حين دخلت الملكة لاسيني، ملكة إمبراطورية النمل قصرَ إمبراطورية الديناصورات المهيب استُقبلت بحفاوةٍ. حين يسافر أعضاء مهمُّون من إمبراطورية النمل، يرافقهم دائماً فريقٌ يُدعى "جيش الكلمات"، وظيفته تركيبُ الكلمات لإكمال المحادثات بين النمل والديناصورات. يعتمد حجم جيش الكلمات على رتبةِ المسؤول، والجيش الذي رافق ملكة النمل هو الأكبر، إذ يبلغ عدده مئة ألف جندية. تبع الجيش الملكة إلى القاعة وسط صوت أبواق حرس شرف الديناصورات؛ تحرك هذا المربع الأسود الذي يبلغ طوله مترين ببطء على الأرض الصقيلة كمرآة، ووقف أمام إمبراطور الديناصورات الذي تقدَّمَ حرس الشرف للترحيب بالملكة. وكان الإمبراطور أوروس أوَّلَ من حيَّاها:

– "هيه هيه، الملكة لاسيني، هل أنتِ أمام هذا المربع الأسود؟ لم ير أحدنا الآخر منذ عام، أليس كذلك؟" انحنى أوروس وحدق إلى الأرض أمام جيش الكلمات فترة طويلة وهزَّ رأسه قائلاً: "أذكرُ أنَّني في المرة الأخيرة التي التقينا فيها كان لا يزال بإمكاني رؤيتك، لكن الآن لا أستطيع! أوه، لقد تقدَّمتُ في السن وضعفَ بصري!".

تفكَّك المربع الأسود ثم اندمج بسرعةٍ وشكّل سطراً من كلماتٍ كبيرة: "ربما لون الأرضية غير مناسب، يجب استخدام الرخام الأبيض هنا حتى تتمكن من رؤيتي. لاسيني، حاكمة إمبراطورية النمل تشيد بصاحب الجلالة أوروس حاكم إمبراطورية الديناصورات".

ابتسم أوروس وأومأ قائلاً: "هيه هيه، كما أتقدم باحترامي لصاحبة الجلالة الملكة المحترمة. أعتقد أنَّ مبعوث الإمبراطورية قد أبلغكم بالفعل بجدول أعمال هذه القمة".

رَنت إلى إمبراطور الديناصورات الشاهق، وهزت قرني استشعارها وأصدرت إجابتها الخاصة باستخدام الفيرمونات. بعد تلقي الإجابة، مرَّرت القائدات في الصفوف الأمامية من الجيش التعليمات بسرعة إلى التشكيل التالي، فغيَّرت الجنديات المدربات جيداً صفوفهن مثل آلة كاملة، وفي لحظة، رتبنَّ كلمات الملكة: "إنَّ قمتنا تهدف إلى حل الخلاف الديني بين العالمين، كانت هذه القضية تؤرقنا منذ عهد الإمبراطور الراحل، وأصبحت الآن أكبر أزمة يواجهها تحالف النمل والديناصورات، أعتقد أنَّ جلالتك يرى أن العالم على شفا كارثة نتيجة لذلك".

أومأ أوروس برأسه مرة أخرى: "نعم جلالة الملكة، أعتقد أنَّك تدركين أيضاً صعوبة حل هذه الأزمة. من أين تقترحين أن نبدأ؟".

فكَّرت الملكة لحظاتٍ وأجابت، فرتب الجيش مضمون الإجابة على الأرضية الرخامية بسرعةٍ كالبرق: "فلنبدأ من حيث توصلنا بالفعل إلى توافق في الآراء".

- "جيد جدّاً، جيد جدّاً. يرى كلٌّ من الديناصورات والنمل أنَّه لا يمكن أن يكون في هذا العالم إلا إله واحد".

- "نعم، لا يمكن أن يكون هناك سوى إله واحد في هذا العالم".

صمتَ الإمبراطوران للحظة، فقال أوروس: "بعد ذلك، يجب أن نناقش شكلَ هذا الإله، رغم أنَّنا تناقشنا في هذا الأمر آلاف المرات".

ردَّت لاسيني: "نعم، هنا يكمن جوهرُ الخلاف، وهنا تكمن الأزمةُ أيضاً".

ردَّ إمبراطور الديناصورات: "ولا شكَّ أنَّ الإله في شكل الديناصور، وقد رأيناه في معتقدنا، إنَّه مزيج من صور الديناصورات المختلفة".

ردَّت ملكة النمل: "لا شكَّ أنَّ الإله في شكل النمل، وقد رأيناه أيضاً في معتقدنا، وهو مزيج من صور النمل المتنوعة".

ابتسم أوروس وهز رأسه قائلاً: "جلالة الملكة لاسيني، لو أنَّك تتمتعين بقليل من المنطق والحس السليم، فلن يكون من الصعب حل هذه المشكلة. هل تؤمنين حقّاً أنَّ الإله حشرة صغيرة تشبه الغبار مثلك؟ هل يستطيع إله مثل هذا أن يخلق عالماً شاسعاً كهذا؟".

ردَّت الملكة: "لا تُقاس القوة بالحجم، فالديناصورات أيضاً غبار مقارنةً بالجبال والمحيطات".

ردَّ أوروس: "لكنْ لدينا فكرٌ وإبداعٌ، وذلك ما تفتقرون أنتم إليه. مجتمع النمل مجرد آلة كبيرة دقيقة، وكل نملة ما هي إلَّا جزءٌ صغيرٌ فيها".

ردَّت لاسيني: "الفكر وحده لا يستطيع خلق العالم. فكِّرْ في الأمر، من دون مهارات النمل، معظم اختراعات وإبداعات الديناصورات لا يمكن أن تتحقق. من الواضح أنَّ خلق العالم مهمة دقيقة ومُتقنة لا يستطيع إنجازها إلَّا إله النمل".

انفجر أوروس ضاحكاً: "ها ها ها، أكثر ما لا أطيقه فيكم أيُّها النمل هو افتقاركم للخيال. ربما لا تصلحُ أدمغتكم الصغيرة إلَّا للتفكير الحسابي البسيط، إنَّكم حقّاً مجرد تروس في آلة".

وبينما كان يتحدث، انحنى واقترب بوجهه من الأرض، وهمس لملكة النمل التي لم تزل غير مرئية له: "أقول لك، حين خلق الإله العالم، لم يكن في حاجة لاتخاذ أي إجراء، بل جسَّد أفكاره فحسب، وإذا بأفكاره تصبح العالم! ها ها ها ها...". ثم استقام مرة أخرى وضحك.

ردَّت لاسيني: "صاحب الجلالة، لست هنا لمناقشة الميتافيزيقا معك. ويجبُ أن نحلَّ في هذا الاجتماع هذه القضيّة التي طال أمدها بين العالمَين".

رفع أوروس مخلبيه الكبيرين وقال بصوت عالٍ: "آه، ها قد توصّلنا إلى اتفاق آخر! أجل، لا بُدَّ من حلِّ المسألة هذه المرَّة! عزيزتي صاحبة الجلالة، يمكنك أولاً اقتراحُ حلِّك".

ردَّت بسرعة، فأضاف جيش النمل حدّاً حول الرموز الكبيرة عند عرض كلماتها لتأكيد جديتها: "على إمبراطورية الديناصورات هدم جميع الكنائس المخصصة لآلهةِ الديناصورات على الفور".

نظر أوروس إلى الوزراء المحيطين به ثم ضحك بشدة: "هيه هيه، أيتها الحشرة الصغيرة، تتحدثين بثقةٍ كبيرة! ها ها ها ها!".

أكملت لاسيني: "سيعلِّقُ النمل جميع أعماله في إمبراطورية الديناصورات وينحسب انسحاباً كاملاً من جميع مدنها، ولن يُستأنف العمل حتى تُهدَمُ كنائسكم وفقاً لمتطلباتنا".

ردَّ أوروس: "وأُعلن أيضاً إنذاراً نهائيّاً من إمبراطورية الديناصورات: على إمبراطورية النمل هدم جميع الكنائس المخصصة لآلهة النمل في مدن النمل خلال أسبوع، وبمجرد انقضاء المدة، سيسحق جيش إمبراطورية الديناصورات جميع مدن النمل التي لا تزال بها كنائس".

سألت لاسيني بهدوء: "هل هذا إعلان حرب؟".

ردَّ أوروس: "آمل ألَّا تندلع حرب، وإلَّا، ألن يفقدَ جيشُ الديناصورات ماءَ وجهِه حين مواجهتكم أنتم أيتها الحشرات الصغيرة؟".

لم تجب ملكة النمل، بل استدارت وغادرت. أفسح تشكيل جيش الكلمات المجالَ أمامها، ثم انضمَّ على الفور بعد مرورها، وتبع ملكته خارج القصر. في هذه اللحظة، سَرَت ضجة صغيرة بين الديناصورات، ورأوا النمل يزحف خارجاً من أعشاشه الكروية الصغيرة التي حملها على أجسامه أو التي وضعها على الطاولة. ورغم أنَّ صناعة الطباعة أصبحت آلية في عالم الديناصورات، فإنَّ بعضها لم يزل يعتمد على النمل في التدوين، وكانت تحمل أعشاش النمل الصغيرة، تماماً كما نحمل الأقلام. وتأتي أعشاش

النمل هذه بأحجام مختلفة، ومنها أعشاش أنيقةٌ جدّاً، والتي أصبحت زينةً أساسية ورمزاً للمكانة والثروة بين الديناصورات. لكن النمل الموجود في الأعشاش ليس مِلكاً للديناصورات، بل يجب تعيينه من إمبراطورية النمل، لذا يطيع في النهاية تعليمات الملكة فقط. والآن يزحف هذا النمل من الطاولة أو من فوق الديناصور إلى الأرضية، وينضم إلى الجيش المغادر.

صاح وزيرٌ من الديناصورات: "يا إلهي، كيف يمكنني كتابة المستندات ومراجعتها في المستقبل إذا رحلتَ؟!".

لوَّحَ أوروس بمخالبه وقال بازدراء: "سيعودُ قريباً إلى العمل، لا يستطيع البقاء من دوننا. هيه، وسنُظهر قريباً لهذه الحشرات الصغيرة من يملك حقّاً قوةَ الإله!".

استدارت لاسيني، التي كانت قد وصلت بالفعل إلى البوابة، وقالت شيئاً. وسرعان ما شكَّلَ الجيشُ مجموعةً من الكلمات: "هذا بالضبط ما تريد إمبراطوريةُ النمل أن تروه!".

(٥)
ترسانةُ النمل

-"ماذا؟ سنخوض حرباً ضدَّ الديناصورات؟! أَليسَ هذا جنوناً؟ حجمها ضخم، وحجمنا صغيرٌ جدّاً...". صاحت إحدى وزيرات النمل، وكان هذا في قصر إمبراطورية النمل في مدينة العاج، حيث انتهت القيادة الإمبراطورية العليا للتو من الاستماع إلى رواية الملكة عن تفاصيل قمة النمل والديناصورات.

قالت المارشال دونغليرا، القائد الأعلى للجيش الإمبراطوري: "لقد حققت الإمبراطورية نجاحاً ساحقاً وقطعت شوطاً طويلاً، ولو أنَّ أحدهم يستخدم الحجمَ الفردي مقياساً للقوة، فلا بُدَّ أنَّه أحمق!" ثم التفتت إلى الملكة وأكملت: "صاحبة الجلالة، اطمئني، الجيش الإمبراطوري لديه القدرة على هزيمة تلك الوحوش الغبية".

-"الكلام سهل!"، استنكرت الوزيرة كلام المارشال وقالت: "صحيح، خاض جيش النمل الذي تقودينه أنتِ معارك لا حصر لها، بل وقاتل في قارات أخرى على قوارب الديناصورات، لكن تلك كانت مجرد معارك ضد قبائل النمل غير المتحضرة، إذا كنا سنقاتل حيوانات يفوق حجمها حجمنا بكثير، فأشك في أنَّ واحدةً من فرقك بوسعها أن تهزم ولو سحلية!".

أومأت الملكة بقرني استشعارها للمارشال: "نعم يا دونغليرا، لا أريدُ كلاماً فارغاً، بل تكتيكات استراتيجية مفصلة. ستبدأ الحرب في غضون أسبوع، كيف سيخوضها الجيشُ الإمبراطوري؟".

ردَّت المارشال: "بعد آلاف السنين من تقديم الخدمات الطبية، أصبحنا على دراية ببنية أجسام الديناصورات، سيتسلل الجيش الإمبراطوري إلى داخل أجسامها ويهاجم الأعضاء الحيوية، وفي مثل هذا النوع من القتال، فإنَّ الحجم الصغير ميزتنا".

سألت إحدى الوزيرات: "كيف ستدخلن؟ وهي نائمة؟".

هزَّت المارشال قرنَي استشعارِهَا وقالت: "لا، من الناحية الأخلاقية، لا يمكننا أن نبدأ نحن الحرب. سَيُنَفَّذُ هذا الهجوم على الديناصورات في ساحة المعركة بكل تأكيد".

- "القول أسهل من الفعل! الديناصورات في ساحة المعركة مستيقظة وتركض، هل ستستطيع جنديَاتك تسلقها؟ حتى إن توقف الديناصور وسمح لك بالصعود على قدميه، فكم ستستغرق من الوقت للوصول إلى أنفه أو فمه؟ بحلول الوقت الذي تخترق فيه قواتُكِ أجسامها، ستكون قد دعست عاصمتنا!".

لم تُجب المارشال مباشرة، بل جالت ببصرها في جميع النمل الموجود في المقر وقالت: "أيُّها الحضور، توقعت الملكة لاسيني، البصيرةُ والحكيمة، منذ فترة طويلة انهيارَ تحالف النمل والديناصورات الذي حدث اليوم، وفي بداية حكمها، أمرت الجيش الإمبراطوري ببدء الاستعدادات للمعركة ضد الديناصورات. وبعد بحثٍ طويل، طوَّرنا عدداً كبيراً من الأسلحة الجديدة وأساليب القتال لمواجهةِ الديناصورات. يُرجى الخروج وسنعرضُ اثنتين من المعدَّات الرئيسة".

تجمَّع كلُّ النمل من القيادةِ العليا في الساحة خارج القصر. رفعت أكثر من عشرين جنديةٍ معدَّاتٍ ذوات مظهر غريب، هي في الواقع مقلاع صغير مثبت على قاعدة طويلة. عملت جنديات النمل معاً على شد الوتر المطاطي للمقلاع، وربط جيبه الخلفي بآلية على طرف القاعدة الآخر. بعد ذلك، زحفت أكثر من عشرين جندية إلى داخل الجيب وتعانقنَّ بشدة، وشكلنَّ

في داخله قذيفة سوداء. ثم سحبت جندية نملة بجوار القاعدة رافعة صغيرة، ما أدى إلى إطلاق آلية الجيب، وقُذِفَت الرصاصةُ السوداء بحركةٍ خاطفة، إلى ارتفاع يزيدُ على عشرة أمتار. وعندما وصلت إلى أعلى نقطة، تفككت الرصاصة بسرعة، وحلَّق في الهواء أكثر من عشرين نملة، وتلألأت أجسامُها السوداءُ في ضوء الشمس.

شرحت المارشال: "تُسمَّى هذه المعدّاتُ منجنيق كرة النمل ويمكنها حلُّ المشكلة التي طُرِحت للتو".

ردَّت إحدى الوزيرات مستنكرةً: "هيه، تشبهُ ألعاباً بهلوانيةً عديمةَ الفائدة".

وقالت وزيرةٌ أخرى: "الأساس الاستراتيجي للجيش الإمبراطوري هو الهجوم، والأهداف القتالية التي اقترحتها سابقاً هي: الهجوم والهجوم مرَّة أخرى. الآن يبدو أنَّ كل شيء يحتاج إلى التغيير إلى الدفاع ثم الدفاع".

أجابت المارشال: "لا، يظلُّ الهجومُ الأساسَ الاستراتيجي للجيش الإمبراطوري".

- "كيف؟ حتى إن كانت ألعابك الصغيرة مثل منجنيق كرة النمل تعملُ حقّاً، من الواضح أنَّنا لا نستطيع استخدامها لمهاجمة مدينة الجلاميد، كل ما يمكننا فعله هو انتظار الديناصورات لمهاجمة مدننا".

- "حسنٌ، سنعرضُ سلاحاً لمهاجمة مدن الديناصورات".

لوَّحَت المارشال بقرني استشعارها وأحضر عددٌ من الجنديات بضعَ كراتٍ صفراء، تشبه حبَّات أرزٍ صغيرة. استدارت جندية ورشت قطرة من حمض الفورميك على إحدى الجزيئات، وبعد دقيقةٍ، اشتعلت الكرة الصغيرة، وانبعث منها ضوء أبيض باهر، واستمر الاشتعال الشديد أكثر من عشر ثوان قبل أن ينطفئ.

- "يُطلق على هذا السلاح "ذرات الألغام"، نوع من القنابل الحارقة الموقوتة، إذ يُفعَّلُ الصَّمَّامُ برش حمض الفورميك عليه، وبنطاق توقيت من

بضع ثوانٍ إلى بضع ساعات. بعد أن يتغلغل حمضُ الفورميك في قشرتها، تحترق الذرَّات، ما يولِّد حرارة عالية ويمكن أن يشعل جميع المواد القابلة للاشتعال".

هزَّت الوزيرات قرون استشعارهن باستياء، وقالت إحداهن: "إنَّها حقّاً لعبة أطفال. حتى إن اشتعلت هذه الكرة الصغيرة على رأس إمبراطور الديناصورات، فلن يكون أسوأ من حرق سيجارة! هل يمكن لهذا الشيء أن يدمر مدينة الجلاميد؟".

- "سوف ترون قوتها!" قالت المارشال بثقة.

(٦)

حربُ الديناصورات والنملِ الأولى

بعد هطول أمطار غزيرة الليلة الماضية، انقشعت الغيوم القاتمة وبشَّرت بصباحٍ مشرق. كانت السماءُ صافيةً والهواءُ نقيّاً، وبدا كل شيء على الأرض جليّاً تحت ضوء الشمس المشرقة، كأن الطبيعة هيأت الساحة لهذه المعركة الكبرى التي ستحدد مصير الحضارة الطباشيرية.

اندلعت الحرب في السهل الفسيح بين مدينتي الجلاميد والعاج، وبالنظر من هنا في اتجاهين متعاكسين، لاحت عاصمتا إمبراطوريتي الديناصورات والنمل في الأفقين.

شكَّلَ ألفا جندي ديناصور كتيبةً تواجه مدينة العاج، بدت في عين النمل في المدينة كجدارٍ شاهقٍ يرتفع في السماء. على عكس المعارك السابقة بينها، لم ترتدِ الديناصورات دروعاً أو تحمل أسلحة. وقيل لها إنَّ كلَّ ما عليها فعله في أثناء الهجوم، هو الاصطفاف والتقدم عبرَ مدينةِ النمل.

على الجانب الآخر من كتيبة الديناصورات، شكَّلت عشرة ملايين نملة من مدينة العاج مئات الكتائب، وغطَّت الأرضَ بمِلاءةٍ سوداء.

متقدماً كتيبة الديناصورات، كسر تيرانوصوروس الصمت، كان اللواء إيسيتا، وبدا صوته كدويِّ رعدٍ مفاجئٍ في السماء: "أيتها الحشرات، لم يبقَ إلَّا عشر دقائق على الموعد النهائي الذي حددته الإمبراطورية، إذا عدتِ إلى مدينتك الآن لهدم كنائسكِ، ثم عدتِ إلى مدينة الجلاميد لاستئناف العمل، فبوسعي إمهالك بعض الوقت، وإلَّا فسيشنُّ جيش الإمبراطورية هجومه! ولا تستهيني بالألفي ديناصور، فهي أقل من جزء من الألف من القوة الإجمالية

للجيش الإمبراطوري، ولكنَّها قادرة على تسوية عاصمة إمبراطورية النمل بالأرض! المدن التي يبنيها أطفالنا من المكعبات أكبر من مدينتك، بوسعهم إغراقها بالبول ها ها ها ها!".

غمر صمتٌ مطبق ساحة المعركة، وارتفعت شمس العصر الطباشيري بهدوء، ومرَّت الدقائقُ العشرُ بسرعة.

أصدر اللواء أمره بصوت مرتفع: "هجوم!" وبدأت كتيبة الديناصورات التقدم. اهتزت الأرض قليلاً تحت خطاها بإيقاع منتظم، وظهرت تموجات في البرك التي كوَّنها المطر. ظلت جبهة النمل بلا حراك.

صاح اللواء في كتائب النمل السوداء التي تتقدم شيئاً فشيئاً: "الملكة لاسيني والمارشال دونغليرا، لا أرى أين أنتما، ولكن إن لم تأمرا كتائب الحشرات هذه بإفساح الطريق، فستسحقها أقدامنا الكبيرة وتحولها إلى عصيدة! ها ها ها!".

في هذه اللحظة، رأى اللواء إيسيتا تغييراً ملحوظاً في صفوف النمل، وحين أمعن النظر، وجد عدداً لا يُحصى من أشياء صغيرة بين الكتائب، كأنَّ عشباً نما فجأة من الأرض السوداء. كانت مئة ألف منجنيق من كرات النمل! من المؤكد أن إيسيتا لم يميز ماهية هذه الأشياء وساورته الشكوك، لكنَّ كتيبةَ الديناصورات استمرت في التقدم. وحينها حدث تغيُّرٌ ثانٍ في كتائب النمل بغتةً: تكثَّفت الرقعة السوداء على الأرض وتحوَّلت فجأة إلى عدد هائل من الكريات، فلم يتمالك نفسه من تذكُّرِ التغيُّرِ السحري في تشكيل جيش الكلمات. ولوهلة ظنَّ إيسيتا حقّاً أنَّ العشرةَ ملايين نملةٍ ستشكِّلُ كلماتٍ ما، لكنَّ كريات النمل الكثيفة لم تتغير. واصلت كتيبة الديناصورات تقدمها إلى أن أصبحت على بُعد عشرة أمتار فقط من كتائب النمل. كان إيسيتا قد تمكَّن وقتها من رؤية هيكل المنجنيق بوضوح، وهو عبارة عن سلسلة نبالٍ مشدودةٍ وصغيرةِ الحجم للغاية، كلُّ جيبٍ مُحمَّلٌ بكرةِ نمل! ارتفعت طقطقة طفيفة ولكن مُركَّزة، مثل صوت مطر غزير يضرب سطح الماء، وأُطلقت مئةُ ألفِ كرةِ نملٍ في الهواء، تشبه ذباباً مذعوراً يغطي رقعةً واسعة، وعادت الأرض

أمامها إلى لونها الأصلي فوراً. ارتفعت الكريات المتضامَّة -التي يحتوي كلٌّ منها على عشرات النملات- إلى الصفوف الأمامية لكتيبة الديناصورات وتفككت، فتساقط وابلُ نملٍ من السماء! أصبحت المساحة المحيطة بالديناصورات مليئة بالنمل المتساقط، وقد تستنشقه مع أنفاسها إذا لم تنتبه! صفعت الديناصورات أجسامها ورؤوسها بهياجٍ، وانتشرت الفوضى في الكتيبة.

بعض النمل الذي هبط على رأس اللواء إيسيتا جرفته مخالبه الكبيرة، بينما اختبأ الجزء الآخر في ثنايا جلده الخشن لتجنب أن تكتسحها مخالبه. وعندما تحركت مخالبه لتصفع جسمه، زحف عددٌ من جنديات النمل إلى حافة جبين الديناصور بحثاً عن عينيه. بدا للنمل في أثناء زحفه على الرأس العريض لهذا التيرانوصورس، أنَّه يزحف على هضبة مليئة بأخاديد متقاطعة تتمايل مثل أرجوحة، فتشبث بها لكيلا يُقذَف. وحين وصل إلى حافة رأسه، رأى مشهداً مذهلاً: تخيل أنَّك تقف على قمة جبل تاي، والجبل يسير على الأرض بزوجين من الأرجل العملاقة! والأشدُّ رعباً أنَّه حين ترفع رأسك سترى الآلافَ من جبال تاي تتجول! عثرت جنديات النمل على عين الديناصور اليمنى، التي بدت لهن كبركة دائرية متجمدة، ذات سطح شبه شفاف، ناتئ قليلاً ومائل إلى الأسفل بزاوية كبيرة. زحفت ثلاث جنديات بحذر على سطح "البركة المتجمدة" الأملس، وعلى جفن الديناصور الجليدي الرطب، كُنَّ سينزلقن إن لم يأخذنَ حذرهنَّ ويسقطنَ في الهواء. استخدمت النملات فكوكنَّ القوية لمضغ "الجليد الرطب"، فدمعت عينُ الديناصور بسبب تهيجها، وانهمرت على "السطح الجليدي" لـ"البركة" مثل سيلٍ جبلي، دافعةً النملات الثلاث معاً خارجَ جفنِه.

وبينما كان هذا التيرانوصورس يفرك عينيه، دخلت ثلاث جنديات أخريات من النمل الذي كان على رأسه بسرعة إلى أنفه، وفي عواء الرياح القوية، تقدمن وانجرفن بمهارةٍ في غابة شعر الأنف المتقاطعة لتجنب أن يعطس الديناصور. وسرعان ما عبرنَ التجويف الأنفي إلى الجزء الخلفي من

مقلة العين، متبعات المسار المألوف لعددٍ هائل من العمليات الجراحية التي أجرينها في السابق. تقدَّمن على طول العصب البصري الشفاف متجهاتٍ نحو الدماغ. وبين حين وآخر يسد غشاءٌ رقيقٌ طريقَهن، فيحدثن ثقباً بقضمه، وهذه الثقوب صغيرة جدّاً فلا تشعر الديناصورات بها. وصلت النملات الثلاث أخيراً إلى الدماغ، الذي كان متدلياً بهدوء في السائل النخاعي، مثل كائن حي مستقل وغامض. وبعد بحث دقيق، سرعان ما عثرن على الشريان الدماغي السميك، وهو القناة الرئيسة لتزويد الدماغ بالدم. ورأين من خلال جدار الأنبوب الشفاف، الدم الأحمر الداكن يندفع عبره بصوتٍ هادرٍ عميق. كان دماغ إيسيتا الآن مثقلاً بحملٍ زائد، إذ يعمل على معالجة معلومات هائلة من ساحة المعركة ترسلها الأعصاب البصرية والسمعية، ويزود هذا الدم المتدفق الدماغ بالطاقة والأكسجين للعمل. كانت النملات الثلاث متخصصات في جراحة الأعصاب، وقد زرنَ مواضع كهذه مرَّاتٍ لا تُحصى لتنظيف الأوعية الدموية الدماغية المسدودة، وأنقذنَ حياةَ عددٍ لا يُحصى من الديناصورات. لكنهنَّ سيفعلن العكس الآن. بدأت النملات في قطع جدران الأوعية الدموية بفكوكهن الحادة، وعملنَ بمهارةٍ وحذر شديدين. وحين شكَّلت الخدوش الثلاثة العميقة دائرة مغلقة، انسحبت النملات فوراً، ولم يرغبن في رؤية النتيجة النهائية، إذ بصفتهنَّ متخصصات جراحيات ذوات خبرة، فإنهنَّ يعرفن ما سيحدث. بمجرد أن غادرن، وبسبب ضغط الدم القوي، نزحت قطرات دم من الخدوش على جدار الشريان. ومثل زجاج خُدِشَ بقاطع زجاج، تمزقت الجروح، وتفكك الجزء الدائري الصغير من جدار الشريان، مشكلًا ثقباً دائريّاً على جدار الأنبوب. تدفق طوفانُ دمٍ من الثقب إلى السائل النخاعي في تموجات تشبه الدخان، وسرعان ما صبغ اللونُ الأحمر كلَّ شيء. ارتجف الدماغ الذي فقد إمداده بالدم، وازداد شحوبه. في هذه اللحظة، كان إيسيتا يهتف بالأوامر في ساحة المعركة الفوضوية، محاولاً إعادة تنظيم كتيبة الديناصورات. فجأة أظلم كلُّ شيء أمامه، وبدأ العالم يدور في هذا الضباب الأسود. شعرت النملات المُسرعةُ في أنفه لوهلةٍ بانعدام الوزن، أعقبها ارتطام عنيف، فانقلب العالم حولها ثم

توقف على الفور. عرَفت النملات أنَّه سقط على الأرض، ثم توقفت عاصفة الأنفاس من فتحتي الأنف، واختفت كذلك نبضات قلبه الخافتة البعيدة. مات إيسيتا، التيرانوصورس، اللواء في جيش إمبراطورية الديناصورات بالفعل في المعركة، بسبب نزيف دماغي.

سقطت الديناصورات في ساحة المعركة واحداً تلو الآخر، وإضافة إلى التي تعرضت لهجوم على أدمغتها مثل قائدها، مات بعضها بسبب إصابة القلب والشرايين أو الشلل من جرَّاء قطع الحبل الشوكي. شنَّ النملُ هجومه على أجسام العدو بالدخول عبر الأذنين والأنف والفم. قُتل وجُرح أكثر من ثلاثمئة جندي من الديناصورات بعد سلسلة الهجمات تلك، واكتظَّتْ أرض المعركة بأجسام ضخمة، وتردَّدت أصداء العويل المرعب للديناصورات المحتضرة. خافَ جنودُ الديناصورات الناجون من هذا المشهد الكابوسي، وهربوا من ساحة المعركةِ بفوضى شديدة، لكنَّ جنديات النمل واصلنَ هجماتهن داخل الكثير من الديناصورات، التي استمرت في التساقطِ على طول الطريق.

وفي أثناء ردع هجوم جيش الديناصورات على مدينة العاج، باشرت إمبراطورية النمل عملية عسكرية ضخمة أخرى.

في مدينة الجلاميد، عاصمة إمبراطورية الديناصورات، لم تعرقل الحرب ضد عالم النمل الحياة اليومية. لم يؤد رحيل النمل إلى عواقب وخيمة على المدى القصير، بل إن فقدان خدماتِه لم يزعج حياةَ الديناصورات إلَّا قليلاً. أمَّا الحرب، فإنَّ عامةَ الديناصورات لم تولِ اهتماماً كبيراً لها. كانت على يقين من أنَّ جهد جيش الديناصورات العظيم في هزيمة الحشرات الصغيرة التي لا تكاد تُرى، لا يتطلب أكثر من رفع مخالبها. ورأت أنَّ حشد الإمبراطورية لألفي جندي من أجل تدمير مدينته التي تشبه صندوق الرمل لطفل لا يستحق، مثل ذبح دجاج بساطور ثور، وربما رغب الإمبراطور في إظهار قوة الإمبراطورية للنمل ليس إلَّا.

في الصباح، دبت الحياة في عاصمة الإمبراطورية ككلِّ يوم. وانطلقت آلاف الحافلات الضخمة إلى شوارع المدينة المختلفة من المحطة عند البوابة الشرقية للمدينة. وفي هذا العصر لم تكن الحضارة الطباشيرية قد استخرجت النفط واستخدمته، وكانت الحافلات -مثل القطارات- تعملُ بمحركات بخارية ثقيلة. تشبه كل مركبةٍ قطاراً ضخماً، يتصاعد البخار من أعلاه في أثناء سيره. لذلك خلال النهار، يغطي البخار دائماً شوارع مدينة الجلاميد، ويمر عبره عددٌ لا يحصى من مركباتٍ بحجم مبانينا. واليوم، وعلى متن هذه الحافلات، إضافة إلى ركاب الديناصورات، كانت مجموعة أخرى من الركاب قد تسللت إلى الحافلات الليلة الماضية؛ مجموعات من جنديات النمل. وحملت الحافلة رقم ١، المسؤولة عن الخط الرئيس للمدينة العدد الأكبر من النمل المتسلل، فرقة جيش كاملة تحتوي على أكثر من عشرة آلاف نملة! اختبأ النمل في أماكن غير مرئية مثل أسفل عتبات الأبواب، وصندوق المعدات، الهيكل السفلي، ومستودعِ فحمِ تشغيلِ المحركاتِ البخارية. كان من السهل إخفاء فرقة جيش النمل على حافلةٍ بخاريةٍ ضخمةٍ كهذه.

بعد عشر دقائق من انطلاق الحافلة رقم ١ في الشارع الصاخب المشبَّع بالبخار، وصلت إلى محطتها الأولى. عقب نزول العديد من ركاب الديناصورات من الحافلة، كانت هناك أيضاً مجموعة كاملة من مائتي جندية نمل متشبثة في الجانب السفلي لعتبة الباب، كل منها يحمل ذرَّة ألغام في فمها. زحف جيش النمل بهدوء، بعد نزوله من الحافلة، عبر الشقوق الحجرية على جانب الطريق، وامتزجت أجسامه الصغيرة السوداء بسطح الطريق الرطب، ولم تدرك الديناصورات السائرةُ في الشوارع الضبابية وجوده. كانت ديناصورات تمرُّ من حينٍ لآخر من فوق الكتيبة، وتغرق أجسامها الضخمة الأرضَ تحتها في الظلام، وأحياناً تهبط أقدامها مباشرة على الشقوق التي يسير فيها النمل، لكنّه تقدَّم من دون عوائق. وصل إلى مبنى شاهق، حتى إنّ بوابته بدت للنمل كأنَّها تعانقُ السحاب، بينما البخارُ يحيطُ طوابقَه العليا.

تسلل جيش النمل من ثغرةٍ تحت البوابة. كانت مباني الديناصورات شاهقة، ومثّل كلٌّ منها عالماً منفرداً بالنسبة إلى النمل، والوجود داخلها لا يختلف عن الوجودِ في البرية. تقدَّم النملُ زاحفاً بين أكوامِ البضائع، عبرَ الأرضيةِ الواسعةِ لهذا المستودع. كان عالماً معتماً، والشمسُ الوحيدةُ نافذةٌ صغيرةٌ عالية تبعث ضوءاً شحيحاً. عثر النمل على هدفه بسرعة: صف براميل خشبية ضخمة. لم يكن عالم الديناصورات قد دخل عصر الكهرباء، وكان يستخدمُ مصابيحَ الزيتِ للإضاءة ليلاً، والبراميلُ الشاهقةُ هذه فوق النمل تحتوي على الكيروسين. بحثت جنديات النمل بعناية وعثرن على عدَّةِ مواضع رطبة على الأرض، أي وجدن أين يتسرَّبُ الكيروسين من البراميل. ثم ألصقن ذرات الألغام المحمولة بين فكوكهن بمواضع التسريب. وسرعان ما زُرِعَ أكثرُ من مئةِ ذرَّةِ ألغام في مواقعها، ووجهت الجنديات مؤخراتها البطنية نحوها، وبأمرٍ من الملّازم الأول، رشَّت حمضَ الفورميك على الذرَّات، ما أدَّى إلى تآكل سطحها ببطء، وضُبِطَ توقيتُ احتراقِها وتنشيطِها عقبَ ست ساعات، لتشتعلَ الذَّراتُ الساعةَ الثانيةَ ظهراً.

وفي تلك الأثناء، كلَّما توقفت حافلة من آلاف الحافلات في محطة، نزل جيش من النمل المتسلل ودخل المدينة. بحلول الظهر، كانت ملايين الجنديات من مئة فرقة عسكرية تابعة لإمبراطورية النمل قد تغلغلت في مختلف أركان مدينة الجلاميد، وزرعت ذرَّات الألغام التي تحملها في كل موضعٍ قابل للاشتعال. توزعت هذه الذرَّات التي يزيد عددها على المليون في الوكالات الحكومية، ومراكز التسوق والمدارس والمكتبات والمباني السكنية، وحُدِّدَ وقتُ انفجارها في الساعةِ الثانيةِ ظهراً.

في قصر إمبراطورية الديناصورات، أيقظ عدة ضباط الإمبراطور أوروس، وهم من الديناصورات التي انسحبت من ساحة معركة هجومها على مدينة العاج. كان قد سهر في مأدبة الليلة الماضية برفقة عدة حكام من قارة لوراسيا، ولم ينم إلَّا فجراً. وحين علمَ من الضباط أنَّ اللواء إيسيتا لقي حتفه، وأنَّ أكثر من نصف جيش الديناصورات البالغ عدده ألفين قد قُتل

وأُصيب، شعر للحظة أنَّه يستمع إلى حكايةٍ خيالية، فانتابه غضبٌ شديد. وبينما أوشك أن يأمر بمحاكمة عسكرية لهؤلاء المهملين الَّذين لا نفع منهم، حدث شيء أنارَ بصيرته بشأن خطر النمل. صرخ قائد حرس القصر -الواقف إلى جانب السرير حاملاً قطعة قماش- صرخةً مذعورة.

وبَّخه أوروس: "أيها الغبي، ماذا تفعل بغطاء وسادتي؟!" شعر أنَّ كل من حوله اليوم أغبياء ولا فائدة ترجى منهم، ويجب إعدامهم جميعاً.

- "... صاحب الجلالة، لقد اكتشفت هذا للتو، انظر". رفع الحارس غطاء الوسادة أمامه، وكان صفٌّ من ثقوبٍ صغيرة مقضومة راسمةً كلماتٍ من عددٍ لا يُحصى من النمل، الذي يبدو جليّاً أنَّه تسلَّلَ إلى القصر وقت نوم الإمبراطور:

يمكننا قتلُكَ في أي وقت!

نظر أوروس إلى غطاء الوسادة، وسرت برودة في جسده، فارتجف ونظر حوله كما لو أنَّه رأى شبحاً. انحنت الديناصورات الأخرى بسرعة وبدأت البحث، لكنَّها لم تعثر على أيِّ أثرٍ للنمل. إذ لا برهانَ على مجيئه حقّاً إلَّا صف الكلمات على الوسادة، ولم تعلم الديناصورات أنَّ جيش النمل الذي تسلَّلَ إلى القصر لم يترك هذه الكلمات فحسب، بل ترك أيضاً الآلاف من ذرَّات الألغام. زُرِعت تلك الكريات الصفراء التي يصعب على الديناصورات رؤيتها بالعين المجردة على الناموسية وقوائم السرير والأرائك والأثاث الخشبي الشاهق والفخم، وبين جبال الوثائق المكدسة... كانت أسطح الذرَّات تتآكل بسبب حمض الفورميك، ومثل الملايين من ذرَّات الألغام في مدينة الجلاميد، ضُبِطَ توقيتُ اشتعالِها أيضاً عند الساعة الثانية ظهراً.

انتصبَ وزير حربية إمبراطورية الديناصورات قائماً وقال للإمبراطور: "صاحب الجلالة، لقد حذرتك منذ فترة طويلة أنَّه في الحروب بين الأنواع المختلفة، الضخم له قوته، والصغير له مزاياه، لا يمكننا أن نستخف بالنمل".

تنهد أوروس وسأل: "إذن، ما خطوتنا القادمة؟".

- "اطمئن يا صاحب الجلالة، لقد استعدَّت هيئة الأركان العامة لذلك، أؤكد لك أنَّ الجيش الإمبراطوري سيسوي مدينة العاج قبل حلول الظلام".

بعد ثلاث ساعات من فشل الهجوم الأول، شنَّ جيش الديناصورات هجوماً ثانياً على مدينة العاج.

لا يزال عدد القوات ألفي ديناصور، وتقدمت نحو مدينة العاج بتشكيل الكتيبة كالهجوم السابق، الفرق أنَّ كل ديناصور يضع على رأسه خوذة معدنية كبيرة.

كرَّرت قوات النمل الإجراء التكتيكي السابق في الدفاع عن مدينة العاج، واستخدم منجنيق كرات النمل لإطلاق مئات الآلاف منه في الهواء فوق كتيبة الديناصورات، ما تسبَّب في هبوط أمطار نملٍ من السماء. لكن هذه المرَّة، لم تستطع جنديات النمل اللواتي هبطنَ على رؤوس الديناصورات الدخول إلى أجسام أعدائهن، فتلك الخوذات المعدنية محكمة الإغلاق، وأقنعتُها مصنوعة من قطعة كاملة من الزجاج، وفتحة التهوية مغطاة بشبكة حديدية دقيقة، وكلٌّ مفصل مُحكم من دون لحام، وقد ثُبِّتَت على الرقبةِ بحبالٍ، ما يوفر حمايةً منيعةً لرؤوسها. حين هبطت قائدة جيش النمل دونغليرا على خوذة ديناصور وتأملتها شعرت بالندم. إذ ساهم حرفيو النمل في صناعة هذه الخوذات قبل شهرين، ونسج الشبكة الحديدية الرقيقة على فتحة التهوية. وقال الديناصور الذي وظَّفه آنذاك إنَّ هذه الخوذات مخصصة لمُربِّي النحل من الديناصورات. يبدو أنَّ إمبراطورية الديناصورات، مثل عالم النمل، استعدت سرّاً وقبل فترة طويلة للحرب.

بعد فشل هجوم أمطار النمل، اضطر إلى استخدام الأقواس والسهام لصد الديناصورات في خط الدفاع الثاني. أطلقت مليون ونصف المليون نملة سهامها معاً، فحلَّقت مجموعاتٌ صغيرة من السهام صوب كتيبة الديناصورات، مثل رمل أثاره هبوب الريح. لكنَّ هذه الأسلحة لم تكن ذات

قوة مميتة لهذه الجنود الشبيهةِ بجبالٍ شاهقة، إذ لامست الأسهم الرقيقة جلد الديناصورات الخشنة وسقطت واحداً تلوَ الآخر مكونةً طبقةً سميكةً على الأرض.

دخلت كتيبة الديناصورات إلى مستعمرة النمل، تاركةً آثارَ أقدامٍ مميتة وضخمة ممتلئة بآلاف النمل المسحوق. أمَّا النمل الذي لم يلقَ حتفهُ تحت أقدامها، فلم يسعه إلَّا أن يرنو بيأسٍ إلى أجسامها العملاقة تعبر السماء متجهة إلى مدينة العاج.

بعد أن اندفعت كتيبة الديناصورات إلى المدينة، بدأت الدوس والركل بعنف. كانت معظم المباني في مدينة العاج بارتفاع سيقان الديناصورات فقط، وديست واحداً تلوَ آخر تحت أقدامها الكبيرة. في هذه اللحظة، كانت المارشال دونغليرا والعديد من جنديات النمل يواصلنَ الزحف ذهاباً وإياباً على خوذة الديناصور للعثورِ على مدخل. رأى النملُ من ارتفاع الأنقاضَ التي داستها الديناصورات، والنيرانُ لا تزال مشتعلةً فيها. ومن هذا الارتفاع، رأى مشهد مدينة العاج عبر أعين الديناصورات، وشعر حقّاً بمدى ضآلةِ نوعه. سار التيرانوصورس إلى برج التجارة الإمبراطوري، وهو ناطحة سحاب يبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار، وأطول مبنى في إمبراطورية النمل، ومفخرة هندستِه المعمارية، لكن ارتفاعه يصل إلى وركَي الوحش العملاق. قرفص التيرانوصورس، وشعر النمل بانعدام الوزن للَحظة مع انخفاض رأسه الحاد، وظهرت قمةُ البرج في أفقِ خوذة الديناصور الشبيهة بالسهل. تفحَّص البرج لعدَّةِ ثوانٍ، ثم أمسك قاعدته بمخلبيه العملاقين وانتزعه من الأرض! ثم نهض ونظر إلى البرج بفضول، كأنَّه عثر على لعبةٍ مسلية. نظر النمل على جبهته إلى البرج الذي رفعه عالياً أيضاً، ورأى انعكاس السماء الزرقاء والسحب البيضاء على سطحه الأزرق الداكن المصقول، ونوافذه الزجاجية غير المعدودة تتلألأ في ضوء الشمس. ولا يزال النمل يتذكَّر أنَّه في الدرس الأول بعد دخوله المدرسة، رافق المعلمة للاستمتاع بمشهد بانورامي لمدينة العاج. قلَّبَ التيرانوصورس البرج مرَّاتٍ عدَّة في مخالبه

العملاقة، وانكسر هيكله الطويل إلى جزأين. فشتم وقذفهما جزءاً تلوَ الآخر. طار الجزآن في قوسٍ عالٍ في السماء، وهبطا وسط مجموعة مبانٍ بعيدة وتحطَّما، وانهارت على إثر ذلك مبانٍ عالية أخرى.

تحت وطأة خُطى ألفي ديناصور (لا يمكن أن تتناسب حتى مع مساحة منطقة مدينة العاج الحضرية)، تحولت عاصمة إمبراطورية النمل إلى مساحة أنقاض صغيرة في دقائق معدودة.

هتف جنود الديناصورات وسط الغبار الأصفر المتصاعد من أنقاض المدينة، لكن هتافات النصر استمرت فترة قصيرة ثم هدأت فجأة، وحدَّقت جميع الديناصورات ببلاهة صوبَ مدينة الجلاميد.

كانت أعمدة الدخان الأسود تتصاعد من عاصمة إمبراطورية الديناصورات.

فرَّ أوروس من القصر المليء بالدخان محاطاً بالحراس، واصطدم وجهاً لوجه بوزير الداخلية المذعور.

صاح الوزير: "أمرٌ فظيع يا صاحب الجلالة، المدينة بأكملها تحترق!".

- "وفرق الإطفاء التي تقودها؟! اطلب منها إطفاء الحرائق".

- "اندلعت الحرائق في المدينة كلِّها، وتحركت جميعُ فِرَقِ الإطفاء، لكن لا يسعنا إلَّا إخماد حريق القصر".

- "من أشعل الحرائق؟ النمل؟".

- "ومن غيره؟ تسلل الملايين منه هذا الصباح إلى المدينة".

- "كيف أشعلت هذه الحشرات اللعينة الحرائق؟!".

ردَّ وزير الداخلية بينما يفتح كيساً ورقيّاً ليراه الإمبراطور: "بهذا يا صاحب الجلالة". حدَّق أوروس في الورقة طويلاً ولم يرَ شيئاً، فأعطاه الوزير عدسة مكبرة، ورأى أوروس من خلالها عدَّةَ ذرَّات ألغام. "ضبطت دورية المدينة في الصباح مجموعةَ نملٍ تسللت إلى المدينة".

- "ما هذا؟ براز نمل؟".

- "قنبلة حارقة مصغرة! تشتعل بإضافة حمض الفورميك ويمكن ضبط توقيتها. وقد زرعت ملايين من هذه الأشياء على موادَّ قابلةٍ للاشتعال في المدينة، وتسبب خُمسها على الأقل في انتشار الحرائق، أي يوجد نحو مئتي ألف حريق في مدينة الجلاميد، ولو حشدنا فِرَقَ إطفاء الإمبراطورية كلها، فمن المحال إخمادها!".

حدَّق أوروس بجمودٍ إلى السماء المغطاة بالدخان الأسود، عاجزاً عن الكلام.

همس وزير الداخلية: "صاحب الجلالة، ليس أمامنا خيار إلا ترك المدينة".

تحولت مدينة الجلاميد بحلول الليل إلى بحر نيران، أضاءت ألسنة اللهب السماء بوهج أحمر، وجلبت فجراً كاذباً إلى السهول الوسطى في غندوانا. وكان الطريق السريع خارج المدينة مزدحماً بالديناصورات الهاربة من المدينة ومركباتها الضخمة، وظهر الخوف وانعكست ألسنةُ اللهب في عيني كل ديناصور. وقف الإمبراطور أوروس وعدَّةُ وزراء على تلَّة صغيرة، محدقين إلى المدينة المحترقة فترة طويلة:

- "أَصدِر أمراً إلى قوات الجيش الإمبراطوري البرية في غندوانا بمهاجمة كل مدن النمل على الفور وتدميرها بالكامل. وأَرسِل السفن الشراعية السريعة لنشرِ الأوامر في القارات الأخرى، وأَصدِر أمراً للجيش الإمبراطوري في كل قارة باتخاذ الإجراء ذاته، لنوجه ضربة قاتلة إلى عالم النمل في جميع أنحاء الأرض!".

وهكذا استمرت الحرب بين النمل والديناصورات، وسرعان ما انتشرت نيرانُها إلى أنحاء قارة غندوانا. وامتدَّت بعد شهر إلى القارات الأخرى، لتصبح حرباً عالمية اجتاحت الأرضَ كلَّها. جلبت الحربُ كوارثَ عظيمة للعالمين، إذ التهم بحر النيران مدنَ الديناصورات، وتحوَّلت مدن النمل إلى ركامٍ تحت أقدامها.

في أثناء مهاجمة مدن الديناصورات، أشعل النمل النيران في مساحات شاسعة من المراعي والأراضي الزراعية والغابات حيث عملت الديناصورات في الإنتاج الزراعي وتربية الحيوانات. وكان النمل في كثيرٍ من الأحيان يزرع في منطقة شاسعة ذرَّات الألغام في الوقت ذاته، فيصبح من المحال إخماد الحرائق الناتجة عنها. وانتشرت حرائق الغابات والمراعي عبر القارات، وحجب الدخان الكثيف السماء، ما أدَّى إلى كوارث بيئية جسيمة. ومع احتراق المحاصيل والمراعي والغابات، تغلغل دخان الحرائق المنتشرة في أرجاء العالم في الغلافِ الجوي، وتسبَّب في انخفاضٍ حاد في كمية الضوء التي تصل إلى سطح الأرض، وانخفاض كبير في غلَّة المحاصيل، وأدَّى ذلك إلى حالة من المجاعة بين الديناصورات الهائلة الاستهلاك للأكلِ. كما شنّت قوات صغيرة من النمل غاراتٍ كثيرة على الديناصورات من كلِّ الجهات، واعتمدت أسلوبَ هجوم الدخول إلى أجسامها، وهذا ما أرعبها، بذلك أصبحت جميع الديناصورات تضع خوذات في كل الأوقات، ولم تجرؤ على خلعها حتى في أثناء النوم، لأنَّ النملَ الصغير بوسعه الدخول والخروج بحرية من مساكن الديناصورات الضخمة.

وفي الوقت نفسه، تلقَّى عالم النمل أيضاً ضربة قاتلة من الديناصورات، إذ دُمرت جميع مدن النمل تقريباً، واضطر إلى العودة تحت الأرض، ورغم ذلك اكتشفت الديناصورات في أغلب الأحيان قواعد كبيرة هناك ودمَّرتها. كما استخدمت الديناصورات الأسلحة الكيميائية بكثافة، ونشرت سُمّاً غيرَ ضارٍّ للديناصورات، ولكنه مميت للنمل، فلم يقض على أعداد هائلة منه فحسب، بل قيَّد أيضاً نطاق نشاطِه تقييداً حاداً. وفي أثناء ذلك، ولانعدام وسائل نقل خاصة بالنمل للمسافات الطويلة، فقد اعتُمد في السابق على وسائل نقل الديناصورات للحفاظ على الاتصال بين أجزاء الإمبراطورية المختلفة، ومع تزايد هجوم الديناصورات على النمل، أصبح هذا الاتصال أصعب، ما أدى إلى عزل أجزاء مختلفة من عالم النمل وانهيار إمبراطوريته.

على أنَّ الحرب أدت إلى عواقب أخطر: لأنَّ الحضارة الطباشيرية قامت على تحالف الديناصورات والنمل، فإن الحياة الاجتماعية في العالمين تأثرت بشدة على إثر انهيار هذا التحالف، وأصيب المجتمع بحالة من الركود التام، وشهد علامات تراجع وتخلف، وأصبحت نهاية الحضارة الطباشيرية وشيكة.

استثمر النمل والديناصورات كل قوتهما في الحرب العالمية، لكن لا أحد من الطرفين نال ميزة مطلقة في ساحة المعركة، وتحول القتال إلى حرب استنزاف طويلة الأمد. أدركت القيادة العليا للإمبراطوريتين هذه الحقيقة: هذه حرب من دون منتصر، وستكون نتيجتها النهائية تدمير الحضارة الطباشيرية العظيمة.

بدأت الأطراف مفاوضات الهدنة في السنة الخامسة من الحرب، وكان أهمها اللقاء التاريخي بين إمبراطور إمبراطورية الديناصورات وملكة إمبراطورية النمل.

عقد الاجتماع على أنقاض مدينة الجلاميد، في موقع القصر السابق لقمة الديناصورات والنمل التي أشعلت الحرب قبل خمس سنوات. لم يتبقَّ من القصر سالف الروعةِ إلّا جدران محطمة بعد الحرائق، وعبر الشقوق في الجدران العالية، كانت أنقاض هياكل المباني الشاهقة التي اسودَّت بسبب الدخان مرئية. هذه المدينة، التي احترقت قبل خمس سنوات، أصبحت الآن مغطاة بالأعشاب والكروم، ويبدو أنَّ الغابات المحيطة ستبتلعها قريباً. تلألأت الشمس خلف الدخان المنبعث من حريق الغابة البعيد، وغمرت أنقاض القصر الفارغة بضوءٍ وظلٍّ متغيرَين باستمرار.

سأل أوروس محدِّقاً إلى حيث تقف ملكة النمل عند قدميه: "رغم أنني لا أستطيع رؤيتك بوضوح، فلا يبدو أنَّك الملكة لاسيني".

ردّت الملكة وكان قد رافقها ما يزيد على عشرة آلاف جندية فحسب من جيش الكلمات هذه المرَّة، وكان على أوروس أن ينحني لقراءة ردها: "لقد ماتت، عمر النمل قصير جدّاً. أنا لاسيني الثانية".

قال الإمبراطور أوروس: "أرى أنَّ الحرب يجب أن تنتهي".

ردَّت لاسيني الثانية: "أوافقك الرأي".

أكمل أوروس: "إذا استمرت الحرب، فسيعود النمل إلى الاقتيات على بقايا اللحوم من عظام جثث الحيوانات، وسحب الخنافس الميتة إلى أعشاشها الصغيرة".

مكتبة سُر مَن قرأ

وقالت لاسيني الثانية: "إذا استمرت الحرب، فإنَّ الديناصورات ستعود إلى التجول جائعةً في الغابات، ويمزق بعضها بعضاً ويلتهمه".

سأل أوروس محدِّقاً إلى حيث تقف ملكة النمل عند قدميه: "إذن يا صاحبة الجلالة، هل لديك مقترحات محدَّدة لإنهاء الحرب؟".

- "ربما نبدأ من سبب خوض الحرب يا صاحب الجلالة، لقد نسيه العديدُ من الديناصورات والنمل. ما زلت أتذكَّر أنَّ الأمر كان يتعلق بصورة الإله، هل هي مثل النمل أم الديناصورات؟".

- "كرَّس أفضل العلماء في إمبراطورية الديناصورات أنفسهم لهذه المسألة لسنوات، والآن توصلوا إلى نتيجة جديدة: لا يشبه الإله النملة ولا الديناصور، إنَّه بلا شكل، مثل هبة ريح، مثل شعاع نور، مثل الهواء الذي يتخلَّلُ العالمَ كلَّه، ينعكس ظلُّهُ في كل حبة رمل وكل قطرة ماء".

- "ليس للنمل أدمغة معقدة مثلكم، ويصعب علينا الانخراط في مثل هذا التفكير الفلسفي العميق، لكنَّني أتفق مع هذا الاستنتاج. يخبرني حدسي أنَّ الإله ليس له شكلٌ حقّاً، وقد حرَّم عالم النمل عبادة الأوثان".

- "وحرَّمت إمبراطورية الديناصورات عبادة الأوثان كذلك. لذا يا جلالة الملكة، هل يمكنني القول إنَّ للنمل والديناصورات الإله ذاته؟".

- "بوسعك قول ذلك يا جلالة الإمبراطور".

وهكذا انتهت حربُ النمل والديناصورات الأولى، حربٌ من دون منتصر. وبعد مرور وقت قصير تعافى تحالف النمل والديناصورات سريعاً، وارتفعت مدنٌ جديدة من الأنقاض، ما أدَّى إلى إحياء الحضارة الطباشيرية التي كانت على شفا الانهيار.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(٧)
عصرُ المعلومات

مضى الزمن، ومرَّت ألفيَّةٌ أخرى.

تطورت الحضارة الطباشيرية عبر العصرين الكهربائي والذري تباعاً، ودخلت الآن عصر المعلومات.

أصبحت مدن الديناصورات في الوقتِ الحاضر أكبر من مثيلاتِها في عصر المحرك البخاري، وفي هذه المدن بناياتٌ يبلغ ارتفاعُها عشراتِ الآلاف من الأمتار، ويشبه الوقوف على أسطح المنازل والنظر إلى الأسفل ركوب طائراتنا والرؤية من منظور عينِ الطائر، حيث يمكنك رؤية السحب تكاد تعانق الأرض. تنتصبُ هذه المباني العملاقةُ على بحرٍ من السُّحب، وعندما تكون السُّحبُ بالأسفل كثيفة، فإنَّ الديناصورات في السماوات المشمسة على ارتفاع آلاف الأميال، تتصلُ هاتفيّاً بحراسِ البوابةِ في الأسفل لتعرف هل السماءُ تمطر أم لا، لتقرر هل ستحضر مظلاتها بعد الانتهاء من عملها أم لا. مظلاتها أيضاً كبيرةٌ جدّاً، مثل خيم السيرك لدينا. تعمل سياراتها الآن بالبنزين، ولكن الواحدة منها لا تزال بحجم مبنى لدينا، والأرض لا تزال تهتز في أثناء القيادة. حلَّت الطائرات محلَّ المنطاد، وكانت بحجم سفننا العملاقة، تنطلق في السماء مثل الرعد، وتلقي بظلالها الكبيرة على الأرض. غامرت الديناصورات كذلك باستكشاف الفضاء، حيث يدور عددٌ كبيرٌ من الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية في مداراتٍ متزامنة مع دورانِ الأرض. وهذه المركبات الفضائية أيضاً أجسامٌ ضخمة، وبالإمكانِ رؤيتُها من الأرض.

زاد عدد الديناصورات في العالم أكثر من عشرة أضعاف مقارنة بعصر المحرك البخاري. كانت تأكل كثيراً وتستخدم أشياء كثيرة، لذا فإنَّ مجتمعها مجتمعٌ استهلاكي مادي ضخم، وتلبية هذا الاستهلاك تتطلبُ مزارعَ ومصانعَ عملاقة، تعمل فيها آلاتٌ كبيرة بالطاقة النووية، والدخان الكثيف يغطي السماء دائماً فوق المصانع. نظراً للإنتاج الهائل للمواد، كان تشغيل وتداول الطاقة والمواد الخام والتمويل عمليةً معقدةً للغاية، لا يمكن تنسيقها إلَّا من خلال شبكات الكمبيوتر. وعالم الديناصورات متصل بشبكات كمبيوتر واسعة ومتطورة، كلُّ مفتاح من لوحة مفاتيحه بحجم شاشة الكمبيوتر لدينا، والشاشة عندها واسعة مثل جدراننا.

في الوقت نفسه، دخل عالم النمل أيضاً عصراً معلوماتيّاً متطوراً. تختلف مصادر الطاقة في عالم النمل عن عالم الديناصورات، إذ لا يستخدم النفط أو الفحم، بل يحصد طاقة الرياح والطاقة الشمسية. وفي مدينة النمل يمكنك رؤية عدد كبير من توربينات الرياح، تشبه في شكلها وحجمها طواحين الهواء الورقية التي يلعب بها أطفالنا، ويتكون سطح المباني الحضرية من مادة سوداء لامعة، وهي الخلايا الشمسية. تقنيةٌ أخرى هامةٌ في عالم النمل هي استخدامُ عضلاتٍ حركيةٍ معدلةٍ وراثيّاً، وتشبه ألياف هذه العضلات الحركيةِ الكابلات السميكة، يمكن أن تتمدَّد وتتقلص بترددات مختلفة لتوليد الطاقة بعد حقنها بالمحلول المغذي، وتعملُ سيارات وطائرات النمل بها. يمتلك النمل أيضاً أجهزة كمبيوتر، وهي عبارة عن جزيئات مستديرة بحجم حبة الأرز. وعلى عكس حواسيب الديناصورات، فهي لا تحتوي على أي دوائر متكاملة، وتُجرى جميع الحسابات عن طريق تفاعلات كيميائية عضوية معقدة. لا يحتوي كمبيوتر النمل على شاشة عرض، فهو يستخدم الفيرمونات لإنتاج المعلومات. ولا يمكن تمييز هذه الروائح المعقدة والحساسة إلَّا عن طريق النمل، ويمكن لحواسه ترجمة هذه الروائح إلى بيانات ولغة وصور. تترابطُ هذه الحواسيب الكيميائية الحُبَيبِيَّة أيضاً في شبكة ضخمة، لكنَّ الترابط بينها ليس من خلال الألياف الضوئية وموجات الراديو، بل من خلال

الفيرمونات، وتتبادل أجهزة الكمبيوتر المعلومات باستخدام لغة الرائحة. كانت بنيةُ مجتمع النمل مختلفةً اختلافاً كبيراً عمَّا نراه اليوم في مستعمرات النمل، إذ تشابهت أكثرَ مع البشر. نظراً لاستخدام الهندسة الحيوية لإنتاج الأجنَّة، فإنَّ دور ملكة النمل في التكاثر كان هامشيّاً، لذا لم تتمتّع في مجتمع النّمل بنفس المكانة والأهميّة التي تتمتّع بها كما هو الحال اليوم.

بعد نهاية حرب النمل والديناصورات الأولى، لم تندلع حربٌ كبرى بين عالم النمل والديناصورات مجدداً. ظلَّ تحالفهما مستمرّاً، ما عزَّز التطور المستقر للحضارة الطباشيرية. بعد دخول عصر المعلومات، أصبحت الديناصورات أكثر اعتماداً على مهارات التشغيل الدقيقة للنمل. عمل في جميع مصانع عالم الديناصورات عددٌ كبيرٌ من النمل، واشتغل بصورةٍ رئيسة في تصنيع الأجزاء الصغيرة التي لا يستطيع عمالُ الديناصورات التعاملَ معها، بالإضافة إلى تشغيل وصيانة وإصلاح المعدات والأدوات الدقيقة. المجال الأساسي الآخر الذي لعب فيه النمل دوراً مهمّاً في مجتمع الديناصورات هو الطب. إذ لا تزال جميع العمليات الجراحية للديناصورات يجريها أطباء النمل بدخول أعضائها الداخلية الضخمة. وكان النمل يمتلك مجموعةً من المعدات الطبية المتطورة، من مشارط ليزر صغيرة، وغواصات مصغرة يمكنها السفر عبر الأوعية الدموية للديناصورات وإزالة الترسُّبات. لم يعد التواصل بين النمل والديناصورات يعتمد على جيش الكلمات، بل ثمة جهاز ترجمة يترجم فيرمونات النمل مباشرة إلى لغة الديناصور الصوتية، وأصبحت طريقة الاتصال الغريبة -المكونة من ملايين من جنديات النمل- تدريجيّاً أسطورةً قديمة.

وفي النهاية وحَّدت إمبراطورية النمل في غندوانا قبائلَ النمل غير المتحضرة في كل قارة، وأنشأت اتحادَ النمل الذي ضمَّ عالمَ النمل في الأرض بأكملها.

على عكس عالم النمل، انقسمت إمبراطورية الديناصورات الموحدة في الأصل واستقلَّت قارة لوراسيا، ما أدى إلى إنشاء دولة ديناصورات

ضخمة أخرى: جمهورية لوراسيا. وبعد غزواتٍ دامت آلافَ السنين، احتلت إمبراطورية غندوانا الهند الأصلية والقارة القطبية الجنوبية الأصلية وأستراليا الأصلية. من ناحية أخرى، وسَّعت جمهورية لوراسيا أراضيها إلى قارتين: آسيا الأصلية وأوروبا الأصلية. عاشت الديناصورات من نوع التيرانوصورس ركس بصورة أساسية في إمبراطورية غندوانا، في حين أنَّ نوعَ الديناصورات الرئيس في جمهورية لوراسيا هو التاربوصورس بَتار. واندلعت الحروب بين الطرفين طوال تاريخهما الطويل من التوسُّع الإقليمي. وفي أواخر عصر المحرك البخاري، عبرت جيوش الإمبراطوريتين المضيق الواقع بين قارتي غندوانا ولوراسيا بأساطيل ضخمة لمهاجمة بعضها بعضاً، وشُنَّت معارك ضخمة لا تُحصى، وقُتل ملايين الديناصورات في الظلام على السهول الشاسعة، وخلَّفت المعاركُ جبالاً من الجثث وأنهاراً من الدماء. ولاحقاً دخل عالم الديناصورات عصر الأجهزة الكهربائية، واندلعت حروب عديدة بين عالمَي الديناصورات طالت جميعَ القارات. كانت معظم المدن تتحول إلى بحرٍ من النيران والخراب بعد كلِّ حرب. ولكن في المائتي عام الماضية، مع وصول العصر النووي، توقفت الحروب، وهذا نتيجة الردع النووي الكامل. خزَّنت كل من القوتين العظميين كمياتٍ كبيرةً من الأسلحة النووية الحرارية، وإذا ما اندلعت حرب، فستحول هذه القنابلُ النووية الأرضَ إلى فُرنٍ خامد. كان الخوفُ من الدمار المشترك هو الذي أبقى الكوكب في حالة السلام المرعب على سن هذه الإبرة.

مع مرور الوقت، توسَّع مجتمع الديناصورات بسرعة على الأرض، وازداد عدد سكانه، وازدحمت القارات المختلفة، وأصبح التهديدان الرئيسان المتمثلان في التلوث البيئي والحرب النووية أكثر خطورة. تجدَّد الصَّدع بين عالم النمل والديناصورات، وغطت سحبٌ مشؤومة الحضارةَ الطباشيرية.

(٨)
قمةُ النملِ والديناصورات

استمرت قمة النمل والديناصورات السنوية منذ عصر المحركات البخارية، وأصبحت أهم مؤتمر في العالم الطباشيري. سيناقش زعماء الديناصورات والنمل في دورةِ هذه القمة العلاقة بين العالمين والقضايا الكبرى التي تواجه العالم أجمع.

عُقدت قمة النمل والديناصورات لهذا العام في قاعة العالم لإمبراطورية غندوانا، أكبرِ مبنى في العالم الطباشيري. كانت مساحتها الداخلية شاسعة إلى درجة أنَّ لها مناخاً محليّاً مستقلّاً. تظهر الغيوم على قبتها الضخمة في أغلب الأحيان، ما يؤدي إلى هطول الأمطار وتساقط الثلوج، ويؤدي اختلاف درجات الحرارة في أجزاء القاعة المختلفة إلى هبوب الرياح. لم يتوقع مهندسو الديناصورات تلك الظاهرة عند تصميم هذا المبنى الضخم. وأفقد المناخُ المحلي للقاعة الغرضَ منها، لأنَّ الوجود داخلها يكاد يكون مثل الوجود في الخلاء. واجهت القمة في مناسباتٍ أمطاراً أو ثلوجاً، ما استوجب بناء قاعة مؤتمرات أصغر في وسط القاعة مؤقتاً. لكن الطقس اليوم في القاعة صحو، وضوءُ أكثر من مئةِ مصباحٍ عملاق يشع كشموسٍ صغيرةٍ لامعةٍ من السماءِ التي تشكِّلُها القبَّة.

جلس وفدان من الديناصورات برئاسة إمبراطور غندوانا ورئيس جمهورية لوراسيا حول طاولة مستديرة كبيرة وسط القاعة، ورغم أنَّ المائدة بحجم ملعب كرة قدم بشري، فقد بدت ضئيلة على المساحة الشاسعة في الداخل. كان وفد النمل برئاسة القنصل الأعلى لاتحاد النمل كاتشيكا

قد وصل للتو. حلَّقت طائراته مثل ريش أبيض خفيف صوب المائدة المستديرة، وفي أثناء مرورها بحافة المائدة، نفخت الديناصورات نحوها، فانقلبت ودارت في الهواء. ضحكت الديناصورات بمودة، إذ كانت دعابة تقليدية في القمة.

سقط بعض النمل من الطائرة على المائدة، ورغم أنَّ أجسامه الخفيفة منعته من التعرض للأذى، فلم يزل عليه قطع مسافة طويلة للوصول إلى وسط المائدة المستديرة. وعمل بقية النمل جاهداً للحفاظ على توازن الطائرات وهبط على صينية كريستالية في وسط المائدة، حيث تقع مقاعده في القمة. لم تتمكن الديناصورات حول المائدة من رؤية النمل بوضوح من هذه المسافة البعيدة، لكن الكاميرا الموجهة نحو الصينية عرضت صورته على شاشة عملاقة على أحد جوانب المائدة، فظهرت بحجم الديناصورات. بدت هذه الحشرات الصغيرة أقوى وأكثر خشونة من الديناصورات، كما أنَّ أجسامها المعدنية أظهرتها كآلات قتالية قوية.

ساد الصمت حين أعلن بدءَ الاجتماع أمينُ عام القمة، وهو ستيغوصورس يحمل صفّاً من الصفائح العظمية على ظهره. ووقف جميع الحاضرين لتحية عَلَم الحضارة الطباشيرية الذي ارتفع من سارية عالية على مسافة بعيدة، وعلى العَلَم ديناصور طويل القامة يواجه الشمس، يجمعُ كلَّ خصائص الديناصورات المختلفة، وإلى جانبه نملة في مثل طوله، تتكون من عدد كبير من نمل أصغر.

وسرعان ما انتقل الاجتماع إلى البند الأول على جدول أعماله: مناقشة عامة حول الأزمات العالمية الكبرى.

تحدثت كاتيشكا، القنصل الأعلى لاتحاد النمل أولاً. لوَّحت هذه النملة البُنيَّة النحيلة بقرني استشعارها، وتُرجمت فيرموناتها إلى لغة الديناصورات الخشنة بواسطة جهاز ترجمة:

- "وصلت حضارتنا إلى حافة الهاوية! الصناعات الكبرى في عالم الديناصورات تقتل الأرض! النظام البيئي يُدمَّر، والغلافُ الجويُّ

يختنقُ بالدخان الكثيف والسموم، والغابات والمراعي تختفي بسرعة، والقارة القطبية الجنوبية المطورة حديثاً أصبحت أوَّلَ قارة تتصحَّرُ تماماً، وستواجه القارات الأخرى المصير ذاته. الآن، انتقل هذا التطور المفترس إلى المحيطات، وبمعدل الصيد والتلوث الحالي، ستنضب المحيطات تماماً خلال أقل من نصف قرن. لكن كل هذا يبدو تافهاً مقارنة بخطر الحرب النووية. إنَّ العالم الآن يعيش في سلامٍ يحافظُ عليه الردعُ النووي، وهو في الواقع أشبه بالمشي على حبلٍ فوق نيران الجحيم. اندلاع حرب نووية شاملة وشيك، والأسلحة النووية التي تمتلكها قوتا الديناصورات تكفي لتدمير جميع أشكال الحياة على الأرض مئاتِ المرَّات".

زمَّ الرئيس دودومي رئيس لوراسيا شفتيه، وهو تاربوصورس طويل القامة، وقال بازدراء: "كلام قديم!".

أكملت كاتشيكا: "السبب الجذري لكل هذا هو استهلاككم الهائل للموارد الطبيعية". ثم أشارت إلى دودومي وقالت: "الطعام الذي تأكله في وجبة واحدة يكفي لإطعام مدينة نمل كبيرة ليومٍ كامل. هذا عالمٌ غيرُ عادلٍ حقّاً".

ردَّ إمبراطور غندوانا، وهو تيرانوصوروس قوي يُدعى داداس، بصوتٍ مدوٍّ: "هيه، أيتها الحشرة الصغيرة، كلامك غير منطقي. ماذا بوسعنا أن نفعل إذا كان حجمنا ضخماً؟ لعلك تريدين أن نتضور جوعاً؟ الاستهلاكُ ضروريٌّ من أجل البقاء، وهذا يستنفد قدراً هائلاً من الطاقة والصناعة".

- "إذن عليكم استخدام طاقة متجددة ونظيفة".

- "مستحيل! فالكهرباء التي تنتجها طواحين الهواء الصغيرة والخلايا الشمسية التي يستخدمها النمل، لا تكفي لتشغيل ساعات اليد الإلكترونية. مجتمع الديناصورات مجتمع عالي الطاقة ويجب استخدام الفحم والنفط وكذلك الطاقة النووية، التي تسبِّبُ التلوثَ حتماً".

- "ولكن يمكنكم تقليل استهلاك الطاقة من خلال التحكم في عدد السكان. الآن بعد أن تجاوز عدد الديناصورات في العالم ٧ مليارات، لا يمكن أن يزيد على هذا الحد".

هز داداس رأسه وقال: "التكاثر فِطرة الحياة، والنمو والتوسع جوهرا الحضارة. للحفاظ على قوة الدولة، من الضروري أن يأهلها عددٌ كافٍ من السكان. إذا كانت لوراسيا مستعدة لكسر بيض ديناصوراتها، فيمكن لغندوانا أيضاً كسر بيض ديناصوراتها، سنكسر بقدر ما تكسر".

ردَّ دودومي: "ومع ذلك يا صاحب الجلالة، عدد سكان غندوانا يزيد بنحو أربعمئة مليون على عدد سكان لوراسيا!".

أجاب داداس: "سيدي الرئيس، معدل النمو السكاني في لوراسيا أعلى بثلاث نقاط مئوية من معدل النمو السكاني في غندوانا!".

قالت كاتيشكا وأحد قرنَي استشعارها موجه إلى داداس والآخر إلى دودومي: "لن تسمح لكم الطبيعة أيُّها الحمقى النهمون بالتكاثر إلى ما لا نهاية. هل سيقتضي الأمر كارثة لتعودوا إلى رشدكم؟".

ضحك دودومي وأجاب: "هاهاها كارثة؟ لقد استمر جنس الديناصورات عشرات الملايين من السنين، أيُّ كوارث لم نواجهها؟".

لوَّح داداس بمخلبه الكبير وقال: "هذا صحيح، سنقلقُ من الكارثةِ حين تقع. طبيعة الديناصورات أن ندع الأمور تأخذ مجراها، ونواجه كل ما يأتي. نحن جنسٌ لا يهابُ شيئاً!".

قالت كاتشيكا: "ولا حتى من حرب نووية شاملة؟ لا أرى مخرجاً حين تأتي لحظة الدمار تلك".

أومأ داداس برأسه قائلاً: "أيتها الحشرات، نحن متفقون حول هذه النقطة. نحن لا نحبُّ الأسلحةَ النووية أيضاً، ولكن لوراسيا نشرت قوات كثيرة وليس أمامنا خيارٌ آخر. إذا تخلَّصت من أسلحتها أولاً، فسنحذو حذوَها".

سخر دودومي وهو يشير إلى داداس: "هيه، صاحب الجلالة، أنت لا تعتقد أنَّ إمبراطورية غندوانا تملك أيَّ مصداقيةٍ تُذكَر، أليسَ كذلك؟".

– "من البديهي أن تدمروا الأسلحة النووية أولاً، لأنَّ أسلاف لوراسيا هم أوَّلُ من اخترعها".

– "لكن إمبراطورية غندوانا كانت أيضاً أوَّلَ من صنع الصواريخ العابرة للقارات، ووفرت مركبات بعيدة المدى للقنابل النووية".

لوَّحت كاتشيكا بقرني استشعارها وقاطعتهما قائلة: "ما الفائدة من تتبع أحداث وقعت منذ مئات السنين؟ ما نحتاج إلى مواجهته هو الواقع!".

قال داداس: "الحقيقة أنَّ لوراسيا لا يمكنها الاعتماد إلَّا على الأسلحة النووية لتعزيز قوتها، ولن تتحمل ضربة واحدة من دونها! هل ما زلت تتذكر معركة سهل ڤيلا القديمة؟ حين قاد الإمبراطور الأول لغندوانا مليونين ونصف المليون تيرانوصورس، وهزم خمسة ملايين تاربوصورس في القارة القطبية الجنوبية هزيمةً ساحقة. لقد تشكَّل جبلُ النصر المهيب الواقع في القطب الجنوبي الحالي من عظام الديناصورات اللوراسية".

شنَّ دودومي هجوماً مضاداً: "هل يتذكر جلالتك أيضاً الدمار الثاني لمدينة الجلاميد؟ حين حلَّق أربعمئة ألف من التيروداكتيلات من سلاح الجو اللوراسي فوق مدينة غندوانا العملاقة وأسقطوا ملايين القنابل الحارقة. حين دخل جيش لوراسيا المدينة، كان بوسعه الاستمتاع بلحم ديناصورات غندوانا المشوي اللذيذ، ها ها ها!".

– "صحيح، الديناصورات اللوراسية جبانة، ليس بمقدورها إلَّا إسقاط أسلحة من الجو ومن مسافة بعيدة وتنفيذ هجمات خاطفة، ولم تتمتع بالشجاعة قطُّ للقتال وجهاً لوجه. أووف، ديدانٌ حقيرةٌ مثيرة للشفقة!".

– "إذن يا صاحب الجلالة، لماذا لا يرى الجميع الآن من هي الديدان المثيرة للشفقة؟!" قال دودومي وقفز على المائدة المستديرة الكبيرة، ملوحاً بمخلبيه الحادين مندفعاً نحو داداس، الذي قفز على المائدة لمواجهته. لم تتدخل

الديناصورات الأخرى، وهتفت هُتَافات تَشْجِيعِيّة حول المائدة. شاع تبادل اللكمات في المؤتمرات الدولية في عالم الديناصورات، وقد اعتاد النمل هذا المنظر، واختبأ -كما في المناسبات السابقة- أسفل الصينية الكريستالية كي لا تسحقه أقدام الديناصورات الكبيرة. وعبر الصينية بدا الديناصوران المتقاتلان مثل جبلين يدوران، واهتز سطح المائدة المستديرة بعنف. يتمتع داداس بالأفضلية من ناحية الوزن والقوة، في حين أنَّ دودومي أكثر مرونة".

- "توقفا عن القتال! ما الذي تفعلانه؟" صرخ النمل تحت الصينية، وضخَّم نظام الترجمة أصواته وبثَّها. توقف الديناصوران المتعادلان عن معركتهما الشرسة، ونزلا عن المائدة لاهثين، وعادا إلى مقعديهما، وقد حملَ كلٌّ منهما على جسده خدوشاً بأطوالٍ مختلفة، وحدَّق كلٌّ منهما في الآخر بحقد وكراهية.

قال الأمين العام: "حسنٌ، يبدو أنَّ علينا الانتقال إلى البند التالي".

ردَّت كاتشيكا بحزم: "مستحيل! لا ينبغي أن يُناقَش أي موضوع آخر في هذه القمة! حين تتعلق قضية ببقاء عالمنا، يصبح أي جدول أعمال آخر بلا معنى".

- "لكن يا سيدتي القنصل الأعلى، ناقشت كلُّ قمة عقدت بين الديناصورات على مدى العقود الماضية القضايا المتعلقة بالتلوث البيئي والتهديدات النووية، ولم تسفر عن أي نتائج. وأصبح ذلك احتفالاً روتينيّاً في القمة، مزعجاً وهدراً للوقت".

- "لكن الأمر مختلف هذه المرة. أرجو أن تصدقوا أنَّنا سنتوصل إلى حلٍّ لأهم قضية تواجه الحضارة على الأرض في هذه القمة".

- "لو أنَّكِ متيقنة من ذلك، فيُرجَى الاستمرار".

صمتت كاتشيكا لحظات. ثم قالت بجديةٍ بعد أن هدأ الضجيج في القاعة: "سأقرأ الآن الإعلان رقم ١٤٧ الصادر عن اتحاد النمل: من أجل استمرار الحضارة على الأرض، يتقدم اتحادُ النمل بالمطالب التالية إلى إمبراطورية

غندوانا وجمهورية لوراسيا: أولاً التوقف عن التكاثر خلال السنوات العشر القادمة حتى ينخفض صافي أعداد الديناصورات، وبعد انقضاء المدة، ينبغي أن يكون معدلُ التكاثر المستعاد أقلَّ من معدل الوفيات لضمان انخفاض القاعدة السكانية الإجمالية، والحفاظ عليها قرناً. ثانياً إغلاق ثلث الصناعات الثقيلة على الفور، وإغلاق ثلث آخر تدريجيّاً في غضون عقد تزامناً مع انخفاض عدد السكان، وأخيراً الحد من التلوث البيئي إلى المستوى الذي يمكن أن يتحمله الغلاف الحيوي للأرض. ثالثاً القضاء الفوري والكامل على الأسلحة النووية. طريقة التدمير المحددة هي استخدام الصواريخ العابرة للقارات لإطلاق جميع القنابل النووية إلى الفضاء تحت إشراف اتحاد النمل".

سَرَت ضحكاتٌ خافتة بين الديناصورات، وأشار دودومي بمخلبه الكبير إلى الصينية الكريستالية وقال: "لقد أصدر النمل هذا الإعلان عشرات المرات من قبل، أَلا تشعرون بالملل؟ الحشرة كاتشيكا، أنت تحاولين خنق حضارة الديناصورات العظيمة، لا تعتقدين أَنَّنا سنقبل هذه المطالب السخيفة، أَليسَ كذلك؟".

أومأت كاتشيكا بقرني استشعارها وقالت: "نحن نعلم بالطبع أنَّ الديناصورات لن تقبل هذه المطالب".

قال الأمين العام وهو يهز الصفائح العظمية على ظهره: "حسنٌ، أعتقد أن بوسعنا الانتقال إلى البند التالي من جدول الأعمال، بند أكثر واقعية".

ردَّت كاتشيكا: "انتظر لحظة من فضلك، لم ننهِ بياننا بعد. وفي حال عدم تلبية المطالب المذكورة أعلاه، سيتخذ اتحاد النمل إجراءات لضمان استمرارية حضارة الأرض".

ذُهِلَت الديناصورات وتبادلت النظرات.

- "إذا لم يمتثل عالم الديناصورات إلى الإعلان على الفور، فإنَّ جميع النمل البالغ عدده ثمانية وثلاثين ملياراً، الذين يعمل في إمبراطورية غندوانا وجمهورية لوراسيا سيضرب عن العمل".

ساد صمت طويل، وتشكَّلت سحبٌ رقيقة في السماء المُقبَّبة، طفت مثل شاش ناعم، وألقت بانعكاساتٍ متغيرة من الضوء والظل على أرض القاعة الواسعة.

خرج دودومي عن صمته وسأل: "القنصل الأعلى كاتشيكا، هل تمزحين؟".

- "صيغَ إعلان مشترك من قبل ١١٤٥ من الدول الأعضاء في اتحاد النمل، قرارنا لن يتزعزع".

قال داداس، وهو يفرك عينه اليسرى بمخلبه، ويبدو أنَّ دودومي خدشها في القتال للتو: "أيتها القنصل، أعتقدُ أنَّكِ وجميع النمل تفهمون، أنَّ التحالف بين الديناصورات والنمل استمر ثلاثة آلاف سنة، وأصبح حجر الزاوية في حضارة الأرض. ورغم أنَّنا خضنا حروباً على مدى التاريخ، فإنَّها لم تزعزع أساس تحالفنا".

- "ولكن حين يكون المحيط الحيوي للأرض بأكمله تحت تهديد خطير، لا يجد اتحاد النمل خياراً آخر".

قال دودومي: "لا تمارسي الألاعيب، وتذكَّري من فضلك الدرس المستفاد من حرب النمل والديناصورات الأولى! بمجرد أن يُضرِب النمل، سيتوقف الإنتاج الصناعي في عالم الديناصورات، وستتضررُ مجالاتٌ أخرى عديدة، بما في ذلك قطاع الرعاية الصحية، وسيؤدي إلى الانهيار الاقتصادي لعالم الديناصورات. كما سيواجه اقتصاد اتحاد النمل انهياراً وضرراً كذلك، وستكون له تأثيراتٌ غير متوقعة على عالم الأرض بأكمله".

- "على عكس حرب النمل والديناصورات الأولى التي سببتها الصراعات الدينية، فإنَّ النمل سينسحب من التحالف هذه المرة لإنقاذ حضارة الأرض، وسيواجه اتحاد النمل أي أزمات مترتبة على ذلك بشجاعة".

قال داداس وهو يضرب المائدة بقوة شديدة: "يبدو أنَّنا أفسدنا هذه الحشرات الصغيرة بتدليلنا!".

قالت كاتشيكا: "بل الديناصورات هي المدللة. لو اتخذ عالم النمل إجراءً في السابق، لما تطورت غطرسة وجنون عالم الديناصورات إلى هذا الحد".

ساد الصمت المكان مرَّةً أخرى، ولكن هذه المرة امتلأ الهواء بطاقةٍ مخيفةٍ بدا أنَّها ستنفجر في أي لحظة.

كسر دودومي حاجز الصمت مجدداً، وقال وهو ينظر حوله كأنَّه استيقظ من حلم: "آه، يبدو أنَّني أحتاج للتحدث مع النمل بمفردي". ثم صعد إلى المائدة المستديرة، واقترب من الصينية الكريستالية، وجلس القرفصاء وفكَّ الصينيةَ وحملَها نازلاً من فوق المائدة إلى مكان بعيد عن الحشد، وأخرج جهاز ترجمة صغيراً من جيب قميصه وقال لكاتشيكا بنبرة غامضة:

- "سيدتي القنصل الأعلى، في الحقيقة إعلان اتحاد النمل منطقي. والأزمة التي تواجهها حضارة الأرض واضحة للجميع، وجمهورية لوراسيا حريصة على حلِّها، لكنها لم تجد الفرصة المناسبة. الآن لدينا بالفعل طريق مختصر يمكننا اتباعه: للنملِ أن يُنفذ الإضراب، ولكن فقط في إمبراطورية غندوانا. وحين ينهار اقتصادِ الإمبراطورية وتنتشر الفوضى في المجتمع، ستشن جمهورية لوراسيا هجوماً شاملاً للقضاء عليها بضربة واحدة، وستصبح الإمبراطورية في أضعف حالاتها، وبوسعنا الانتصار من دون اللجوء إلى الحرب النووية. بعد احتلال غندوانا، سنغلق جميع صناعاتها الثقيلة، والمشكلة السكانية أقل إثارةً للقلق: ستقضي الحرب على ما لا يقل عن ثلث ديناصورات غندوانا، ولن يُسمح للبقية بالتكاثر لمدة قرن. إذن، هل يلبي ذلك مطالب إعلان النمل أم لا؟".

- "لا أيها الرئيس!" ردَّت كاتشيكا من وسط الصينية الكريستالية، وهز المسؤولون الآخرون في اتحاد النمل رؤوسهم. وأكملت: "وهذا لن يغير طبيعة عالم الديناصورات، وعاجلاً أم آجلاً سنعود إلى هذه النقطة. إنَّ حرباً عالميةً كالتي تتصورها قد تؤدي إلى عواقب كثيرة غير متوقعة. والأهم من ذلك، لطالما عامل اتحاد النمل جميع الديناصورات على قدم المساواة،

بغض النظر عن العِرق أو الجنسية، وكان ينجزُ في أجزاء مختلفة من عالم الديناصورات العملَ ذاته بالأجرِ نفسه، ولم يتدخل قطُّ في سياسات وحروب عالم الديناصورات. وهذا هو المبدأ الذي اتبعه عالم النمل منذ القدم، وهو ضروري لضمان استقلالية اتحاد النمل التي لن تُنتَهك".

صاح الأمين العام من المائدة المستديرة: "سيدي الرئيس، من فضلك أعد الصينية بسرعة لنواصل الاجتماع".

هز دودومي رأسه وتنهد قائلاً: "أيَّتها الحشرات الغبية، لقد أضعتم فرصة لصنع التاريخ!" ثم عاد إلى المائدة المستديرة بالصينية. وما إنْ وضعَ النملَ مكانه، حتى قفز الإمبراطور داداس على الفور والتقطه مرَّةً أخرى وقال: "أعتذر للجميع، يجب أن أتحدث مع النمل على انفراد أيضاً!" ثم حمل الصينية مثل دودومي إلى مكان بعيد عن المائدة، وأخرج جهاز ترجمةٍ وقال لكاتشيكا:

- "أيتها القنصل الأعلى الصغيرة، أستطيع أن أخمِّن ما قاله لك هذا الأحمق. لا تصدقيه، مكر دودومي وحيله معروفة للجميع. ما يجب القضاء عليه هي لوراسيا. لا تزال ديناصورات غندوانا تحتفظ ببعض أفكار التعايش السلمي مع الطبيعة، كما أنَّ سلوكنا مقيدٌ أيضاً بالمعتقدات الدينية. أمَّا الديناصورات اللوراسية فمفتونةٌ بالتكنولوجيا، مخلوقاتٌ عنيدةٌ تؤمن إيماناً أعمى بقوة الآلات الكبيرة والصناعات الكبيرة أكثرَ منَّا، وتؤمن بقوة الأسلحة النووية، يسيرُ هؤلاء الأوغادُ إلى نهايةِ طريقٍ مُظلم! اسمعي أيتها الحشرة، ليَشنَّ النمل إضراباً في لوراسيا أو أبعدَ من ذلك، ويُحدث فوضى شاملة، وستشن إمبراطورية غندوانا هجوماً واسع النطاق لمحو هذه القمامة من على وجه الأرض في فترة زمنية قصيرة! أيتها الحشرات الصغيرة، هذه أفضل فرصة لنا معاً لنحقق إنجازاً عظيماً لحضارة الأرض!".

كرَّرت كاتشيكا ما قالته للتو لرئيس جمهورية لوراسيا، لإمبراطور غندوانا. وبعد استماعه إلى كلامها، ألقى الصينية بغضب، وحطَّ أعضاء وفد اتحاد النمل بعد سقوطه على الأرض بثوان.

- "أيتها الحشرات الصغيرة التافهة، بأيِّ حق تستخفون بحضارة الديناصورات العظيمة؟! اعلموا أنّنا نحن من يحكم الأرض وليس أنتم؛ أنتم لستم سوى غبار حيّ!".

وقفت كاتشيكا على أرضية القاعة، ورنت إلى إمبراطور غندوانا الشاهق المرتفع وقالت: "صاحب الجلالة، إنَّها حقّاً لسذاجة أن تحكم على قوة الفرد استناداً إلى حجمه في عصرٍ كهذا، اقرأ تاريخ حرب النمل والديناصورات الأولى".

لم يسمع داداس كلامها لبُعدِ جهاز الترجمة. وزأر بصوت مدوٍّ قائلاً: "إذا تجرَّأ النمل على الإضراب، فسيعاقبُ بقسوة". ثم غادر المكان.

نهض مندوبو إمبراطورية غندوانا وجمهورية لوراسيا عن المائدة المستديرة وخرجوا، وارتجت الأرض بعنفٍ لفترةٍ من وقع خطاهم الثقيلة، فاهتزَّ أعضاء اتحاد النمل مع الغبار على الأرض. سرعان ما اختفت هيئات الديناصورات بعيداً، تاركةً سهلاً أرضيّاً ناعماً ومسطحاً أمام النمل، يعكس ضوء الشموس الصغيرة الأبيض التي تزين سماء القبة، ويمتد إلى اللا نهاية، مثل المستقبل المجهول في وعي كاتشيكا.

(٩)

الإضراب

في القاعة الزرقاء الواسعة بالقصر الشاهق في عاصمة إمبراطورية غندوانا، استلقى الإمبراطور داداس على أريكة كبيرة، يغطي عينه اليسرى بمخلبه الكبير ويتأوه من الألم من وقت إلى آخر، وحوله وقف عدَّةُ ديناصورات: وزير الدولة بابات، وزير الدفاع المارشال لولوجيا، الدكتور نينيكان وزير العلوم، الدكتور ڤيڤيك وزير الصحة.

انحنى الدكتور ڤيڤيك قليلاً ونظر إلى الإمبراطور قائلاً: "جلالة الإمبراطور، عينك اليسرى التي أصابها دودومي التهبت وتحتاج إلى عملية جراحية عاجلة، لكننا الآن لا نستطيع العثور على أطباء من النمل لإجراء جراحة العيون، يمكننا فقط استخدام المضادات الحيوية. وإذا استمر هذا الوضع، فأنت معرض لخطر الإصابة بفقدان النظر في هذه العين".

- "أريد أن أسلخ جلد دودومي حقّاً!" صرَّ الإمبراطور على أسنانه ثم سأل الطبيب: "هل خلت المستشفيات في جميع أنحاء البلاد من أطباء النمل؟".

هزَّ ڤيڤيك رأسه وردَّ قائلاً: "أجل جلالتك، لم يتلقَّ عدد كبير من المرضى الذين يحتاجون إلى عمليات جراحية العلاج، وقد سبَّب ذلك ذعراً اجتماعيّاً".

قال الإمبراطور متوجهاً بكلامه إلى وزير الدولة: "أعتقد أنَّ مصدر الذعر الأكبر ليس ذلك".

انحنى الوزير قائلاً: "بالطبع يا صاحب الجلالة. حالياً، أُغلق ثلثا المصانع في البلاد، وانقطعت الكهرباء في العديد من المدن، والوضع في جمهورية لوراسيا ليس أفضل من وضعنا".

- "هل توقفت الآلات وخطوط الإنتاج التي يمكن للديناصورات تشغيلها أيضاً؟".

- "أجل يا صاحب الجلالة. في قطاعات التصنيع مثل تصنيع السيارات، لا يمكن تجميع الأجزاء الكبيرة التي تستطيع الديناصورات إنتاجها في منتجات نهائية قابلة للاستخدام من غير تصنيع الأجزاء الصغيرة الدقيقة، لذلك توقف الإنتاج أيضاً. وفي القطاعات الصناعية الأخرى، مثل المواد الكيميائية وتوليد الطاقة، لم تُحدث إضرابات النمل تأثيراً يُذكَر في البداية، ولكن في وقت لاحق، مع تزايد أعطال المعدات وعدم القدرة على الاستمرار في الصيانة، أصيب المزيد والمزيد من المصانع بالشلل".

انتفض الإمبراطور غضباً وقال: "حمقى! بمجرد انتهاء قمة النمل والديناصورات، أمرناكم بإجراء تدريب عاجل للديناصورات العاملة في الصناعة على مستوى البلاد، لكي يتمكنوا تدريجيّاً من تولّي العمليات الدقيقة التي قام بها النمل سابقاً".

- "صاحب الجلالة، ذلك شبه مستحيل".

- "لا شيء مستحيل أمام إمبراطورية غندوانا العظيمة! شهدت ديناصورات غندوانا أزمات أعظم على مدار تاريخ الإمبراطورية الطويل، كم من معارك دامية انتصرنا فيها رغم كلّ الصعاب؟ وكم من مرَّةٍ أطفأنا حرائق الغابات في القارة؟ وكم مرَّةٍ نجونا على الأرض التي اندلعت فيها الثورات البركانية بعد حركة الصفائح القارية؟".

- "لكن يا صاحب الجلالة، الأمر مختلف هذه المرة...".

- "ما الاختلاف؟! إذا عقدنا العزم وثابرنا، فيمكن أن تتمتع الديناصورات أيضاً بيدين مرنتين! إن عالمنا لن يخضعَ لتهديدات تلك الحشرات الصغيرة لهذا السبب!".

- "سأريكَ مدى صعوبة الأمر..." قال وزير الدولة وهو يبسطُ مخالبه الكبيرة ويضع سلكين أحمرين على الأريكة: "صاحب الجلالة، هل يمكنك تجربة العملية الأساسية لصيانةِ الآلات والمعدات: ربط هذين السلكين معاً؟".

يبلغ طول كل إصبع من مخلب الإمبراطور داداس نصف متر، كما أنه أكثر سمكاً من فنجان شاي، ويبدو السلكان اللذان يبلغ قطرهما ثلاثة ملليمترات بالنسبة له أرق من الشعرة بالنسبة لنا. بذل الكثير من الجهد، وجلس القرفصاء وعيناه مثبَّتتان بإحكام على الأريكة محاولاً ربط السلكين معاً، لكنَّ مخالبه السميكة المخروطية الشكل كانت ناعمة مثل قذائف مدفعية صغيرة، وظلَّ السلكان ينزلقان من بينها، بل كان من المستبعد إزالة مطاط السلكين وربطهما معاً. تنهد الإمبراطور وألقى السلكين على الأرض بتلويحة متبرمة من مخالبه.

- "حتى لو أتقنت مهارات توصيل الأسلاك الدقيقة، فلن تتمكن من القيام بأعمال الصيانة. لا تستطيع أصابعنا السميكة أن تتناسب مع الآلات التي لا يستطيع اختراقها إلَّا النمل".

- "آه...". تنهد وزير العلوم بعمق وقال متأثراً: "منذ ثمانمئة عام، رأى الإمبراطور الراحل الخطرَ الذي يشكله اعتماد عالم الديناصورات على مهارات التشغيل الدقيقة للنمل، وبذل جهوداً هائلة للبحث في تقنيات ومعدات جديدة للتحرر من هذا الاعتماد، لكن مع كامل احترامي، فقد توقفت هذه الجهود تقريباً على مدى هذين القرنين، بما في ذلك فترة حكم جلالتك، وأصبحنا نستلقي براحةٍ على السرير الدافئ الذي قدمه لنا النمل، ونسينا أن نستعد للأخطار في أوقات السِّلم".

- "أنا لم أستلقِ على سرير أحد!" قال الإمبراطور بغضب رافعاً مخلبيه الكبيرين: "في الواقع، الخطر الذي رآه الإمبراطور الراحل ظهر أيضاً مرَّاتٍ لا نهايةَ لها في كوابيسي". ثم ضغط بإصبعه الغليظة على صدر نينيكان وأكمل

قائلاً: "ولتعلم أنَّ جهود الإمبراطور للتحرر من اعتمادنا على مهارات النمل توقفت بسبب فشل مسعاهُ، وهكذا الحال في جمهورية لوراسيا".

- "أجل يا صاحب الجلالة!" أومأ وزير الدولة برأسه، مشيراً إلى السلكين المطروحين على الأرض، وقال لنينيكان: "دكتور، أنت تعرف بالتأكيد أنَّه كي تكمل الديناصورات عملية توصيل الأسلاك بنجاح، يجب أن يكون سمك هذين السلكين من عشرة سنتيمترات إلى خمسة عشر سنتيمتراً! وحتى مع هذا الحجم الكبير، لا يمكننا أن نتخيل جهاز كمبيوتر أو هاتفاً محمولاً به أسلاك سميكة تشبه شجيرة. وبالمثل، لكي يجري تشغيل وصيانة أجهزتنا بواسطة الديناصورات، يجب بناء نصف الآلات والمعدات أكبر بمئة ضعف أو حتى مئات الأضعاف عمَّا هي الآن، وبهذه الطريقة، يصبح استهلاك الموارد والطاقة أعلى بمئات المرات عمَّا هو اليوم، وهو أمرٌ لا يتحمله اقتصاد عالم الديناصورات".

أومأ وزير العلوم موافقاً على كلامه: "أجل، والأهم من ذلك، أنَّه لا يمكن زيادة حجم أجزاء بعض المعدات، على سبيل المثال، تنصُّ معدات الاتصالات البصرية والكهرومغناطيسية، بما في ذلك الطول الموجي للموجات الكهرومغناطيسية، أنَّ المكونات المستخدمة لتعديلها ومعالجتها يجب أن تكون صغيرة. كيف يمكن للمرء أن يتخيل وجود أجهزة كمبيوتر وشبكات من دون مكوناتٍ صغيرة؟ وينطبق الشيء نفسه على البحث والإنتاج في مجال البيولوجيا الجزيئية والهندسة الوراثية".

ردَّ وزير الصحة: "نظراً للحجم الكبير نسبيّاً لأعضاء الديناصورات، فمن المناسب لأطباء الديناصورات إجراء عمليات جراحيات في بعض الحالات. لكن تقنيات جراحة النمل تتميز بأنَّها عمليات من دون تدخل جراحي، وأنَّها أكثر أماناً وفعالية. وحسب السجلات التاريخية، أجرى أطباءُ الديناصورات عمليات جراحية قبل ألفي عام، لكن هذه التقينات فُقِدت الآن. وللتعافي من العملية الجراحية، ثمة تقنيات كثيرة يجب إتقانها، مثل التخدير العام وخياطة الجروح. وهناك أيضاً مسألة المفاهيم والعادات؛ بعد

الاستمتاع بآلاف السنين من الرعاية الطبية للنمل، فإنَّ فتح المعدة والخضوع لعملية جراحية أمر غير مقبول على الإطلاق بالنسبة لمعظم الديناصورات! لذلك، على الأقل في المستقبل القريب، لا يمكن لطبنا الاستغناء عن النمل".

واختتم وزير العلوم: "تحالف النمل والديناصورات خيار طبيعي ذو أهميةٍ جسيمة ودائمةٍ في عملية التطور. لولا هذا التحالف لما ظهرت الحضارة على الأرض، ولا يمكننا أن نتسامح مع النمل الذي يدمر هذا التحالف".

– "إذن ماذا علينا أن نفعل الآن؟" بسطَ الإمبراطور مخالبه وسأل الجميع.

ردَّ وزير الدفاع المارشال لولوجيا، الذي ظلَّ صامتاً طيلة الوقت: "صاحب الجلالة، رغم أنَّ اتحاد النمل له مزاياه، فإنَّ لدينا أيضاً قوتنا الخاصة، ويجب على الإمبراطورية استخدام هذه القوة".

أومأ الإمبراطور برأسه وقال للمارشال: "حسن، أصدر أمراً لهيئة الأركان العامة لصياغة خطة عمل".

– "أيها المارشال"، قال وزير الدولة، متمسكاً به بينما الآخر على وشك المغادرة، "الأهم هو التنسيق جيداً مع لوراسيا".

– "أجل" أومأ الامبراطور وأكمل: "يجب أن نعمل معاً لمنع دودومي من لعب دور الطرف الخيِّر، وكسب اتحاد النمل إلى جانبه".

(١٠)

حربُ الديناصورات والنملِ الثانية

مدينة العاج، التي أعيد بناؤها من أنقاض حرب النمل والديناصورات الأولى، قد تطوّرت الآن لتصبح أكبرَ مدينةٍ في عالم النمل، والمركزَ السياسي والاقتصادي والثقافي لاتحاد النمل في قارة غندوانا. يبلغ عدد سكانها مئة مليون نملة، وتغطي مساحة تعادل ملعَبي كرةِ قدم. المدينة مليئةٌ بمبانٍ شاهقة، إذ يصل ارتفاع مبنى اتحاد النمل إلى خمسة أمتار، وهو ما يجعله أطول مبنى في عالم النمل. عادة، تتدفق الشوارعُ التي تشبه المتاهاتِ بالنمل، وبما أنَّه لا يحتاج إلى سلالم لصعود المباني الشاهقة، فباستطاعته دخول كل طابق مباشرة من الجدران الخارجية، لذلك تظهر أيضاً تدفقات النمل على السطح الخارجي لناطحات السحاب. كما انتشر في سماء المدينة النمل الطّائر الذي تتلألأ أجنحته الرقيقة الشفافة في ضوء الشمس. وأكثر ما يلفت الانتباه في مدينة العاج، هو أعدادُ طواحين الهواء أعلى المباني الشاهقة، مثل زهور بيضاء تتفتح في المدينة.

لكن اليوم، هذه الحاضرة التي ضجَّت بالحركة في الماضي، أصبحت صامتة، وأُجليَ سكانها، وعادت أعداد كبيرةٌ من عمال النمل من مدينة الديناصورات بعد الإضراب. ومن شرق المدينة، أجليَ معظم النمل، وشكَّلَ مئاتُ الملايين منه تياراً أسودَ يتدفق نحو البعيد. وفي الغرب، ظهرت سلسلةُ جبال معدنية شاهقة على السهل الممتد على مرمى البصر، هي عشر جرافات لديناصورات من غندوانا. وقد صُفَّت مجارف الجرافات، وبدت من بعيدٍ كجدارٍ حديدي شاهق. أصدرت إمبراطورية غندوانا إنذاراً

نهائيّاً لاتحاد النمل، نصَّ على أنَّه إذا لم يَستأنِفِ النمل العمل في غضون ٢٤ ساعة، فإنَّ هذه الجرافات ستسوي مدينة العاج بالأرض. الآن، تغرب الشمس عند الأفق، والظلالُ الطويلةُ لجرافات الديناصورات تغطّي المدينة.

في صباح اليوم التالي، بدأت الحرب الثانية بين النمل والديناصورات.

بدَّدَ نسيمٌ ضبابَ الصباح، وأضاءت الشمس المشرقة ساحةَ المعركة، التي بدت للنمل شاسعة مترامية الأطراف، وبدت للديناصورات ضيقةً خانقة. على الحدود الغربية لمدينة العاج، انتشرت وحدات مدفعية النمل بتشكيلٍ مهيبٍ يزيد طوله على عشرين متراً، ولمعت مئاتٌ من المدافعِ ذاتِ العِيارِ الكبير في شمس الصباح، بحجم مفرقعاتنا النارية. وفي المواقعَ الخلفية، تمركزت آلاف الصواريخ على منصات الإطلاق، يعادل حجم كل منها سيجارة واحدة لدينا. كما حلّقت فرقةٌ من طائرات الاستطلاع التابعة للقوات الجوية فوق المدينة مثل أوراق شجر صغيرة أثارتها زوبعة.

وعلى مسافةٍ بعيدة، كانت محركات جرافات الديناصورات العشرة قد اشتغلت بالفعل، وملأ هديرٌ هائلٌ الفضاءَ بين السماء والأرض، وانتقلت الاهتزازات عبر الأرض، كما لو أنَّ المدينة في وسط زلزال، وارتجَّ زجاج المباني الشاهقة. وقف عددٌ من جنود الديناصورات إلى جانب الجرافات، وبدوا في أعين النمل كأنَّهم عمالقة. حمل أحد الضباط مكبرَ صوتٍ وصاح في اتجاه المدينة:

- "اسمعي أيتها الحشرات الصغيرة! إذا لم تستأنفي العمل، فستنطلق جرافات الإمبراطورية وتسوي مدينتك بالأرض!! في الواقع، لا نحتاج حتى إلى بذل هذا المجهود على الإطلاق. قرأتُ اقتباساً من جنرال ديناصور قديم في كتاب عن حرب النمل والديناصورات الأولى: مدينتكم أصغر من صناديق الرمل التي يلعب بها أطفالنا، يمكن أن يغرقوها بمجرد التبول عليها! ها ها ها ها...".

لم تأتِ إجابة من المدينة، ولا حتى تنبيه للضابط بمصير جنرال الديناصورات في حرب النمل والديناصورات الأولى التي ذكرها.

- "إلى الأمام!" لوح ضابط الديناصورات بمخلبه الكبير، وتقدمت جميع الجرافات ببطء أولاً، ثم تسارعت تدريجيّاً.

في هذه اللحظة، ارتفعت هسهسة طفيفة من مدينة العاج، لا تُسمع إلّا بخفوت وسط هدير الجرافات، مثل هواءٍ يتسربُ من بالون. انبثقَ عدد هائلٍ من الخطوط البيضاء الرفيعة للغاية من المدينة وامتدت بسرعة، كما لو أنَّ شَعراً نبتَ منها. كانت آثار دخان الصواريخ التي أطلقها النمل. حلَّقت الصواريخ فوق المساحة المفتوحة بين الجرافات والمدينة، فأصابت الجرافات والجنود الواقفين خلفها. أمسك الضابط الذي صاح لتوّه صاروخاً بمخالبه، فانفجر في كفه محدثاً ارتطاماً خافتاً، أطلق صرخة ألم، وقذف شظاياه بعيداً، ورأى حين بسط مخالبه أنَّ طبقة رقيقةً من جلده تمزقت. أصابت عشرات الصواريخ جسمه الضخم وانفجرت محدثة فرقعات حادةً، فانفجر ضاحكاً وهو يضرب جسمه قائلاً: "واو، صواريخكم كالبعوض، تدغدغني بشدة!". بدأت مدفعية النمل قصفها، وومضت النيران من مئات المدافع ذاتِ العيار الكبير في خطٍّ على الأرض عند مشارف المدينة، كأنَّ أحدهم يلقي بألعابٍ ناريةٍ هناك. وانهالت القذائف كالأمطار فوق المنطقة وأصابت في الغالب جنود الديناصورات ومقصورات الجرافات، لكن تلك الانفجارات الصغيرة لم تُسكِت هديرَ الجرافات، ولم تسبب هذه الأسلحة أيَّ ضررٍ لأهدافها، ولم تترك إلّا لطخاتٍ على زجاج مقصورات القيادة.

على العشب، بعد أقلٍ من مترين أمام الجرافات، وعلى طول خط مستقيم، حلَّقت فجأة آلافٌ من طائرات النمل، وتلألأت أجنحتها الرقيقة في ضوء الشمس بوميض كثيف. حلَّقت المجموعة فوق شفرات الجرافات الطويلة وهبطت على التوالي فوق أغطية المحرك الأمامية. بدا كأن النمل هبط على سهل أصفر شاسع، واهتزت الأرض المعدنية بعنف مع هدير المحركات. بدا الزجاج الأمامي لمقصورة السائق كأنَّه جُرفٌ ضخم يتعذّر رؤية قمته، وعكسَ السطحُ الأملسُ للجُرف السماءَ الزرقاء والسحبَ البيضاء، حاجباً رؤيةَ سائق الديناصورات في الداخل. في وسط غطاء

المحرك صفٌّ من فتحات التهوية، بدت للنمل واسعةً للغاية، فانسلَّ داخلها، ورأى مساحةً واسعة مرعبة، مليئة بالأنابيب السميكة والعجلات الدوَّارة، كأنَّه دخل إلى كونٍ من آلات فولاذية.

فاحت في الهواء الساخن رائحةُ زيتٍ نفَّاذة، وهزَّت الضوضاءُ المروعةُ النملَ حتى شعر بالخدر. وكما حذره ضباطه، رأى مروحة التبريد الشاهقة أمامه تدور بسرعة، وامتلأ الفضاء بعواصف قوية. زحف النمل على الأنابيب بسرعة نحو الهدف، على طول طريق محدد مسبقاً، وكانت الأنابيب بالنسبة إليه سميكة، فبدت القوات كأنَّها تسيرُ على تلال عريضة. ورغم أنَّ الأنابيب معقدة ومتشابكة، فإنَّ النمل كان خبيراً طبيعيّاً في المتاهات. وسرعان ما عثرت الفرق المكلفة بالبحث عن شمعات إشعال المحرك على هدفها، وبدت الشمعات الأربع من مسافةٍ أشبه بباغوداتٍ شاهقة. لم يلزم الجنود الاقتراب منها، إذ قيل إنَّ المجال الكهربائي القريب منها مميت للنمل. كان ثمة سلك يتدلى من كل شمعة، ويسقط بالقرب من النمل، يبلغ طوله طول النملة تقريباً. اقترب الجنود من الأسلاك، وأنزلوا حمولةَ ذرات الألغام عن ظهوره، وألصقوا ثلاثة ألغام أو أربعة على كلِّ سطحٍ من أسطحِ الأسلاك. بعد تشغيل زر التفجير المبرمج لذرات الألغام بالتوقيتِ المطلوب، انسحبوا بسرعة.

على عكس القنابل الحارقة المصغرة المستخدمة في حرب النمل والديناصورات الأولى، كانت هذه الألغام قنابل صغيرة مصممة خصيصاً لقطع الأسلاك. دوت انفجارات تشبه أصوات مفرقعاتنا النارية، وكاد أن يغطيها هديرُ الآلات، ورغم ذلك قُطعت الأسلاك، إذ تلامست أطرافها المقطوعة مع الغلاف المعدني، ما أدى إلى انبعاث وابلٍ من الشرارات الكهربائية الوامضة. وداخل أسطوانات المحرك، لم تعد شمعة الإشعال التي قُطعت قادرةً على إشعال الوقود، ما أدى إلى فقدان القوة الدافعة، وتوقفت الجرافات فجأة، ورفع القصور الذاتي عدَّةَ نملات من فوق خط الأنابيب. وفي الوقت نفسه، عثر فريق نمل آخر داخل الجرافات على خط أنابيب الوقود، كان أكثرَ سُمكاً من أسلاك شمعة الإشعال، وكان بوسعه

رؤية الوقود بوضوح من خلال جدار الأنبوب البلاستيكي الشفاف. تسلَّق النمل خطَّ الوقود، والتفَّ حول جداره ووضع أكثر من عشر ذرات ألغام، ثم انسحب على الفور. وهكذا، أكملَ جميعَ مهامه القتالية.

قطعت الجرافات العشر نحو مائتي متر، قبل أن تتوقف الواحدةَ تلوَ الأخرى. وبعد دقيقتين أو ثلاث، انفجرت ستٌّ منها واشتعلت فيها النيران، وقفز سائقو الديناصورات من المقصورة ولاذوا بالهرب، وقبل أن يبتعدوا، انفجرت أربع من الجرافات المشتعلة. وفي أعين النمل الذي يحرس مدينة العاج، حجب الدخانُ الكثيف الذي يلفه اللهبُ المشتعل معظمَ السماء. وبعد أن خمد الانفجار، عاد سائقو الجرافات الأربع التي لم تشتعل، وفتحوا الأغطية الأمامية لتفقد العطل مختنقين بحرارة ألسنة اللهب المنبعثة من الجرافات المجاورة. وسرعان ما حددوا سبب الخلل. أخرج أحد الديناصورات غريزيّاً عصا إشارةٍ من جيبه، وهو جهاز يُصدِرُ فيرمونات النمل، وتستخدمه الديناصورات لاستدعاء فنيي الصيانة من النمل في حياتها اليومية.

حدَّق سائق الجرَّار إلى عصا الإشارة الوامضة فترةً طويلة حتى أدرك أنْ لا نملَ يعملُ لديه. أطلق سبةً وانحنى لتوصيل الأسلاك من تلقاء نفسه، ومثل الديناصورات الثلاثة الأخرى، عجزت مخالبه السميكة عن الوصول إلى الآلة لسحب الأسلاك. وخطرت لأحد السائقين فكرة ذكية باستخدام فرع شجرة لانتزاع الأسلاك، لكن مخالبه الخرقاء لم تتمكن من ربط طرفي السلك معاً، وبعد محاولاتٍ عبثية، انزلق السلك من مخالبه مرة أخرى. واضطر السائقون إلى ترك جرافاتهم، وشاهدوا بيأس انتشارَ ألسنة اللهب من الجرَّافات المجاورة لجرَّافاتهم.

ضجَّ ميدان النمل بالهتافات، لكن المارشال جولي، التي قادت المعركة من مركبة مدرعة، أصدرت بهدوء أمراً بالانسحاب. في الواقع، كانت قوات المدفعية والصواريخ قد انسحبت، كما حلَّقت القوات المتبقية التي أنجزت مهمتها شرقاً، ما حوَّل مدينة العاج إلى مدينة فارغة حقّاً.

تحول عار الديناصورات إلى غضبٍ عارم حين مشاهدة صف الجرافات المشتعلة، وصرخ الضابط: "أيتها الحشرات الدنيئة! هل تظنين حقّاً أنَّكِ انتصرتِ؟! نحن نستخدم الجرافات من أجل المتعة! لتريّ كيف سنمحو مدينتكِ اللعبة!".

بعد حوالي عشر دقائق من انسحاب الديناصورات، حلقت قاذفة قنابل تابعة لإمبراطورية غندوانا فوق مدينة العاج، وحين غطى ظلها الضخم المدينة بالكامل، أسقطت قنبلة بحجم شاحنات الصهريج عندنا، أصدرت دويّاً حادّاً، وأصابت الساحة المركزية في مدينة العاج. دوَّى هدير يصم الآذان، وارتفع عمود أسود ضخم من الغبار مئة مترٍ في الهواء. وبعد أن هبط الغبار وانقشع الدخان، ظهرت حفرة عميقة حيث كانت المدينة، وتدفقت المياه الجوفية العكرة من قاع الحفرة، ولم يبقَ أي أثر لأكبر مدينة في عالم النمل.

في الوقت ذاته تقريباً، دمَّرت الديناصورات المدينة الخضراء، المدينة المركزية التابعة لاتحاد النمل في قارة لوراسيا. وتحولت تلك المدينة البديعة إلى أرض مستوية موحلة بواسطة خرطوم الضغط العالي لشاحنات إطفاء الديناصورات اللوراسية.

(١١)
الفريقُ الطبي

في اليوم التالي لتدمير مدينة العاج، قادت كاتشيكا، قنصل اتحاد النمل، فريقاً طبيّاً إلى مدينة الجلاميد للقاء الإمبراطور داداس.

قالت كاتشيكا بتواضع: "يشعرُ اتحادُ النمل بالرهبةِ بسبب القوة الغاشمة التي أظهرتها إمبراطورية غندوانا".

ردَّ داداس بحماسة: "ها ها، يا كاتشيكا أخيراً تتكلمين بصوت العقل. اعلمي أنَّ هذا ليس عصرَ حرب النمل والديناصورات الأولى، ولم يعد النمل قويّاً لخوض الحرب كالسابق. لم يعد بمقدوركم إشعال الحرائق في المدن والغابات، إذ ستعمل أجهزة مراقبة الحريق ومطافئ الحريق الأوتوماتيكية في كلِّ مكان على إطفائها قبل أن تصل إلى حجم عقب السيجارة. بالنسبة للتكتيك الهمجي والأحمق المتمثل في التسلل إلى أنوف الديناصورات، فحتى خلال الحرب الأولى بيننا، كان من الممكن أن تمنعه الديناصورات. إنَّه أمرٌ مزعجٌ ليس إلَّا!".

-"صحيح تماماً يا صاحب الجلالة داداس. أنا هنا لأطلب من إمبراطورية غندوانا أن توقف على الفور هجماتها على المدن الأخرى في اتحاد النمل، وسيتوقف النمل عن إضرابه ويستأنف جميع أعماله في الإمبراطورية. كما أعرب اتحاد النمل عن الاستعداد ذاته تجاه جمهورية لوراسيا. الآن، يعود مليارات النمل في مختلف القارات إلى جميع مدن الديناصورات".

أومأ داداس باستحسان: "هكذا تسير الأمور، إن تفكك تحالف النمل والديناصورات يمثل كارثة لكلينا. لقد علّمكم هذا الحادث على الأقل من الحكام الحقيقيون للأرض".

أومأت كاتشيكا أيضاً بقرنيّ استشعارها: "لقد كان درساً قويّاً كذلك! وليُعبِّر اتحاد النمل عن خالص احترامه لحكام الأرض، رافقني هذا الفريق الطبي المتميز لعلاج إصابات عين جلالته".

سُرَّ داداس سروراً بالغاً لأنَّ إصابة عينه عذبته طوال اليومين الماضيين، ولم يستطع أطباء الديناصورات علاجه إلّا بوصف بعض الأدوية، قائلين إنَّ على النمل إجراء العملية الجراحية. وسرعان ما بدأ الفريق الطبي الجراحة، إذ أجرت مجموعةٌ عمليات خارج مقلة العين ودخلت مجموعةٌ أخرى إلى الجزءِ الخلفي من مقلة العين عبر فتحتي الأنف. شرحت كاتشيكا التفاصيل للإمبراطور خلال الجراحة: "صاحب الجلالة، الخطوة الأولى هي إزالة الأنسجة المصابة والمتعفِّنة من مقلة العين في أثناء حقن الدواء. والخطوة الثانية علاج الإصابة باستخدام أحدث المواد العلاجية للعيون، وهذه المادة عبارة عن نسيج حي زُرِع باستخدام الهندسة الحيوية، سيشفي مقلة عينك تماماً من دون التأثير على بصرك ومظهرك على الإطلاق".

انتهت الجراحة خلال ساعتين، وغادرت كاتشيكا وفريق النمل الطبي.

في هذه اللحظة دخل وزير الدولة ووزير الصحة، يتبعهما عدة ديناصورات، يدفعون آلة كبيرة ومعقدة. أشار وزير الصحة إلى الآلة وقدمها للإمبراطور قائلاً: "صاحب الجلالة، هذا ماسح ضوئي ثلاثي الأبعاد عالي الدقة".

- "ماذا تفعلون؟ "سأل داداس بارتياب، وعينه اليسرى ملفوفة بالشاش.

قال وزير الدولة بجدية: "لأسباب تتعلق بالسلامة يا صاحب الجلالة، علينا إجراء مسح شامل لرأسك".

- "هل هذا ضروري؟".

- "من الأفضل توخي الحذر مع هذه الحشرات الماكرة".

وقف داداس على منصة صغيرة للآلة، ومرَّ ببطء شعاع رفيع ومشرق فوق رأسه من أعلى إلى أسفل. وقال بصبرٍ نافد في أثناء عملية المسح: "إنَّكم مرتابون قليلاً، لن تجرؤ حشرات النمل على العبث معي أبداً. إذا اكتشفته، فسيدمِّرُ الجيشُ الإمبراطوري جميعَ مدنه في غضون ثلاثة أيام. النمل حشرات ماكرة، لكنَّها أيضاً أكثر الحشرات عقلانية. طريقة تفكيرهم تشبه الكمبيوتر الدقيق، لا أثرَ لعاطفةٍ تدفعه على الإطلاق لتصفية هذا الحساب".

اكتمل المسح، ولم يُعثَر على أي تشوهات في جمجمته. وتلقَّى داداس تقريراً في الوقت نفسه: "عاد النمل تدريجيّاً إلى مدينة الديناصورات، وتنشطُ الأعمالُ التي يشتغلونها بسرعة".

همس وزير الدولة للإمبراطور: "ما زلت غير مقتنع يا صاحب الجلالة، أنا أفهم النمل".

ابتسم له داداس وقال: "يقظتكم في محلِّها ويجب الحفاظ عليها، ولكن يجب أن تفهموا أيضاً أننا هزمناهم".

ردَّ الوزير قائلاً: "سيخضع جميع المسؤولين رفيعي المستوى في الإمبراطورية وكبار العلماء والموظفين في المناصب الرئيسة من الآن فصاعداً للفحص والتفتيش بصورةٍ منتظمة، نأمل أن يوافق جلالتكم".

- "حسنٌ، أوافقك الرأي، رغم أنَّني لا أزال أشعر أنَّكَ مرتاب".

لكن داداس لم يتوقع أنَّه في الليلة الماضية، دخلت عشرون نملةً كانت مختبئة في المستشفى الملكي ستَّ ماسحاتٍ ضوئية ثلاثية الأبعاد عالية الدقة في المستشفى، وأتلفت شريحةً صغيرةً غيرَ مرئيةٍ تقريباً لكلِّ ديناصور. بعد إتلاف هذه الشريحة، عَمِل الماسح الضوئي بصورة طبيعية، لكنَّ دقَّته انخفضت بنسبة ٢٠٪. وتسبّب هذا الانخفاض في الدقَّة في عَمَى الماسح الضوئي عن جسم صغير داخل جمجمة داداس، وُضِع سرّاً على الشرايينِ الدماغية بواسطةِ نملةٍ في أثناء إجراء العملية الجراحية للعين، ولا يتجاوز

حجمُه عُشر حبّة أرزّ. كان ذرَّةَ ألغام موقوتة، من شأنها قطع الشرايين على الفور. تعرض "إيسيتا" جنرال الديناصورات الذي هاجم مدينة العاج، في الحرب الأولى قبل ألف عام، للقضم من جنديات النمل اللواتي دخلن الدماغ من خلال أنفه، وتوفي في ساحة المعركة بسبب نزيف دماغي.

تحدَّدَ زمنُ انفجارِ ذرَّةِ الألغام بعد ٦٦٠ ساعة، حينها كان دوران الأرض أسرع من الآن، وكان اليوم من ٢٢ ساعة فقط. أيّ إنَّ ذرَّةَ الألغام الموجودة في دماغ إمبراطور الديناصورات ستنفجرُ بعد شهر.

(١٢)
الحربُ الأخيرة

- "أصبحت الحقيقةُ شديدةَ الوضوح الآن: إمَّا أن يقضي النمل على الديناصورات، أو يهلك الاثنان معاً!" خاطبت كاتشيكا القنصلُ الأعلى أعضاءَ اتحادِ النمل من المنصة.

لوَّحت عضوة الاتحاد بيروبي بقرْنَي استشعارِها من مقعدها وقالت: "وأنا أتفق مع القنصل الأعلى. يواجه الغلافُ الحيوي للأرض مصيرين إذا استمرت الاتجاهاتُ الراهنة: إما أن يتسمَّمَ كليّاً بسبب التلوث الناتج عن صناعات الديناصورات، أو يُدَمَّرَ بالكامل في الحرب النووية بين قوتي الديناصورات غندوانا ولوراسيا".

أثارت كلماتُهما استجابةً قوية بين أعضاء الاتحاد: "أجل، حان الوقتُ لاتخاذ القرار النهائي!" ."اقضوا على الديناصورات، وأنقذوا حضارةَ الأرض!" ."افعلوا شيئاً! افعلوا شيئاً!".

لوَّحت الدكتورة جويا، كبيرةُ العلماء في اتحاد النمل، بقَرْنَي استشعارها لتخفيف الضوضاء وقالت: "يُرجى الهدوء. يجب أن تعلموا أنَّ العلاقة التكافلية بين النمل والديناصورات مستمرةٌ منذ أكثر من ألفي عام، تحالف النمل والديناصورات هو أساس حضارة الأرض، وبالطبع هو أيضاً أساس حضارة النمل. إذا انهار هذا التحالف فجأة وهلكت الديناصورات، فهل ستستطيع حضارةُ النمل الصمودَ بمفردها؟ كما يعلم الجميع، لطالما كان ما تحصل عليه الديناصورات من تحالف النمل واضحاً وملموساً، في حين أنَّ

ما يجنيه النمل منها -إضافةً إلى الضروريات الأساسية- أشياء غير ملموسة، وهي أفكارهم ومعرفتهم العلمية والتكنولوجية، وهي الأكثرُ أهميةً لحضارة النمل".

ردَّت كاتشيكا: "يا دكتورة، لقد فكرتُ مليّاً في هذه المسألة. في بداية تحالف النمل والديناصورات، كانت الأفكار والمعرفة المستمدة من الديناصورات ضروريةً بالفعل لمجتمعنا، وقوةً دافعة لصعود حضارتنا. لكن الآن، بعد أكثر من ألفي عام من التعلُّم المستمر وتراكم المعرفة من الديناصورات، لم يعد تفكير النمل بسيطاً ومكانيكياً كما كان، بلَ أصبح بمقدورنا أيضاً الانخراط في التفكير العلمي، وكذلك التصميم التكنولوجي والابتكار. كما أنَّنا في واقع الأمر متفوقون على الديناصورات في مجالات عديدة، مثل الآلات الدقيقة والحوسبة الحيوية. لذا لا يزال بإمكان تكنولوجيا عالم النمل أن تتقدم من دون الديناصورات، ولم نعد بحاجة إليها مصدراً للأفكار".

لوحت الدكتورة جويا بقَرْنَي استشعارها بقوة وردَّت: "لا، لا، لا، لا... أيتها القنصل الأعلى لقد خلطتِ بين مفهومي التكنولوجيا والعلوم! قد يكون النمل مهندسين ممتازين، لكنهم لن يصبحوا علماءَ أبداً! لأنَّ البنية الفسيولوجية لدماغ النمل تعني أننا نفتقر إلى شيئين تمتلكهما الديناصورات: الفضول والخيال".

هزَّت بيروبي رأسها رافضة وقالت: "الفضول والخيال؟ آه يا دكتورة، هل تعتقدين أنهما صفتان جيدتان؟ هذان ما جعلا من الديناصورات مخلوقاتٍ عصبيّة، انفعالاتها متقلبة ومزاجها متغير، وتضيِّعُ وقتَها في الأوهام وأحلام اليقظة".

- "لكن يا عضوة الاتحاد، هذا النوع من التقلُّب والتخيلات هو الذي يجعل الإلهامَ والإبداعَ ممكنيْن، وما يتيحُ البحثَ النظري لاستكشاف أعمق قوانين الكون، وهذا الأخير هو أساس التقدم التكنولوجي، فمن دونِ نظريات مجردة، يصبح اختراع التكنولوجيا وابتكارها مياهاً بلا منبع، ستجفُّ في النهاية".

قاطعتها كاتشيكا بِصبرٍ يكاد يَنْفَد: "حسنٌ حسنٌ، هذا ليس الوقت المناسب لمناقشات أكاديمية مملة. أيتها الدكتورة، يواجه عالمُ النمل الآن معضلةً واحدة: هل سنقضي على الديناصورات أم نهلك معها؟".

لم تُجب جويا.

قالت بيروبي بسخرية: "أنتم أيها العلماء عمالقةٌ في الأقوال وأقزامٌ في الأفعال، تتحدثون فقط عن النظرية وتعجزون عن مواجهة المسائل العملية". ثم التفتت إلى كاتشيكا وأكملت: "لذا، أيتها القنصل المحترمة، هل لدى القيادة العليا للاتحاد خطة تفصيلية؟".

أومأت كاتشيكا برأسها وقالت: "لتتفضل المارشال جولي وتُطلِعنا".

صعدت المارشال جولي -التي قادت معركة مدينة العاج الثانية قبل بضعة أيام- إلى المنصة: "أريد أن يرى الجميعُ شيئاً، اختراعاً تكنولوجيّاً صغيراً، لم نعتمد على مُعلِّمي الديناصورات في صنعه".

وبإشارة من المارشال، التقطت نملتان قطعتين رقيقتين بيضاوين، تشبهان قُصاصَتَيْ ورق. شرحت جولي: "هذا هو سلاح النمل الأكثر تقليدية: أحدث طراز من ذرَّات الألغام. طور المهندسون العسكريون التابعون للاتحاد هذا النوع من الذرَّات على شكل رقائق خصيصاً لهذه الحرب الأخيرة". ولوَّحت بقَرْنَي استشعارها، ورفعت أربع نملات سلكين قصيرين، من النوع الأكثر شيوعاً في آلات الديناصورات، سلكٌ أحمر وآخرُ أخضر. وضع النمل السلكين على حامل، ثم لفَّ القُصاصتَين حول منتصف السلكين بإحكام مثل شريط لاصقٍ أبيض. ولكن بعد ذلك حدث شيء سحري: بدأ لون القُصاصتَين يتغير فجأة، واتخذت كلٌّ منهما لونَ السلكين الملتفَّين حولهما، أحدهما أحمرُ والآخر أخضر، وسرعان ما اندمجا في السلكين، وأصبح من غير الممكن تمييزهما. قالت كاتشيكا: "هذا هو أحدث سلاح لدى الاتحاد: ذرَّاتُ الألغام متغيرةُ اللون. بمجرد تثبيتها لن تكتشفها الديناصورات أبداً!" وبعد نحو دقيقتين، انفجرت ذرَّاتُ الألغام، محدثة فرقعتين، وانقطع السلكان بإتقان.

- "وعندما يحين الوقت، سيحشد الاتحاد جيشاً ضخماً من مئة مليون نملة، جزءٌ منه استأنف عمله في عالم الديناصورات، والجزء الآخر يتسلل الآن إلى عالمها. ستُثبِّت الجنديات البالغ عددهن عشرين مليوناً مائتي مليون ذرّةِ ألغام متغيرةِ اللون على الأسلاك داخل آلات الديناصورات! وأطلقنا على هذا الإجراء "عملية قطع الاتصال"".

- "واو، يا لها من خطة عظيمة!" هتفت بيروبي، ما أثار موجةَ ثناء صادق بين الأعضاء.

- "والحملةُ التي ستُشَنُّ بالتوازي عظيمةٌ كذلك! سيرسل الاتحاد جيشاً آخرَ من عشرين مليون نملة لاختراقِ رؤوس خمسة ملايين ديناصور وزرع ذرَّات الألغام على الأوعية الدموية الرئيسة. والخمسة ملايين ديناصور هم من نخبةِ مليارات الديناصورات على الأرض، ومن بينهم قياداتٌ، وعلماء، ومشغِّلون وموظفون فنيون في مناصب رئيسة. بمجرد القضاء على هذه الديناصورات، سيشعرُ عالمُ الديناصورات كأنَّه فقد عقله، لذلك أطلقنا على هذه العملية "عملية قطع الدماغ"".

قالت بيروبي: "لا تبدو هذه الخطة سهلة مثل سابقتها. على حد علمي، يخضع جميع الموظفين الرئيسين في مجتمع الديناصورات بصورة روتينية إلى مسحٍ ثلاثي الأبعاد عالي الدقة. كانت إمبراطورية غندوانا أوَّلَ من اعتمد هذا الإجراء، وسرعان ما حذت جمهورية لوراسيا حذوها. حتى الإمبراطور داداس يخضع لهذا الفحص بانتظام".

قالت كاتشيكا بفخر: "لقد زُرِعَت أوَّلُ ذرَّة ألغام من عملية قطع الدماغ في دماغ داداس، ووضعها الفريق الطبي الذي قُدتُه، والآن بعد أن خضع الإمبراطور لسلسلة من الفحوصات، لا تزال ذرَّةُ الألغام مثبتةً بأمان على الأوعية الدموية الرئيسة في الدماغ".

سألت الدكتورة جويا: "تقصدين أنّنا طورنا نوعاً جديداً آخر من ذرَّات الألغام، لا يمكن للماسحات الضوئية ثلاثية الأبعاد عالية الدقة كشفه؟".

هزَّت كاتشيكا رأسها قائلة: "لقد بذلنا جهوداً، ولكنَّ جميعَها باءَت بالفشل. الماسحُ الضوئي ثلاثي الأبعاد عالي الدقة أحدُ أهم الإنجازات التكنولوجية المشتركة بين الديناصورات والنمل في السنوات الأخيرة، وبوسعه كشف وتحديد أصغر الأجسام الغريبة في دماغ الديناصورات. وبالطبع إذا وُضِعت ذرَّات الألغام في أي جزء آخر من جسم الديناصور، فلن تُكتَشَف بسهولة، لكن أن تقتله أو تُفقده وعيه وقدرته على التفكير باستخدام ذرَّات الألغام، فذلك لا يمكن أن يتحقق إلّا بتثبيت الذرَّات على الشرايين المُخيَّة. تعرف الديناصورات هذا أيضاً، لذا تفحص الدماغ فقط".

فكرت جويا للحظة، وحرَّكت قَرْنَي استشعارها في حيرة: "أنا آسفة أيتها القنصل. لا أعتقد أنَّه من الممكن لذرَّات الألغام الإفلات من الكشف. كنت المسؤولة من جانب النمل عن مشروع الماسح الضوئي ثلاثي الأبعاد عالي الدقة، وأدرك جيداً قوة تلك الآلة".

ظهر على جولي تعبير كاتشيكا المغرور: "عزيزتي الدكتورة، إنَّكِ تفرطين في التفكير وتُعقدين الأمور البسيطة دوماً. لقد أرسلنا وحدة صغيرة أخرى للتسلل إلى المستشفى الملكي، والعبث بأجهزة المسح الضوئي الستة الموجودة في المستشفى، وأتلفت شريحة صغيرة، وانخفضت دقة الماسح بنسبة ٢٠٪، ما منع الآلة من الكشف عن ذرَّات الألغام".

- "ثم؟ تُردنَ زرع ذرَّات الألغام في رؤوس خمسة ملايين ديناصور؟ لن تستطعنَ... آه، هل تحاولنَ تخريب جميع الماسحات الضوئية ثلاثية الأبعاد عالية الدقة في عالم الديناصورات، وتقليل دقتها بنسبة ٢٠٪؟!".

- "بالضبط! مقارنةً بالعمليتين السابقتين، هذه في الواقع مهمة أسهل. كما تعلمون، لا يضمُّ عالم الديناصورات حالياً إلا نحو أربعمئة ألف آلة كهذه، ويمكننا إنجاز المهمة بجيش من خمسة ملايين نملة".

صاحت كبيرة العلماء مصدومة: "خطة مجنونة!".

- "الجانب المميز في الخطة هو توجيه ضربات متزامنة لعالم الديناصورات!" تابعت كاتشيكا، وقد اعتبرت كلامَ الدكتورة إطراءً: "المائتا

مليون ذرَّة ألغام المثبَّتة في آلات الديناصورات، والخمسة ملايين ذرَّة المزروعة في أدمغتها ستنفجر في الوقت ذاته! لن يتجاوز الخطأ في الفترة الزمنية ثانية واحدة! وهذا يجعل من المستحيل أن يتلقى أي جزء من عالم الديناصورات مساعدات وتعزيزات من أجزاء أخرى، سيؤدي هذا أولاً إلى انهيار كامل لأنظمة معلوماتها الضخمة والمعقدة، ومن ثم ستصاب أنظمة الصناعة والنقل الكبيرة عندها بالشلل أيضاً. ولأنَّ الانهيار سيغطي كلَّ زاوية في عالم الديناصورات فمن المستحيل التعافي منه في فترة زمنية قصيرة. كما أنَّ القضاء على خمسة ملايين موظف رئيس من الديناصورات، وإزالة أدمغتها سيؤديان إلى صدمة شاملة، وسيغرق مجتمع الديناصورات مثل سفينة عملاقة انشق قاعُها في وسط المحيط! وكما تعلمون، فإنَّ استهلاك مدن الديناصورات مرتفع للغاية، تشير عمليات المحاكاة الحاسوبية التي أجريناها إلى أنَّه بمجرد انهيار شبكة المعلومات، والأنظمة الصناعية واسعة النطاق، وأنظمة النقل التي تحافظ على تدفق الإمدادات، سيموت ثلثا الديناصورات في المدن من الجوع والعطش خلال أقل من شهر. وستنتشر بقية الديناصورات خارج المدن، وفي ظل الهجوم المتواصل من جانب النمل، ستعاني الجوع والمرض، وفي غضون عام تقريباً، سينخفض عدد هؤلاء الناجين بنسبة ثلثين، وسيتحول عالم الديناصورات الباقي في النهاية إلى مجتمع منخفض التقنية قبل عصر المحرك البخاري، ولن يشكل أي تهديد لعالم النمل. حينها، سنصبح الحكام الحقيقيين للأرض!".

سألت بيروبي، وهي بالكاد تكبتُ حماسَها: "سيدتي القنصل الأعلى، هل بوسعك إطلاعنا على الوقت المحدد لتلك اللحظة العظيمة؟".

- "حُدِّد وقت تفجير جميع ذرَّات الألغام: بعد شهر واحد، في منتصف الليل".

أطلق النمل موجة من الهتافات. لوَّحت الدكتورة جويا بقَرْنَيِ استشعارها باستماتةٍ لتهدئته، لكن الهتافات استمرت. لم يهدأ النمل ويعيروها اهتماماً إلَّا حين صرخت صرخة عالية.

صاحت جويا: "كفى! هل جُننتم!" عالم الديناصورات نظام عملاق فائق التعقيد، وإذا انهار هذا النظام بالكامل في لحظة، فسيؤدي إلى عواقب وخيمة يصعبُ التنبؤ بها".

سألت كاتشيكا: "يا دكتورة، بخلاف تدمير عالم الديناصورات والانتصار النهائي لاتحاد النمل على الأرض، هل يمكنك أن تطلعينا على العواقب الأخرى؟".

- "أخبرتكم، من الصعب التنبؤ بها".

قالت بيروبي: "ها قد بدأت مجدداً، جويا دودة الكتب، لقد سئمنا من كلامك". وأعرب أعضاء آخرون عن استيائهم من إفساد كبيرة العلماء لبهجتهم.

توجهت جولي نحو جويا وربتت عليها بساقها الأمامية، وكانت المارشال نملة رصينة، وإحدى القلائل الذين لم يهتفوا مع الجميع. "يا دكتورة، أتفهم مخاوفك، في الواقع لدينا المخاوف ذواتها. ولكن بصفتي واقعية عقلانية، أرى أنَّ اتحاد النمل ليس لديه خيار آخر، وليس بمقدور علماءَ مثلك تقديم خيارات أفضل. وفيما يتعلق بالعواقب المخيفة التي ذكرتها، فأعتقد أنَّ فقدان السيطرة على أسلحة الديناصورات النووية هو السيناريو الأرجح، إذ إنَّها كافية للقضاء على كل أشكال الحياة على الأرض. لكن لا تقلقي، رغم أنَّ أنظمة الأسلحة النووية لكلتا قوتي الديناصورات تخضع لسيطرة الديناصورات الكاملة، كما أنَّ أعمال الصيانة اليومية التي يقوم بها النمل تراقبها الديناصورات من كَثَب، فإنَّ اختراقها ليس بالمهمة الصعبة على قواتنا الخاصة. سننشر ضعفي عدد ذرَّات الألغام في نظام الأسلحة النووية مقارنة بالأنظمة الأخرى، وستصاب منظومة السلاح النووي بالشلل التام كغيرها من المنظومات في الوقت المحدَّد، ولن تنفجر أي قنبلة نووية".

تنهدت جويا وقالت: "مارشال، الأمور أشدُّ تعقيداً من ذلك. السؤال الحاسم هو: هل نفهمُ حقّاً عالم الديناصورات؟".

أذهل السؤال جميعَ النمل للحظات، فنظرت كاتشيكا إلى جويا وقالت: "يا دكتورة، يعيش النمل في كلِّ جزء من أجزاء عالم الديناصورات، وهكذا الحال منذ ثلاثة آلاف سنة! كيف يمكنكِ أن تسألي سؤالاً أحمق كهذا؟".

هزَّت جويا قَرْنَي استشعارها ببطء: "النمل والديناصورات نوعان مختلفان تماماً، ويعيشان في عالمين مختلفين كليّاً. يخبرني حدسي أنَّ في عالم الديناصورات أسراراً كبيرة يجهلها النمل".

قالت بيروبي باستهجان: "إذا لم تقدمي أي تفاصيل محددة، فكلامك لا يعني شيئاً".

ردَّت جويا: "لذلك أطلب إنشاء نظام لجمع المعلومات بخطة محددة على النحو التالي: تثبيت جهاز تنصّت في قوقعة الأذن حين زرع ذرَّة الألغام في دماغ الديناصور. سأقود قسماً لمراقبة وتحليل المعلومات التي ترسلها أجهزة التنصت هذه، بهدف الكشف عمَّا نجهله في أقرب وقت ممكن".

قالت جولي: "من المتوقع أن تكتمل مهمة تثبيت ذرَّات الألغام في دماغ الديناصورات خلال نصف شهر، وسيتلقى قسمك معلومات من خمسة ملايين جهاز تنصت، حتى مع بذل جهودٍ ضخمة، فلن تُحلِّلي إلَّا جزءاً ضئيلاً جدّاً من كَم المعلومات الهائل هذا، قبل أن تنفجر جميع ذرَّات الألغام".

هزّت جوي قَرْنَي استشعارها: "ولهذا السبب، أيتها المارشال، أطلب تأجيل وقت تفجير ذرَّات الألغام شهرين، لنتمكن من تحليل أكبر قدر ممكن من المعلومات وربما نكتشف شيئًا ما".

صرخت كاتشيكا بسخط: "كلام فارغ! لا يمكن التأجيل. شهر واحد هو الوقت الذي نحتاج إليه لزرع ذرَّات الألغام، ليس بوسعنا تمديده ثانية واحدة. التأخير غير المُسوَّغ لن يؤدي إلَّا إلى إثارة المشكلات، لذا يتعيَّنُ علينا التصرف في أسرع وقت ممكن! كما أنَّني لا أعتقد أنَّ في عالم الديناصورات أي شيء لا نعرفه بالفعل!".

(١٣)
ذراتُ الألغام

دخل داداس إمبراطور غندوانا إلى برج الاتصالات في مدينة الجلاميد، برفقة وزير الدولة ووزير الأمن. يُعدُّ برج الاتصالات مركزَ شبكة المعلومات في المدينة، وهو المسؤول عن معالجة وتبادل المعلومات بين العاصمة والدولة بأكملها. يوجد أكثر من مئة مركز من هذه الشبكات في إمبراطورية غندوانا، وتشكِّلُ العمودَ الفقري لشبكة المعلومات الواسعة للإمبراطورية.

دخل داداس ووزيراه إلى غرفة التحكم الرئيسة الفسيحة في البرج، المليئة بشاشات كمبيوتر ساطعة تُعَدُّ ولا تحصى، فوقفت الديناصورات التي تعمل أمام أجهزة الكمبيوتر احتراماً للإمبراطور.

سأل وزيرُ الدولة: "من المسؤول هنا؟" تقدم اثنان من الديناصورات وقدما نفسيهما بصفتهما كبيرَ المهندسين ومديرَ الأمن بمركز الشبكة. سألهما الوزير: "وأين النمل الذي يعمل هنا؟".

قال كبير المهندسين: "لقد انتهى دوامُ عمله".

أومأ وزير الدولة برأسه قائلاً: "لا بُدَّ أنَّكم تلقيتم أوامرَ وزارة الأمن الإمبراطوري بإجراء فحص شامل لجميع أجهزة الكمبيوتر ومعدات الشبكات لمنع التخريب المحتمل من النمل. يُجرى هذا الفحص على مستوى البلاد، وفي مختلف القطاعات في الإمبراطورية، على نطاق وتغطية أكبر من أي وقت مضى. وجلالة الإمبراطور هنا لتفقد عملكم".

قال كبير المهندسين: "أجرينا فحصاً شاملاً على الفور بعد تلقي الأوامر، كما فحصنا جميعَ المعدات الرئيسة مرتين الآن، وعزَّزنا الإجراءات الأمنية لضمان أمن مركز الشبكة. اطمئن يا صاحب الجلالة".

قال داداس: "خذنا إلى المكان الأكثر أهمية".

- "إذن نذهب إلى غرفة الخوادم؟" ألقى كبير المهندسين نظرةً مستفهمةً إلى وزير الدولة الذي أومأ برأسه وقاد الإمبراطور والوزيرين إلى قلب الشبكة: غرفة الخوادم. ساروا بين صفوف الخوادم البيضاء، وكانت هذه الحواسيب العملاقة، التي تعالج كميات هائلة من المعلومات من جميع أنحاء العالم، تصدر طنيناً خافتاً حولهم كأنَّها كائنات حية.

سأل وزير الدولة: "ما التدابير التي اتخذتها لضمان أمن المكان هنا؟".

ردَّ مدير أمن مركز الشبكة، وهو يأخذ عدسة مكبرة من باب أحد الخوادم: "يُمنع منعاً باتّاً دخول النمل العامل في مركز الشبكة إلى هنا من دون تصريح. وتُنفذ أعمال الصيانة تحت إشراف دقيق من الديناصورات. وكما ترى يا صاحب السمو، نحن نستخدم هذا لمراقبة عمل النمل. بمجرد دخولهم إلى غرفة الخوادم، يصبحون تحت مراقبة الديناصورات". أشار حوله إلى كل عدسة مكبرة معلقة على كلِّ باب.

أومأ وزير الدولة برأسه قائلاً: "رائع! إذن، ما هي إجراءاتكم لمنع التسلل السري المحتمل من النمل الخارجي؟".

- "أولاً، أحكمنا إغلاق غرفة الخوادم لمنع دخول النمل من الخارج".

ردَّ وزير الأمن، الذي حافظ على صمته طيلة الوقت: "هيه، أحكمتم؟ يا لها من مزحة! لقد رأيتُ الغرفة المغلقة بأشد إحكام في عالم الديناصورات، وهي قبو في البنك الإمبراطوري حيث تُخزَّن عملة النمل. هل تدري إلى أي درجة القبو محكم الإغلاق؟ أُفرغ الداخل من الهواء، ولا يمكن للهواء الخارجي الدخول على الإطلاق، ما يخلق إغلاقاً مثالياً حقّاً. استخدم البنك هذه الوسيلة لمنع عصابة جامحة من لصوص النمل، هاجمت البنوك الكبيرة

على وجه التحديد آنذاك. داخل القبو أجهزة استشعار غاز حساسة، وحين يحفر ثقوباً في جدرانه ويدخل، سيتسرب الهواء من الداخل، وستكتشف أجهزة الاستشعار بسرعة أثرَ الهواء المتسرب وتُصدرُ إنذاراً. ورغم ذلك تعرض القبو للسرقة، وظلَّ الإنذارُ صامتاً. حتى حين فحصنا مسرحَ الجريمة لاحقاً، لم نعرف قطُّ من أين دخل النمل وكيف. أعتقد أنَّه أوصل حجرةَ تفريغ صغيرة بالجدار الخارجي للقبو، وحفر داخلها، ثم سدَّ الثقب الصغير فوراً بعد انتهاء عملية السرقة كي لا يتسرب الهواء. مكرُ النمل يفوق تصورنا، وفي الوقت نفسه، صِغَرُ حجمِه يمنحه ميزةً. ومن المستحيل أن يمنعهم إغلاقُ مبانٍ ضخمة كهذه في مدينتنا بإحكام من الدخول".

سأل داداس: "هل يمكن إغلاق الآلات بإحكام لمنع النمل من تخريبها؟".

أجاب وزير الأمن: "وهذا أيضاً صعبٌ يا صاحب الجلالة. أولاً، في الأجهزة بعض الفتحات الضرورية، مثل فتحات التهوية، وفتحات الأسلاك، وفتحات إدخال الأقراص المضغوطة والأقراص المرنة. حتى سدّ الأجهزة تماماً لن يمنع تسلل النمل. كما تعلم، هذه الحشرات تتميز بمهارتها في الحفر، قد تكون هذه أيضاً غريزة متبقية من عيشه في الأعشاش، إذ لديه أدواتٌ صغيرة كثيرة، لكنَّ درجة قوتها بوسعها حفر ثقوب صغيرة وسريعة في مختلف المواد كافيةٍ للمرور عبرها".

قال وزير الدولة لكبير المهندسين ومدير الأمن بصرامةٍ: "الطريقة الفعالة لضمان سلامة الأجهزة حقّاً، الفحص والفحص وإعادة الفحص ومن دون تراخٍ!".

وقف الديناصوران من مركز الشبكة منتبهَين وقالا بصوتٍ واحد: "نعم أيها الوزير!".

وقف وزير الأمن أمام خادم وقال آمراً: "افحص هذا الجهاز".

التقط مدير الأمن جهاز الاتصال الداخلي وقال شيئاً، فهرع خمسة مهندسين ديناصورات في الحال، كلٌّ منها يحمل مصابيح كهربائية ونظارات

مكبِّرة وأدواتٍ أخرى، إضافةً إلى أداتين متخصصتين. فتح المهندسان باب الخادم وفحصاه بعناية. وهذه ليست مهمة سهلة؛ فالأسلاك والمكونات الموجودة داخل الخادم متشابكةٌ جدّاً، وتستخدم الديناصورات نظارات مكبِّرة للبحث الدقيق، كأنَّها تقرأ مقالاً طويلاً غامضاً أو تمشي في متاهة ضخمة. وبينما بدأ صبر داداس وفريقه ينفد، صاح أحد المهندسين: "آه، وجدت شيئاً غريباً! هناك ذرَّة ألغام!" ثم سلَّم العدسة المكبِّرة إلى داداس وقال: "يا صاحب الجلالة، هناك، على ذلك السلك الأخضر". نظر الإمبراطور عبر العدسة المكبِّرة، وأومأ برأسه في رضاً. ثم أخرجَ مهندسٌ آخر شيئاً بشكل قلم، وهو مكنسة كهربائية مصغَّرة، ووجه فوهتها إلى السلك، ثم ضغط على زر، فامتص الكرة الصفراء المتصلة به.

- "جيد جدّاً!" ربت وزير الأمن على المهندس الذي اكتشف الذرَّة ثم التفت إلى داداس وقال: "صاحب الجلالة، وُضِعت ذرة الألغام الزائفة هذه هناك بناء على طلبي المسبق، للتحقق من فعالية التفتيش الأمني هنا".

قال داداس باستهجان: "هيه، فعالية مثل هذه التدابير محدودة، النمل صغير وماكر، وإذا عزم على أن يعيثَ فساداً، فمن الصعب منعه. لطالما اعتقدتُ أنَّ أفضل طريقة للتعامل مع تهديد النمل، هي خلقُ تهديدٍ أكبر لمُحدثيه. الآن، وبعد تدمير مدينتيهما الرئيستين، قدّمنا رادعاً كافياً ضد اتحاد النمل، ونجحنا في إيضاح أنَّ عالمه في أعيننا ليس أكثر من لعبة صندوق رمل موضوعة على طاولاتنا، ويمكن للديناصورات أن تدمِّر جميع مدن النمل على الأرض في يوم أو يومين من دون عناء. في هذه الحالة، لن يجرؤ النمل على تنظيم أي عمليات تخريب ضد عالم الديناصورات، إنَّها كائناتٌ عقلانية تماماً، تتصرف وفقًا لتفكير ميكانيكي مُحايدٍ، ما لا يسمح لها بمخاطراتٍ ضررُها أكثرُ من نفعها".

ردَّ وزير الدولة: "صاحب الجلالة، بالطبع ما قلته معقول، لكنَّني رأيت كابوساً الليلة الماضية كشف لي احتمالاً آخر".

- "إنَّك تعاني من الكوابيس في الآونة الأخيرة".

- "لأنَّ حدسي يخبرني بوجود خطر كبير بالفعل. يا صاحب الجلالة، ردع الديناصورات لعالم النمل الذي ذكرته يستند إلى فرضية مفادها أنَّه إذا دمَّرَ النمل أولاً جزءاً من عالم الديناصورات، فسيوجه الجزء الآخر ضربةً مُقاومة، ويدمِّرُ عالم النمل. ولكن إذا شنَّ النمل هجوماً بتدمير أجزاء مختلفة من عالم الديناصورات في وقتٍ واحدٍ ونجح، فلن نتمكن من الهجوم والمقاومة. وفي تلك الحالة، ستمَّحي هيمنةُ الديناصورات على النمل".

فكر داداس للحظة وهز رأسه قائلاً: "ما تَصفه مجردُ احتمالٍ منطقي، حالةٌ متطرفة لا يمكن أن تحدث".

- "جلالتك، هذا الجانب الآخر من تفكير النمل الميكانيكي: ما دام الأمر ممكناً نظريّاً فسينفذه، وفي تقديره البسيط، لا حدودَ للجنون".

- "ما زلت أعتقد أنَّه من غير المرجح حدوث ذلك. الإجراءات الأمنية للإمبراطورية مشدَّدة، إذا نفذَّ النمل عمليةً واسعةَ النطاق، فسنكتشفها بسرعة. أشدُّ ما يقلقني الآن ليس النمل، بل ديناصورات جمهورية لوراسيا التي يزداد تهديدها للإمبراطورية".

*

في هذه اللحظة، إضافة إلى الديناصورات الموجودة، استمع آخرون لكلام داداس، وهم اثنتا عشرةَ جندية من النمل مختبئات تحت اللوحة الأم للخادم. تسللت المجموعة إلى برج الاتصالات قبل خمس ساعات عبر أنبوب إمداد المياه، ثم دخلت غرفة الخوادم عبر فجوة صغيرة في الأرضية، وأخيراً دخلت الخادم عبر فتحة تهوية. ملاحظة وزير الأمن الإمبراطوري صحيحة، النمل يمر عبر المباني الضخمة وآلات الديناصورات من دون عائق. حين سمعت المجموعة اقتراب الديناصورات، اختبأت بسرعة تحت اللوحة الأم، الأكبر من ملعب كرة القدم في مدينة العاج. وسمعت باب الخادم يُفتح، ومن خلال فتحة صغيرة في اللوحة الأم، رأت عدسة مكبِّرة تغطي السماء بأكملها، وبدت عينُ المهندسِ الضخمةُ شائهةً في انعكاسِها

على العدسة. ارتعب النمل لحظتها، لكن الديناصورات لم تلمحه. وحين اكتشف مهندس الديناصورات ذرَّة الألغام المزيفة التي وضعها فردٌ من نوعه، فاتته الذرَّة الحقيقية التي زرعها النمل للتو في هذا الموضع، إذ اكتسبت تلك القطعة الصغيرة الرفيعة لونَ السلك المتصل بشكلٍ مثالي، وأصبح من المستحيل تمييزها. وزُرِعَت ذرَّاتُ ألغامٍ على عشرات الأسلاك مختلفة السمك والألوان حول ذلك السلك. أُلصِقَت أيضاً ذرَّاتُ ألغام بلوحة الدائرة، معزَّزة بأداء أكثر تقدماً لتغيُّر اللون. إذ تكتسب ألواناً مختلفةً في مواضع مختلفة، لتتوافق مع لوحة الدائرة أدناها من دون عيوب، ما يجعل اكتشافها أصعبَ من اكتشاف ذرَّات الألغام الملتصقة بالأسلاك. هذا النوع لا ينفجر، بل ستنبثق منه قطراتُ حمضٍ قوي حين يصل إلى الوقت المحدد، يذيب الدوائرَ المحفورة على لوحة الدائرة.

سمع النمل الموجود أسفل اللوحة الأم المحادثة بين وزير الدولة والإمبراطور. بعد إغلاق الباب، دخل عالم الخادم في الليل فوراً، بلا ضوء إلَّا مؤشر الطاقة المعلَّق في سمائه مثل قمرٍ أخضر. وزاد طنينُ مروحة التبريد ونقرُ القرص الصلب اللطيف من هدوء هذا العالم.

قالت جنديةٌ من النمل: "أجل، كلام وزير الديناصورات منطقي، إذا اتخذ اتحاد النمل أحدَ هذه الإجراءات، فبوسعه تدمير عالم الديناصورات".

وقالت جنديةٌ أخرى: "ربما هذا ما نفعله الآن، من يدري؟".

كانت مجموعةُ النمل الأكثر من اثنتي عشرةَ تجهلُ أنَّ عدداً يفوق عددَها كان يتسلل إلى برج الاتصالات حينها. في الواقع، في كلِّ خادم في هذه القاعة، وفي كلِّ لوحة مفاتيح في القاعة السفلية، يوجد جيشٌ صغيرٌ من النمل ينجز المهمةَ ذاتها. كما لم يتخيَّلْ أنَّه في العالم الخارجي الشاسع، وفي مختلف القارات، وفي عددٍ لا يُحصَى من الآلات في عالم الديناصورات، تنجز مليارياتُ النمل المهمةَ ذاتَها.

راود وزيرَ الدولة كابوسٌ آخر في تلك الليلة. رأى في حُلمه أنَّ كتلةً داكنة من النمل تدخل إلى جسده من فتحتي أنفه، ثم تخرج من فمه في

صفوف طويلة. وكلُّ نملةٍ خرجت كان في فمها شيء: أحشاؤه الممضوغة. ألقى النمل البقايا ثم زحف عائداً من خلال أنفه، مشكلاً حلقةً لا تنتهي، وشعر بأعضائه الداخلية تُجوَّف...

لم يكن حلم وزير الدولة بلا مسوِّغ، إذ زحفت نملتان في هذه اللحظة عبر أنفه. تسللت الجنديتان إلى غرفة نومه في أثناء النهار، واختبأتا تحت وسادته في انتظار فرصةٍ مواتية. الآن، عبرتا بسرعة عبر التجويف الأنفي بسبب الرياح الناتجة عن استنشاق الديناصور، ثم تقدمتا بمهارة عبر الجمجمة المظلمة لتصلا إلى الدماغ. أشعلت نملة مصباحها الأمامي الصغير، وسرعان ما عثرت على الشرايين المخيَّة. وألصقت النملة الأخرى ذرَّة ألغام صفراء بالجدار الخارجي الشفاف للشرايين. ثم انسحبتا من الدماغ وزحفتا عبر طريق متعرج آخر في الجمجمة الرطبة المظلمة، ووصلتا سريعاً إلى الأذن. أمام طبلة الأذن، تسلل بصيص ضوء عبر الطبلة الشفافة، وأحدَثت الأصوات الخارجية الخافتة التي ضخمتها قوقعة الأذن دويّاً على الطبلة، وأسفلَها شرعت النملتان بتثبيت جهاز للتنصت.

استمر كابوس وزير الدولة الذي كانت تستأصل فيه أعضاؤه بالكامل، وتغلغل المزيد من النمل مستخدماً جسده عُشّاً... فاستيقظ يتصبَّبُ عرقاً بارداً.

شعرت النملتان المنهمكتان بالعمل في أذنه، بأنَّ العالمَ من حولِهما يهتزُّ فجأة، وتلا ذلك شعورٌ بالجاذبيةِ الثقيلة. عرفتا أنَّ الديناصور قد استيقظ وجلس. ثم ملأ صوتٌ هائل المساحةَ المعتمة بأكملها، هزَّ النمل حتى شعر بالخَدَر، وانتقل معظم هذا الصوت عبر جبهة الجمجمة، وكان الديناصور نفسه يتحدث:

- "ليأتِ أحدهم! ليأتِ أحدهم!".

صدرَ صوتٌ آخر، هذه المرة من الخارج. اهتزَّت طبلة الأذن بعنف، حتى إنَّ سطحها بدا كأنَّه تشوَّش.

- "معالي الوزير، أمرك؟".

قال الصوتُ داخل الرأس: "أجرِ لي فحصاً بالماسح ثلاثي الأبعاد عالي الدقة على الفور!".

تبادلت النملتان نظرةَ توتر، فقالت إحداهما: "ماذا نفعل؟ هل نخترق طبلة الأذن وننسحب من قناة الأذن؟".

- "لا، سنُكتَشفُ بسهولة! لنختبئ في الرئتين، عادةً يفحصون الرأسَ فقط".

تركت النملتان جهاز التنصت المثبت وهبطتا بسرعة في الظلام، وعادتا إلى التجويف الأنفي، ثم سارتا في الاتجاه المعاكس، ووصلتا بسرعة إلى مدخل الجهاز التنفسي. انتظرت النملتان بهدوء، وحين أخذ الديناصور شهيقاً قفزتا إلى الأسفل، مستخدمتين الرياح القوية الناتجة عن الاستنشاق لتمرا بسرعة عبر القصبة الهوائية وتدخلا الرئتين. سمعتا صوتاً خافتاً في الظلام، مثل زخات مطر تهطل في الغابة ليلاً، وهو الصوت الصادر عن الحويصلات الهوائية في أثناء تبادل الغازات. كما سمعتا طنيناً طفيفاً من العالم الخارجي، وهو صوت تشغيل الماسح الضوئي ثلاثي الأبعاد. وبعد بضع دقائق، سمعتا صوتاً من الخارج أكثر إبهاماً ممَّا سمعتا في رأس الديناصور، ولكن لا يزال بإمكانهما تمييزه.

- "معالي الوزير، انتهينا من الفحص ولم نعثر على أي خلل".

شعرت النملتان في الرئتين بانخفاض حاد في ضغط الهواء إثرَ تنفسه الصعداء.

- "معالي الوزير، لقد طلبت ثلاثة فحوصات الليلة، وكل فحص طبيعي تماماً. أعتقد أنَّك تُفرط في القلق".

- "أفرط في القلق؟ ماذا تعرفون أيها الأغبياء؟ لا يكف الجميع عن الحديث عن تهديد لوراسيا، ويكرسون كلَّ قوتهم للتحضير لحرب نووية

ضد تلك القوة. أنا فقط، الوحيد اليقظ في الإمبراطورية، أعرف من أين يأتي التهديد الحقيقي".

- "لكن... الفحوصات التي أجريت هذه الأيام لم تُظهر أي خلل".

- "أشك إذا كانت أجهزتكم تعمل بطريقة صحيحة".

- "أيها الوزير، لا أعتقد أنَّ في الآلات خطباً. لقد استخدمنا بالفعل جميع الماسحات الضوئية في المستشفى الملكي. وفقاً لتعليماتك هذه المرة، نقلنا جهازاً من مستشفى كبير آخر في المدينة، ونتائج هذه الأجهزة متطابقة".

تبادلت النملتان في رئتي الديناصور النظرات بتوتر مجدداً وقالت إحداهما: "نجونا بأعجوبة! انتهينا من إتلاف الماسحات في مدينة الجلاميد هذا الصباح فقط. لو بكَّرنا موعد عمليتنا، لكان من الممكن اكتشاف ذرَّات الألغام وأجهزة التنصت المزروعة".

استلقى وزير الدولة على سريره ودخل في نوم معذبٍ بالكوابيس. زحفت النملتان في رئتيه بصمتٍ عبر فتحة أنفه، ونزلتا من السرير، وانسحبتا من غرفة النوم زاحفتين على الأرض.

في الوقت ذاته، وفي قارات مختلفة، تسللت عشرون مليون نملة إلى رؤوس خمسة ملايين ديناصور (بما في ذلك الإمبراطور داداس من إمبراطورية غندوانا، والرئيس دودومي من جمهورية لوراسيا) وزرعت ذرَّات الألغام القاتلة على الشرايين المُخيَّة، وثبَّتت أيضاً أجهزةَ تنصت في آذان ما يزيد على مليون ديناصور. بدأت أجهزة التنصت العمل ونقل كمية كبيرة من المعلومات عبر محطات إرسالٍ عديدة في مختلف القارات إلى جهاز كمبيوتر عملاق في مقر اتحاد النمل، حيث تُحلِّلُ منظمةٌ حديثةُ الإنشاء بقيادة كبيرة العلماء جويا هذه المعلومات، وتبحث عن أسرار عالم الديناصورات التي لا يعرفها النمل، كالبحث عن إبرةٍ في كومةِ قش.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(١٤)
إلهُ البحرِ والقمرُ الساطع

في القيادةِ العليا لاتحاد النمل، كانت القنصل الأعلى كاتشيكا، والقائد الأعلى لجيش الاتحاد، المارشال جولي، في خضم تخطيط عملية ضخمة لتدمير عالم الديناصورات. وكانت شاشتان كبيرتان تعرضان تقدم عمليتَي قطع الاتصال وقطع الدماغ. في الجزء السفلي من الشاشة التي تعرض عملية قطع الاتصال، راح رقم يزدادُ باطرادٍ مشيراً إلى عدد ذرَّات الألغام الرقيقة، والمنتشرة حالياً في الآلات في عالم الديناصورات. كما تعرضُ كذلك خريطةً للعالم، تحتوي على نقاط ضوئية ودوائر وأسهم مكتظة ومتغيرة باستمرار في كل قارة، تشير إلى موقع ذرَّات الألغام وغيرها من الظروف. وعلى الشاشة التي تعرض عملية قطع الدماغ أيضاً رقم متزايد يشير إلى عدد ذرات الألغام المنتشرة بالفعل في أدمغة الديناصورات، وكلما زاد الرقم، عُرضت على الشاشة معلوماتٌ مثل اسم الديناصور إلى جانب ذرَّة الألغام المزروعة في دماغه، وكذلك موقعها.

قالت جولي لكاتشيكا: "يبدو أنَّ كلَّ شيء يسير بسلاسة".

في تلك اللحظة، دخلت جويا كبير علماء الاتحاد. حيَّتها كاتشيكا وقالت: "آه، دكتورة جويا، لم أركِ منذ أسبوع! هل انشغلتِ بتحليل المعلومات التي كنتِ تتنصتين عليها؟ يبدو من مظهرك المتجهم أنَّ لديك سرّاً مدهشاً تطلعيننا عليه".

أومأت جويا بقَرْنَيِ استشعارها وقالت: "أجل، يجب أن أتحدث معكما على الفور".

- "نحن مشغولتان للغاية، تكلمي باختصار".

- "أودُّ أن تستمعا إلى تسجيل محادثة داداس ودودومي التي تنصتنا عليها خلال قمة إمبراطورية غندوانا وجمهورية لوراسيا التي عُقِدت أمس".

ردَّت كاتشيكا باستياء: "ما السر في هذه القمة؟ نعلم جميعاً أنَّ المحادثات بين البلدين بشأن نزع الأسلحة النووية انهارت مرَّةً أخرى، وأنَّ الحرب بين غندوانا ولوراسيا أصبحت وشيكة، ما يثبت المسار الصحيح لعملنا، علينا القضاء على الديناصورات قبل أن تندلع حربهم النووية لحماية بيئة الأرض".

ردَّت جويا: "ما تتحدثين عنه هو البيان الصحفي، وما أريدكما أن تسمعاه هو تفاصيل محادثاتهم السرية، التي تكشف أمراً لم نعرفه من قبل".

شغَّلت التسجيل...

*

دودومي: "صاحب الجلالة، هل تعتقد حقّاً أنَّه يمكن إخضاع النمل بهذه السهولة؟ من شبه المؤكد أنَّ استئنافه العمل في عالم الديناصورات ليس إلَّا إجراءً مؤقتاً، ولا بُدَّ أنَّ اتحادَ النمل يخطط لمؤامرة كبرى ضد عالم الديناصورات".

داداس: "سيدي الرئيس، هل تعتقد أنَّني أحمق إلى درجة تمنعني من إدراك بديهيات كهذه؟ إنَّ تهديدَ النمل، حتى تهديدكم النووي، تافهٌ للغاية، مقارنةً بقرارِ لوراسيا وَضْعَ "القمر الساطع" في مؤقِّت فقدان الأوامر".

دودومي: "أجل، أجل، مقارنة بتهديد النمل وخطر الحرب النووية، "القمر الساطع" و"إله البحر" يشكلان بالتأكيد خطراً أكبرَ على حضارة الأرض، لنتحدث عن هذه القضية أولاً: من غير اللائق اتهامنا بحادثة "القمر الساطع"، فـ"إله البحر" بدأ توقيته أولاً".

*

- "توقفي، توقفي!" لوَّحت كاتشيكا بقرني الاستشعار وقالت:" يا دكتورة، لا أفهم ما يقولانه".

أوقفت جويا المُسجِّل وقالت: "في هذه المحادثة معلومتان مهمتان: ما "القمر الساطع" و"إله البحر" اللذان ذكراهما، وما مؤقت فقدان الأوامر؟".

- "دكتورة، في الغالب تظهر شيفرات غريبة مختلفة في محادثات قادة الديناصورات رفيعي المستوى. لماذا ترتابين بشأنها؟".

- "يمكننا من محادثتهما إدراك أنَّ هذين أمران خطيران للغاية يمكن أن يشكلا تهديداً للعالم بأكمله".

- "ذلك مستحيل من الناحية المنطقية. يا دكتورة، الشيء الذي يمكن أن يشكل تهديداً للأرض لا بُدَّ أن يكون منشأة كبيرة، كالأسلحة النووية على سبيل المثال. ولأجل تدمير حضارة الأرض، يجب إطلاق ما لا يقل عن عشرات الآلاف من الصواريخ العابرة للقارات، تخيلي ضخامة هذه المنشأة؟ ونظامٌ كبير ومعقد كهذا لا يمكن أن يعمل بصورةٍ صحيحة من دون مشاركة النمل في الصيانة، بمعنى آخر، لو وُجِدت تلك المنشأة، لعَلِم اتحاد النمل. في الواقع، لا يمكن فصل أنظمة الأسلحة النووية لكلتا قوتي الديناصورات عن صيانة النمل، لذلك لدينا أيضاً جميع المعلومات حولها".

- "سعادة القنصل، أتفق مع وجهة نظرك: لا يمكن إخفاء أي منشأة كبيرة على وجه الأرض عنَّا، ولكن منشأة بسيطة تعملُ على نطاق صغير قد تُدَارُ بصورة طبيعية بدون حاجةٍ إلى صيانتِنا، على سبيل المثال، يمكن لصاروخ واحد عابر للقارات أن يبقى في وضع الاستعداد لفترة طويلة من دون تدخل النمل ويمكن إطلاقه في أي وقت. ربما "القمر الساطع" و"إله البحر" مثل هذه الأشياء".

- "إذا كان الأمر كذلك، فلا داعي للقلق. هذه المنشآت الصغيرة لا يمكن أن تشكل خطراً على الأرض، لقد قلتُ للتو إنَّنا سنحتاج إلى عشرات الآلاف من أعلى القنابل الهيدروجينية طاقةً لتدمير الأرض".

ظلَّت جويا صامتةً عدَّةَ ثوان، ثم وضعت رأسها بالقرب من كاتشيكا، وتشابكت قرون استشعارهما، وكادت عيونهما تتلامس وقالت: "هذا جوهر المسألة أيتها القنصل، هل القنبلة النووية هي بالفعل أقوى سلاح على وجه الأرض في الوقت الحاضر؟".

- "دكتورة هذا هو البديهي!".

التفتت جويا وأومأت بقرني استشعارها قائلةً: "صحيح، إنَّه البديهي، وهذا هو العيب القاتل في تفكير النمل. يقتصر تفكيرنا على المنطق السليم، في حين تطَّلِعُ الديناصورات باستمرار على مجالات جديدة غير مطروقة. اكتشفت الديناصورات خلال الرصد الفلكي وجودَ جرمٍ سماوي يُسَمَّى الكوازار في الكون البعيد، يمكن أن تنبعث منه طاقةُ مجرةٍ بأكملها، وبالمقارنة بعملية الطاقة هذه، تصبح طاقة الاندماج النووي أضعف من طاقة اليراعات. واكتشفت أيضاً أنَّه عندما تسقط المادة في الثقوب السوداء بين النجوم، تنبعث منها إشعاعات شديدة القوة، وتوَلِّدُ طاقةً بمعدل أعلى بكثير من الاندماج النووي".

- "ما تتحدثين عنه أشياء بعيدة عنا بآلاف السنين الضوئية، ولا علاقة لها بالواقع".

- "دعيني أذكِّرك بأمرٍ له علاقة بالواقع: هل تتذكرين الشمسَ الجديدة التي ظهرت فجأة في سماء الليل منذ ثلاث سنوات؟".

بالطبع تتذكَّرُ كاتشيكا وجولي أنَّ شيئاً غير مسبوق ترك انطباعاً عميقاً فيهما. في ليلة شتوية باردة، ظهرت شمسٌ جديدة فجأة في سماء نصف الكرة الجنوبي، وتحوَّلَ العالمُ في لحظةٍ إلى نهار. كان ضوء الشمس باهراً جدّاً، والنظر إليه مباشرة يسبِّبُ العمى المؤقت. أشرقت الشمسُ نحو عشرين ثانية ثم انطفأت، وحوَّلت أشعتُها الحارة ليلةَ الشتاء القاسية إلى صيفٍ قائظ، وتسبَّبَ الذوبان المفاجئ للثلوج في حدوث فيضانات غمرت عدَّةَ مدن. وقد صدمت هذه الحادثةُ النملَ آنذاك، وسأل الديناصورات عن الأمر، لكنَّ

علماءَ الديناصورات لم يقدموا أي تفسير، وسرعان ما نسي النمل الذي يفتقر إلى الفضول الحادثة.

– "في ذلك الوقت، كان الاستنتاج المؤكد الذي توصلنا إليه بعد الملاحظة: أنَّ الشمس الجديدة تبعد عن الأرض بنحو وحدة فلكية واحدة، وهي مسافة الشمس الحالية ذاتها تقريباً. واستناداً إلى هذه المسافة والطاقة التي تستقبلها الأرض، يمكننا أن نستنتج بشكلٍ تقريبي مستوى الطاقة التي تولِّدُها الشمس الجديدة. إذا وُلِّدت طاقة هائلة كهذه عن طريق الاندماج النووي، فلا بُدَّ من وجودِ جِرمٍ سماوي كبير نسبيّاً في ذلك الموقع، لكنَّ الرصد الفلكي الذي أُجري سابقاً أظهر أنَّ ذلك الجِرمَ السماوي غيرُ موجود. بمعنى آخر، قد توجد عمليات طاقة أعلى من عمليات الاندماج النووي حتى داخل النظام الشمسي". مكتبة سُر مَن قرأ

استنكرت كاتشيكا كلامها قائلةً: "يا دكتورة، الأمور التي ذكرتها لا تزال غيرَ مرتبطة بالواقع. ولو كانت تلك الطاقة موجودة بالفعل، فلا يمكنك إثبات أنَّ الديناصورات هي التي جلبتها إلى الأرض. في الواقع، ذلك الاحتمال يكاد يكون معدوماً. وكما تعلمين، فإنَّ الوحدة الفلكية مسافة بعيدة جدّاً، كما أنَّ مركبات الديناصورات الفضائية تعمل في الغالب في مدارٍ قريبٍ من الأرض، والسفرُ بعيداً إلى هذا الحد في الفضاء ليس بالمهمة السهلة عليها".

– "هذا ما اعتقدته، ولكن... يُرجى مواصلة الاستماع إلى التسجيل التالي". وشغَّلت المسجِّلَ مرَّةً أخرى.

*

– داداس: "إنَّنا نلعب لعبة خطيرة للغاية، تتجاوزُ حدودُها المسموح. على لوراسيا أن توقف فوراً مؤقِّتَ فقدان الأوامر للقمر الساطع، أو على الأقل تغيِّرَه إلى مؤقِّتٍ اعتيادي. إذا فعلت ذلك، سوف تحذو غندوانا حذوها".

– دودومي: "ينبغي لغندوانا إيقافُ مؤقِّتِ فقدان الأوامر لإله البحر أولاً، وإذا فعلت ذلك، فستحذو لوراسيا حذوها".

- داداس: "لوراسيا فعَّلت مؤقِّتَ "القمر الساطع" أولاً!".

- دودومي: "ومع ذلك، يا صاحب الجلالة، لو لم تُنجز مركبة غندوانا الفضائية تلك المهمة في الفضاء فيما مضى، أي قبل ثلاث سنوات، في الرابع من ديسمبر، لما كان لـ "القمر الساطع" و"إله البحر" وجود! ولاتَّبعَ هذا الشيطانُ مسارَه في مدارِ مُذَنَّب وخرجَ من النظام الشمسي وتركَ الأرض!".

- داداس: "هذا لأغراض البحث العلمي...".

- دودومي: "كفى! أَما تزالُ تردِّدُ هذه الكذبةَ الوقحة حتى يومنا هذا؟ إمبراطورية غندوانا هي التي دفعت حضارة الأرض إلى حافة الهاوية، وليس لكم أيُّها المجرمون الحقُّ في تقديم أي مطالب إلى لوراسيا".

- داداس: "يبدو أن جمهورية لوراسيا لا تنوي تقديمَ التنازل أولاً".

- دودومي: "وماذا عن إمبراطورية غندوانا؟".

- داداس: "حسنٌ إذن، يبدو أنَّ كلينا لا يهتمُّ بدمار الأرض".

- دودومي: "ما دمتم لا تهتمون، فنحن أيضاً لا نهتم...".

- داداس: "ها ها ها، حسنٌ، حسنٌ، جنسُ الديناصورات لا يهتمُّ بأي شيء".

*

أوقفت جويا المسجِّل وسألت كاتشيكا وجولي: "أعتقد أنَّ كلتيكما لاحظت التاريخَ المذكور في المحادثة".

- "قبل ثلاث سنوات، الرابع من ديسمبر؟" استعادت جولي الحادثة في ذاكرتها وأكملت: "اليوم الذي ظهرت فيه الشمسُ الجديدة".

- "بالضبط، إنَّه الخيط الذي يربط كلَّ هذا معاً، لا أعرفُ شعوركما، لكنِّي أرتعدُ من الخوف".

قالت كاتشيكا: "ليس لدينا أي اعتراض على بذل أي جهود لاكتشاف هذا الأمر".

تنهدت جويا قائلة: "ما أسهل الكلام! أفضل طريقة لكشف هذا السر هي البحث في شبكة الديناصورات العسكرية، لكنَّ بنية كمبيوتر النمل مختلفة تماماً عن بنية كمبيوتر الديناصورات، لذلك رغم أنَّنا نستطيع الوصول بحرية إلى الجزء المادي من كمبيوتر الديناصورات، فما زلنا لا نستطيع اختراقَ برامجها. وإلَّا فلماذا نستخدم هذه الطريقة الحمقاء للتنصت وجمع المعلومات الاستخبارية؟ من المستحيل كشف هذا السر في فترة قصيرة باللجوء إلى هذه الطريقة".

- "حسنٌ يا دكتورة، سأزودك بالقوات اللازمة لإجراء هذا التحقيق، لكنَّ هذا الأمر لا يمكن أن يؤثر على الحرب الشاملة التي نخوضها ضد الديناصورات، الشيء الذي يخيفني الآن هو استمرار بقاء إمبراطورية الديناصورات. أعتقدُ أنَّكِ تعيشين في الأوهام طوال الوقت، وهو ما يضرُّ بالقضية العظيمة التي ينخرط فيها الاتحاد".

لم تنطق جويا كلمةً أخرى، واستدارت وغادرت. وفي اليوم التالي، اختفت.

(١٥)
الانشقاق

تسلَّلت جنديتان من جيش النمل من الشق أسفل مدخل قصر غندوانا الإمبراطوري، وهما الأخيرتان من بين ثلاثة آلاف نملة مسؤولة عن وضع ذرَّات الألغام في رؤوس الديناصورات وفي نظام الكمبيوتر الخاص بالقصر. وبعد الخروج، بدأتا النزول على الدَّرَج الشاهق، وعلى جرف السلَّمة الأولى شديد الانحدار، رأتا ظلَّ نملةٍ تتسلَّقُ إلى الأعلى.

قالت نملة للأخرى متفاجئة: "هيه، أليست هذه الدكتورة جويا؟"

- "كبيرة علماء الاتحاد؟ بلى، إنَّها هي".

- "دكتورة جويا!" صاحت الجنديتان بلغة الفيرمونات في الوقت نفسه.

نظرت جويا إلى أعلى ورأتهما، وارتجف جسمها كما لو أنَّها ترغب في تجنبهما، لكنَّها ترددت للحظة قبل أن تصعد بوجهٍ صارم.

- "أيتها الدكتورة، ماذا تفعلين هنا؟".

- "جئت، آه، لتفقد مخطط نشر ذرَّات الألغام في القصر الإمبراطوري".

- "لقد أنجزنا كلَّ شيء وانسحبت جميع القوات... كيف يمكن لقائدة رفيعة المستوى أن تأتي إلى مكانٍ كهذا؟ هذا أمر خطير جدّاً".

- "يجب أن آتي وألقي نظرة، كما تعلمان، منطقة الانتشار هذه بالغة الأهمية". تحدثت جويا وسارت بسرعة نحو بوابة القصر، واختفت في الشق السفلي للباب.

قالت الجنديةُ ناظرةً إلى اتجاه اختفاء جويا: "لماذا أرى أنَّها تتصرف بغرابة؟"

- "شيءٌ ما خطأ، أين جهاز اتصالك اللاسلكي؟ أبلغي الضابط بسرعة".

كان الإمبراطور داداس يترأس اجتماعاً حضره كبار وزراء الإمبراطورية، وجاء سكرتير ليعلن: تطلب الدكتورة جويا، كبيرةُ العلماء في اتحاد النمل مقابلةً عاجلة مع الإمبراطور.

قال داداس ملوِّحاً بمخلبه: "دعها تنتظر حتى انتهاء الاجتماع".

عاد السكرتير بعد وقت قصير من مغادرته: "تقول إنَّها مسألةٌ غايةٌ في الأهمية وتصرُّ على رؤية جلالتك في الحال، وتطلب حضور وزير الدولة ووزير العلوم والقائد العام للجيش الإمبراطوري أيضاً".

- "حمقاء! ما هذه الحشرة الصغيرة غير المهذبة؟ لتنتظر أو ترحل".

- "لكنَّها...". نظر السكرتير إلى الوزراء الحاضرين وهمس في أذن الإمبراطور قائلاً: "تقول إنَّها انشقَّت عن اتحاد النمل".

تدخل وزير الدولة قائلاً: "جويا عضو مهم في قيادة اتحاد النمل ويبدو أنَّ طريقةَ تفكيرها مختلفةٌ عن غيرها من النمل، قد تكون المسألة ذاتَ أهميةٍ عاجلة".

قال داداس، مشيراً إلى الطاولة الفسيحة لطاولة المؤتمرات: "حسنٌ، فلتتفضل".

- "جئتُ لإنقاذِ الأرض". وقفت جويا على سهل طاولة المؤتمرات المصقول، وخاطبت الديناصورات المحيطة بها كالجبال، ترجم جهازٌ لغةَ الفيرمونات إلى لغةِ الديناصورات، وأذيعَ كلامُها من خلال مكبر صوت غير مرئي.

ردَّ داداس بسخرية: "يا لها من جرأة، الأرض في أفضل حالٍ الآن".

- "ستغيِّرُ رأيكَ بعد قليل! بدايةً، أريد من الجميع أن يجيبوا عن سؤال: ما "القمر الساطع" و"إله البحر"؟".

انتبهت الديناصورات على الفور وتبادلت النظرات، صمتت الجبالُ العاليةُ حول جويا لحظات. وبعد فترة، سأل داداس: "لماذا يجب أن نخبرك؟".

- "صاحب الجلالة، إذا كان هذا ما توقعته حقّاً، فسأكشف لك أيضاً أمراً فائقَ السرية يتعلق ببقاء عالم الديناصورات. وسترى أنَّ هذا التبادلَ يستحقُّ العناء".

سأل داداس بكآبة: "ماذا لو لم يكن ما توقعتِه؟".

- "لن أخبركم بالسر. يمكنكم أن تقتلوني أو تُبقوني هنا إلى الأبد للحفاظ على سركم. على أيِّ حال، ليس لديكم ما تخسرونه".

ظل داداس صامتاً عدَّةَ ثوانٍ، ثم أومأ برأسه إلى وزير العلوم الجالس على الجانب الأيسر من طاولة المؤتمر وقال: "أخبرها".

في مقر اتحاد النمل، أنهت المارشال جولي المكالمة والتفتت بتجهم إلى القنصل الأعلى كاتشيكا قائلة: "اكتشفنا مكان جويا، شاهدتها جنديتان من الفرقة ٢١٤ بعد عودتهما من مهمتهما تدخل قصر غندوانا. ويبدو أن توقعاتنا صحيحة، لقد انشقَّت".

- "هذه الخائنةُ الوقحة! أريد حقّاً أن أعرف ماذا قالت للديناصورات. أَلَم تُركَّبْ أجهزةُ تنصتٍ في كلِّ رؤوس الديناصورات بالقصر؟".

- "لكنَّ جويا دمَّرت جهازَ الإرسال المثبَّت خارج القصر، أرسلنا فريقاً لإصلاحه، لكن ليس بوسعنا التنصت في الوقت الحالي".

- "ومع ذلك، أنا واثقة من أنَّها تكشفُ خطةَ اتحاد النمل الكاملة للحرب".

- "أعتقد ذلك أيضاً، ويبدو أنَّ العمليةَ برُمَّتها في خطر".

- "ما وضع مهمة زرع ذرَّات الألغام؟".

- "اكتملت عملية قطع الاتصال بنسبة ٩٢٪، كما اكتملت عملية قطع الدماغ بنسبة ٩٠٪".

- "هل من الممكن أن تنفجر قبل الموعد المحدد؟".

- "بالطبع! لتفجير ذرَّات الألغام طريقتان، بتوقيتٍ أو من بُعد. كما أنشأنا شبكةً كبيرةً من محطات إعادةِ الإرسال، لتغطي إشارات التحكم من بُعدٍ عالمَ الديناصورات بأكملِه، ونتمكن من تفجير جميع ذرَّات الألغام الموزعة على الفور وفي أي وقت! أيتها القنصل، حان الوقت لاتخاذ إجراء حاسم، أصدري الأمر".

التفتت كاتشيكا إلى الشاشة الكبيرة التي تعرض خريطةَ العالم، ونظرت إلى القارات الملونةِ الوامضة، ثم قالت بعد ثوانٍ من الصمت: "حسنٌ إذاً، لنفتحْ صفحةً جديدة في تاريخ الأرض، فَجِّري!".

بعد أن استمعت إلى رواياتٍ عدَّةٍ من وزراء الديناصورات، أُصيبت جويا بالذهول والدوار، ولم تتمكن من الوقوف بثبات للحظة، فضلاً عن التحدث.

سأل داداس: "ما رأيُكِ يا دكتورة؟ هل يمكنك أن تخبرينا بسركِ كما وعدتِ للتو؟".

ردَّت كما لو أنَّها أفاقت من حلم: "هذا... فظيعٌ جدّاً! أنتم شياطين! لكنَّ النملَ أيضاً كذلك... بسرعة، عليكَ الاتصال بالقنصل الأعلى لاتحاد النمل على الفور".

- "لم تجيبي بعد".

- "صاحب الجلالة، لا وقتَ لكشف الأسرار! إنَّهم يعرفون بالفعل أنني هنا، وقد يتخذون إجراءً في أي لحظة. إنَّ دمار عالم الديناصورات وشيك، وكذلك دمار الأرض! ثق بي، أسرع بإجراء المكالمة! بسرعة!".

- "حسنٌ". التقط إمبراطور الديناصورات الهاتف على طاولة المؤتمر، وشاهدت جويا بقلق أصابعه الغليظة تضغط على الأزرار الكبيرة واحداً تلو

الآخر، وبعد ذلك، سُمعت إشارة خافتة من الميكروفون في مخلب داداس، وبعد ثوانٍ قليلة توقفت. وعلمت أنَّ كاتشيكا التقطت سماعة الهاتف الصغيرة مثل حبة الأرز على الطرف الآخر، وسرعان ما جاء صوتها من الميكروفون:

- "ألو، من معي؟".

تحدث داداس عبر الميكروفون وقال: "هل هذه كاتشيكا، القنصل الأعلى؟ أنا داداس، والآن...".

في هذه اللحظة، سمعت جويا نقراتٍ خافتةً حولها، مثل عقارب الثواني لساعاتٍ كثيرة تتحركُ في الوقت ذاته، عرفت أنَّ هذا صوتُ انفجار ذرَّات الألغام في رؤوس الديناصورات. تيبست الديناصورات، وبدا أنَّ واقع تلك اللحظةِ قد تجمَّد، وسقط الميكروفون من مخلب داداس بقوة على الطاولة بالقرب من جويا، فأصدر دويّاً مُجلجلاً. ثم تهاوت جميعُ الديناصورات بقوة، وارتجَّ سطحُ الطاولة مرَّاتٍ عدَّة. بدا الأفق خالياً بعد غياب تلك الجبال الشاهقة. تسلقت جويا سماعة الهاتف، وكان صوت كاتشيكا لا يزال يُسمع:

- "مرحباً، هذه كاتشيكا. كيف يمكنني مساعدتك؟ ألو...".

اهتز حاجز سماعة الهاتف على إثر هذا الصوت، فأحست جويا بوخزات في جسمها وصرخت: "أيها القنصل! أنا جويا". على عكس ما حدث للتو، لم تتحول الفيرمونات إلى صوت، لذلك، لم تستطع كاتشيكا سماعها على الطرف الآخر من الخط، كما أنَّ نظام الترجمة في القصر تضرَّر بسبب ذرَّات الألغام. لم تتفوه جويا بالمزيد، كانت تعلم أنَّ أوانَ أيِّ كلامٍ قد فات.

ثم انطفأت جميع الأضواء في القاعة، وكان الغسقُ قد حلَّ بالفعل، وخيَّم الظلامُ على كلِّ شيء. وبينما تسلَّقت جويا أقربَ نافذة، خفت ضجيج حركة المرور البعيد في المدينة، وران إثرَه صمتٌ مطبق، شبيه بجمود الديناصورات قبل سقوطها للتو. حين زحفت جويا على حافة طاولة الاجتماعات، بدأت أصواتٌ صاخبةٌ تُسمَعُ من الخارج، ركضُ

الديناصورات وصراخها من بعيدٍ. عَلِمت أنَّ الصوتَ من خارج القصر، لأنَّه لم يبقَ ديناصورات على قيد الحياةِ داخله، إذ لقيت حتفها بسبب ذرَّات الألغام. ثم تردَّدَ صوتُ صفارات الإنذار من المدينةِ البعيدة، واستمرَّ بوتيرةٍ متقطِّعةٍ فترةً وجيزة قبل أن يختفي. بينما كانت جويا في منتصف طريقها إلى النافذة زحفاً على الأرض، سمعت دويَّ انفجاراتٍ خافتاً من بعيد. أخيراً تسلَّقت النافذة ونظرت إلى المشهد البانورامي لمدينة الجلاميد. اكتنفت المدينةَ ظلمةُ الغسق، وكان بوسعها رؤيةُ أعمدةِ دخان رفيعة تتصاعد إلى السماء التي لم تُظلم تماماً بعد. ثم ظهرت أعمدةٌ أخرى من الدخان، وتبدَّت ألسنةُ اللهبِ في قواعدها، فظهرت معالمُ المدينة حيناً واختفت حيناً آخر. ومع ازدياد الحرائق، نفذَ وهجُ النيران من النافذة، وألقى بظلالٍ حُمرٍ داكنة متراقصة على السقف المرتفع خلفَ جويا.

(١٦)
الرَّدعُ الأقصى

- "نجحنا!" نظرت المارشال جولي إلى خريطة العالم الوامضة بالأحمر على الشاشة الكبيرة وهتفت بحماس: "لقد شُلَّ عالمُ الديناصورات، وتعطَّلت أنظمةُ المعلومات فيه كليّاً، وانقطعت الكهرباءُ عن جميع المدن، وأغلَقت المركباتُ التي تضرَّرت بسبب ذرَّات الألغام جميعَ الطرق، واندلعت الحرائق وانتشرت في كلِّ مكان. وقضت عمليةُ قطع الدماغ على أكثر من أربعة ملايين عضو قيادي مهم في عالم الديناصورات، ولم تعد الهيئات الحاكمة لإمبراطورية غندوانا وجمهورية لوراسيا موجودة، وسقطت القوتان في حالة صدمة لفقدان أدمغتها، وأصبح المجتمع في حالة من الفوضى".

قالت كاتشيكا: "إنَّما هذه البداية، لقد انقطعت إمدادات المياه في جميع مدن الديناصورات، وسيستهلك السكان الشرهون مخزونَهم الغذائي قريباً، وحينها ستأتي اللحظةُ الحاسمة: ستفرُّ مجموعاتٌ كبيرة من الديناصورات من مدنها، ولانعدام المواصلات وازدحام الطرق، لن يمكنها حقّاً إخلاء المدن في فترةٍ وجيزة. ولشهيتها الهائلة، فإنَّ نصفها على الأقل سيموت قبل العثور على طعامٍ كافٍ. في الواقع، بحلول الوقت الذي تهجرُ فيه الديناصورات مدنَها، سيكون مجتمعها التكنولوجي قد انهار بالفعل، وسيعود عالمُ الديناصورات إلى عصر الزراعة البدائي".

سألت نملة: "وماذا حدث لأنظمة الأسلحة النووية للقوتين الرئيستين؟".

ردَّت جولي: "كما كان متوقعاً، دُمِّرَت جميع أسلحة الديناصورات النووية، بما في ذلك الصواريخ العابرة للقارات والقاذفات الاستراتيجية، تحوَّلت إلى خردة معدنية بسبب عدد هائل من ذرَّات ألغامنا، من دون وقوع أي حوادث نووية أو تلوث نووي عرضي".

قالت كاتشيكا بمرح: "عظيم، إنَّها حقّاً لحظة رائعة! علينا أن ننتظر حتى يدمِّر عالمُ الديناصورات نفسَه!".

في هذه اللحظة، أبلغتْ نملةٌ أنَّ الدكتورة جويا قد عادت، وتطلب مقابلةً عاجلةً مع كاتشيكا وجولي. وحين دخلت كبيرة العلماء المنهكة إلى مركز القيادة، وبَّختها كاتشيكا بغضب:

- "أيتها الدكتورة، لقد خنتِ القضية العظيمة لاتحاد النمل في اللحظة الحاسمة، ستحاكمين محاكمةً قاسية".

ردَّت جويا بفتور: "حين تسمعون ما علمتُه، ستدركون من يستحق المحاكمة".

سألت جولي: "لماذا ذهبتِ إلى إمبراطور غندوانا؟".

- "علمتُ ما هو القمرُ الساطعُ وإلهُ البحر".

أضعفَ كلامُ الدكتورة مزاجَ النمل المفعم بالحماس، وركَّز انتباهه عليها.

نظرت جويا حولها وسألت: "أولاً، هل يعرف أحد هنا ما المادة المضادة؟".

ظلَّ النملُ صامتاً للحظة، فردَّت كاتشيكا: "أعرف القليل: المادةُ المضادة هي مادةٌ تكهَّنَ فيزيائيو الديناصورات بوجودها، وجزيئاتها الذرِّية تحملُ شحنةً كهربائية معاكسة لتلك الموجودة في عالمنا: تحمل إلكتروناتها شحناتٍ موجبة، وبروتوناتها شحناتٍ سالبة، صورةٌ معكوسةٌ لميكانيكا كَمِّ المادة في عالمنا".

قالت جويا: "ليس ذلك تكهناً، فقد أثبتت الديناصورات بالفعل وجودَ المادة المضادة من خلال الرصد الفلكي. لا بُدَّ أنَّ أحداً سمع المزيد عن الأمر، أليسَ كذلك؟".

ردَّت جولي: "بلى، سمعتُ أنَّه بمجرد تلامس المادة المضادة مع المادة الإيجابية في عالمنا، تتحوَّلُ كُتلتا المادتين إلى طاقة".

قالت جويا وهي تومئُ بقَرْنَيِ استشعارها: "يُطلق على هذه العملية إفناء المادة المضادة. حين تنفجر أقوى قنبلة نووية في نظركم، لا يتحوَّلُ إلَّا جزءٌ ضئيل من كتلتها إلى طاقة، في حين أنَّ معدل تحويل الكتلة إلى طاقة في أثناء عملية إفناء المادةِ ومضادها هو ١٠٠٪! الآن يعلمُ الجميعُ أنَّ هناك شيئاً أقوى من الأسلحة النووية. وبالكتلة نفسها، تصبحُ الطاقةُ الناتجة عن إفناء المادة ومضادِّها أكبرَ بمئات أو حتى آلاف المرَّات من طاقةِ القنبلة النووية".

- "ولكن ما علاقة هذا بـ"القمر الساطع" الغامض و"إله البحر"؟".

- "من فضلك دعيني أكمل: هل تتذكرين الشمسَ الجديدة التي ظهرت فجأةً ليلاً في نصف الكرة الجنوبي قبل ثلاث سنوات؟ لاحظ فلكيو الديناصورات أنَّ الوميضَ ينبعثُ من جِرمٍ سماوي صغير دخل النظام الشمسي بمسارٍ مُذَنَّب، حجمُه صغيرٌ جداً، إذ يبلغ قطره أقلَّ من ثلاثين كيلومتراً، مجرد حجر صغير يسبح في الفضاء. أثارَ وميضُه القوي فضولَ الديناصورات، فأطلقت مسباراً لمراقبته من كَثَب، واكتشفت أنَّه في الواقع جِرمٌ سماوي مكوَّنٌ من المادة المضادة! وفي أثناء مروره عبر حزام الكويكبات، اصطدم بنيزك أفنى المادةَ المضادة وتفجَّرَ بطاقة هائلة، ما أصدرَ ذلك الوميض. وتوصلت لوراسيا وغندوانا إلى النتيجة ذاتها بإطلاق مسبارين حينها. شكَّلَ هذا الإفناءُ حفرةً كبيرة في الجِرم السماوي المكوَّن من المادة المضادة، ما أدَّى إلى تطاير شظايا متعددة الأحجام في الفضاء. وسرعان ما حدَّدَ الفلكيون مواقعَ عدَّةِ شظايا، وهو ما لم يكن صعباً، إذ تفنى جزيئاتُ الرياح الشمسية بالمادة بالمضادة داخل حزام الكويكبات، ما يتسبَّب في انبعاثِ وميضٍ فريدٍ من سطح الشظايا التي يزداد توهجها كلَّما اقتربت من الشمس. وحدث ذلك في

ذروة سباق التسلح بين لوراسيا وغندوانا، لذلك توصلت قوتا الديناصورات في وقتٍ واحد إلى فكرة جنونية للغاية: جمع بعض شظايا المادة المضادة وإعادتها إلى الأرض واستخدامها سلاحاً خارقاً تفوقُ قوتُه القنبلة النووية لردع الطرف الآخر...".

قاطعت كاتشيكا كلامَها: "انتظري، انتظري، هناك خطأ واضح في منطق الأمر: بما أنَّ المادة المضادة ستفنى حين تُلامسُ مادةً موجبة، فأيُّ حاويةٍ استخدموها لتخزينها وإعادتها إلى الأرض؟".

أكملت جويا: "اكتشف فلكيو الديناصورات أنَّ جزءاً كبيراً من هذا الجِرم السماوي يعادل كتلةً من الحديد المضاد، والشظايا التي عثروا عليها في الفضاء كانت أيضاً من الحديد المضاد. يمكن أن يتأثر هذا الحديد -مثل الحديد العادي في عالمنا- بالمجالات المغناطيسية، ما وفَّرَ حلولاً ممكنة لمشكلة التخزين. فأمكن للديناصورات إنشاء حاوية داخلها مُفرَّغ، وتوليد مجالٍ مغناطيسي قوي مُشدَّد، لعزل المادة المضادة وتخزينها في الحاوية، ومنعها من ملامسة جدارها الداخلي. وبهذه الطريقة يمكن للديناصورات تخزين ونقل المادة المضادة ونشرها في أي مكان. بالطبع، كانت هذه الفكرة في البداية مجرد احتمال نظري، واستخدام هذه الحاوية لإعادة المادة المضادة إلى الأرض خطوة مجنونة وخطيرة للغاية، لكن الجنون سمة الديناصورات، ورغبتها في الهيمنة على العالم فاقت كل شيء. لقد فعلت ذلك حقاً! اتخذت إمبراطورية غندوانا الخطوة الأولى نحو الجحيم، إذ صمَّمت وبنت حاويةَ حبسٍ مغناطيسي بشكل كرةٍ مجوَّفة، تنقسم إلى نصفين كرويين عند جمع حطام المادة المضادة، وكلٌّ منها مثبتٌ إلى ذراعَي المركبةِ الفضائية الآليتين. اقتربت ببطء من حطام المادة المضادة، وجمعت شظيةً بين النصفين بحذر شديد، وأخيراً، احتُويَت الشظيةُ داخلَ الكرةِ المجوَّفة. وبمجرد انغلاق النصفين الكرويين، نشطَ المجالُ المغناطيسي الناتج عن الموصل الفائق داخلَ الكرة، ما أدى إلى حصر الشظايا في مركزها، ثم أعادتها المركبةُ الفضائية إلى الأرض. لو علمت جمهورية

لوراسيا بعملية إمبراطورية غندوانا مسبقاً، لأرسلت مركبةً فضائية مسلحة لاعتراض المركبة الفضائية التي تحملُ حطامَ المادة المضادة في الفضاء. ولكن حين تلقّت لوراسيا المعلومات، كان الأوانُ قد فات، إذ دخلت مركبةُ غندوانا الفضائية الغلافَ الجوي للأرض بالحاويةِ الكروية. واعتراضُها كان سيؤدي حتماً إلى إفناء شظية المادة المضادة في الغلاف الجوي. تزنُ القطعةُ ٤٥ طنّاً، وسيحوِّلُ إفناؤها ٩٠ طنّاً من المادة ومضادها إلى طاقةٍ نقية في الغلاف الجوي، وستؤدي هذه الطاقةُ الهائلة إلى طمس كلِّ أشكال الحياة على الأرض. بالطبع لم ترغب الديناصورات اللوراسية في الهلاك مع إمبراطورية غندوانا، لذلك راقبت بعجزٍ سفينةَ الفضاء وهي تهبطُ على سطح البحر. دفعت الأحداثُ التالية بالجنونِ إلى ذروتِه: بعد هبوط مركبة غندوانا الفضائية، نُقلَت الحاويةُ الكروية إلى سفينة شحن كبيرة تُسَمَّى "إلهَ البحر"، وأشارت الديناصورات لاحقاً إلى حطام المادة الذي تحمله السفينة بـ"إله البحر" أيضاً. لم تبحر هذه السفينة الكبيرة عائدة إلى غندوانا، بل أبحرت باتجاه لوراسيا، لترسو أخيراً في أكبر ميناء هناك! لم تجرؤ لوراسيا على اعتراض السفينة المدمِّرة طيلةَ رحلتها، ولم يمكنها إلّا السماح لها بالعبور، دخلت السفينة الميناء كأنَّها دخلت منطقة غير مأهولة. وبعد رسوها، عادت الديناصورات التي كانت على متنها إلى غندوانا بهليكوبتر وتركتها في الميناء. كانت الديناصورات اللوراسية تقدِّسُ "إلهَ البحر" كما لو أنَّها إله، ولم تجرؤ على أي تحركات متهورة ضدها، لأنَّها تعلم أنَّ بوسع إمبراطورية غندوانا التحكم عن بُعدٍ في الحاوية الكروية، وتعطيل المجال المغناطيسي المحبوس داخلها في أي وقت، والتسبب في تلامس المادة المضادة مع الحاوية وإفنائها. إذا حدث ذلك فإنَّ دمارَ العالم لا مفرَّ منه، وسيلحقُ الدمارُ بلوراسيا أولاً، وستتحول القارة إلى رمادٍ بنيران شمسِ الفناء التي ستندلعُ على الساحل. كان هذا حقّاً أحلكَ يومٍ في تاريخ جمهورية لوراسيا، وسيطرت إمبراطورية غندوانا على شريان حَياة الأرض، وازداد جموحُها ومطالبتُها المستمرة بالأراضي اللوراسية، وأمرها بنزع سلاحها. لكنَّ هذا الوضع الجائر لم يدم طويلاً، فبعدَ شهرٍ واحد فقط من عملية إله البحر التي

نفذتها غندوانا، اتخذت لوراسيا الإجراءَ ذاته، باستخدام تكنولوجيا مماثلة، لإعادة قطعة ثانية من حطام المادة المضادة إلى الأرض من الفضاء، وفعلت ما فعلته إمبراطورية غندوانا: حمَّلت الشظيةَ على سفينة شحن تُسَمَّى "القمرَ الساطع" ونقلتها إلى أكبر ميناء في غندوانا. لذلك، استعاد عالمُ الديناصورات توازنَه مجدداً، وهو توازن ناتج من ردعٍ أقصى، ردعٍ دَفَع الأرضَ إلى حافةِ الدمار. من أجل تجنب انتشار الذعر في العالم، أُجريَت عمليتا إله البحر والقمر الساطع في سريةٍ تامة، وحتى في عالم الديناصورات، عددٌ قليلٌ جداً عرفَ تفاصيلها. وفي كلتا العمليتين، لم يدخر الطرفان أي تكلفة لضمان موثوقية المعدات، واستخدما وحداتٍ قابلةً للاستبدال أيضاً. ولأنَّ كلا النظامين صغير، فقد استطاعا صيانتهما من دون مساعدة النمل، لذلك لا يعلم اتحادُ النمل عن الأمر إلى يومنا هذا".

صَدمت روايةُ جويا جميعَ النمل الموجود في المقر، وسقط من ذروةِ النصر إلى هاويةِ الذعر. قالت كاتشيكا: "هذا ليس جنوناً فحسب، بل إنَّه اختلال! لقد فقد الرادع الأقصى القائم على التدمير المشترك للعالم بأسره أي أهمية سياسية أو عسكرية، اختلالٌ مطلق!".

قالت المارشال جولي بنبرة ساخرةٍ: "يا دكتورة، هذا نتيجة ما يعجبك في الديناصورات من فضولٍ وخيالٍ وإبداع".

ردَّت جويا: "لا تبتعدي عن الموضوع، فلنعد إلى الخطر الجسيم الذي يواجه العالم".

قالت كاتشيكا: "على الأقل الآن، نعلم أنَّ تدمير العالم لم يصبح حقيقة بعد، ولا تزال شظيتا المادة المضادة الموجودتان على الأرض مخزَّنتين في حاويتي الحبس المغناطيسي ولم تُمسا".

أومأت جولي بقَرْنَيِ استشعارها موافقة: "هذا منطقي. الأمر بتفجير المادة المضادة لا يمكن أن يكون قابلاً للتنفيذ إلَّا إذا صدر من أعلى الديناصورات مستوىً وسلطة، ولكن لا بُدَّ أنَّ الديناصورات صاحبة تلك

السلطة قد فَنِيَت، لذلك لن يُصدَرَ ذلك الأمرُ أبداً. أمَّا احتمال سوء التشغيل الناتج عن الفوضى وأعطال الآلة فهو أيضاً ضئيلٌ جدّاً. يجب أن تمر العملية بإجراءات تشغيلية شديدة التعقيد وأقفال أمان متعدِّدة لأنَّها تشبه إطلاقَ صاروخٍ نووي، وأي خلل صغير سيؤدي إلى إغلاق النظام".

سألت كاتشيكا: "إلى متى يمكن الحفاظ على المجالات المغناطيسية حول الحاويتين؟".

أجابت جويا: "يمكن الحفاظ عليها لفترة طويلة. لأنَّ المجال المغناطيسي ينشأ عن تيار يمرُّ في ملفٍّ دائري في موصلٍ فائق، ويضمحل هذا التيار ببطءٍ شديد. كما أنَّ المركبتين الفضائيتين إله البحر والقمر الساطع، مجهزتان ببطارياتٍ نووية تسمح بتوفير الطاقة على المدى الطويل، ما يسمحُ لهما بتجديد التيار المفقود الحالي من دون الحاجة إلى مصادر خارجية. وفقاً للديناصورات، يمكن أن يستمرَّ حصرُ المجال المغناطيسي عشرين عاماً على الأقل".

قالت كاتشيكا بحزم: "إذاً ما يتعيَّنُ علينا عمله واضحٌ جدّاً! تحديد موقع القمر الساطع وإله البحر على الفور، وإنشاء درع حول الحاويتين الكرويتين، وعزلهما عن جميع الإشارات الكهرومغناطيسية الخارجية، وبهذه الطريقة، نمنعُ الإشاراتِ من العالم الخارجي من تفجيرهما".

وقالت جولي: "ثم نبحث عن طريقة لإطلاق الحاويتين إلى الفضاء. ورغم صعوبة الأمر، فإنَّ لدينا متسعاً من الوقت. بمساعدة المركبات الفضائية والصواريخ التي تركتها الديناصورات، أعتقد أنَّ بوسعنا تنفيذ ذلك".

رأى النملُ أملَ النصر مرة أخرى، وبدأ مناقشة تفاصيل عمليته.

قالت جويا فجأة: "إذا اتبعنا خطةَ القنصل، فستفنى الأرض".

توقَّف النمل عن النقاش وحدَّق إلى جويا بعدم فهم.

قالت: "يتعلق هذا بـ"مؤقت فقدان الأوامر" الذي أشار إليه رئيسا قوتي الديناصورات. في البداية سيطرت القوتان العظميان على إله البحر والقمر

الساطع كما تخيلنا: كانتا على وضعية الاستعداد في محطتي التحكم عن بُعدٍ المحليتين، وبمجرد أن تتعرض البلاد للهجوم من قبل الطرف الآخر، ستنطلق إشارةُ التحكم عن بُعدٍ لتفجير المادة المضادة في ميناء العدو. لكن سرعان ما أدرك الطرفان أنَّ في طريقة التحكم تلك خللاً، لذلك دعونا نتخيل الافتراضَ التالي: تشن لوراسيا فجأةً هجوماً نوويّاً تقليديّاً على غندوانا (الآنَ لا يمكن اعتبارُ الأسلحةِ النووية إلَّا أسلحةً تقليدية)، وبأقصى قوةٍ يُنفَّذُ هذا الهجوم ويشملُ أراضي غندوانا في طرفةِ عين، مع التركيز بصورة خاصة على مهاجمة مواقع القيادة. وقبل أن يُتاحَ لها ردُّ الضربة، ستسقط غندوانا في حالة شلل وصدمة تماثل حالتها الحالية، وهكذا لن يمكن تفجير "إله البحر". وفي الوقت ذاته، إذا اتُّخِذَت إجراءاتٌ معينة لحماية إله البحر، مثل التشويش القوي، لمنع إشارة غندوانا من تفجير الحاوية الكروية المُحمَّلة على السفينة، فإنَّ أملَ النجاح يزداد. ولتجنُّبِ العجز عن القتال بسبب الضربة الاستباقية للخصم، وضعتَ قوتا الديناصورات في الوقت نفسه تقريباً إلهَ البحر والقمرَ الساطع في وضعية استعداد جديدة، والتي تُسَمَّى "مؤقِّت فقدانِ الأوامر". ولن تُستخدَمَ محطتا التحكم عن بُعدٍ المحليتان لاحقاً لإرسال إشارات تفجير إلى حاويات المادة المضادة، بل العكس، ترسلُ إشاراتٌ لإبطالِ التفجير. إذ تُضبَطُ كلُّ حاويةٍ على عدٍّ تنازلي للانفجار بصورةٍ دائمة، فقط بعد تلقي إشارةِ الإبطالِ من محطة التحكم عن بُعد، سيُعرقَلُ هذا العدُّ التنازلي، ويُعادُ ضبطُه ويبدأُ العدُّ التنازلي الجديد من الصفر، في انتظارِ إشارةِ الإبطالِ التالية. يُطلقُ إمبراطور غندوانا ورئيس لوراسيا إشارةَ الإبطال بنفسهما. وبهذه الطريقة، إذا أُصيبَ أحد الطرفين بالشلل بسبب هجوم استباقيٍّ من الآخر، يتوقف إرسالُ إشارةِ الإبطال، وتواصلُ الحاويةُ عدَّها التنازلي لتفجير المادة المضادة. وضعُ الاستعدادِ هذا جعلَ الهجوم الاستباقي أشبهَ بالانتحار، إذ أصبح وجود العدو شرطاً ضرورياً لبقاء الآخر. كما رفع في الوقت ذاته شدَّةَ الخطر الذي يواجه الأرض. و"مؤقِّت فقدان الأوامر" هو العنصرُ الأكثرُ جنوناً -أو على حد تعبير القنصل- الأشدُّ اختلالاً في استراتيجية الردع الأقصى".

حلَّ صمتٌ مطبق في المقر الرئيس مجدداً. كسرت كاتشيكا الصمت أولاً، وقالت وفي لغة فيرموناتها رعشة: "هل هذا يعني أنَّ القمر الساطع وإله البحر ينتظران حاليّاً إشارةَ الإبطالِ التالية؟".

أومأت جويا بقَرْنَيِ استشعارها وقالت: "ربما هما إشارتان لن تُطلقا أبداً".

سألت جولي: "هل تقصدين أنَّ محطَّتَيِ التحكم عن بُعدٍ في غندوانا ولوراسيا دُمِّرَتا بفعل ذرَّات ألغامنا؟!".

– "نعم. أبلغني داداس بموقع محطة التحكم عن بُعدٍ في غندوانا، وأبلغني أيضاً بموقع محطة لوراسيا للتحكم عن بُعدٍ التي اكتشفوها، وبعد عودتي، بحثت في قاعدة بيانات عملية قطع الاتصال، ووجدت أنَّهما محطتا نقل إشارات صغيرتان جدّاً، ولأنَّ الغرضَ منهما لم يكن واضحاً، لم ننشر إلَّا عدداً قليلاً من ذرَّات الألغام في معدات اتصالاتهما. زرعنا خمساً وثلاثين ذرَّةً في محطة غندوانا، وستّاً وعشرين ذرَّةً في محطة لوراسيا، ما أدى إلى قطعٍ إجمالي واحدٍ وستين سلكاً. ورغم أنَّ العددَ ليس كبيراً، فإنَّه كافٍ لتعطيل معدات نقل الإشارات في محطتَيِ التحكم عن بُعدٍ هاتين كليّاً".

– "ما مدةُ كلِّ عدٍّ تنازلي؟".

– "ثلاثة أيام، ستة وستون ساعة. يبدأ العد التنازلي لغندوانا ولوراسيا في وقتٍ واحدٍ تقريباً، إذ تصدُر إشارةُ الإبطالِ عموماً بعد اثنتين وعشرين ساعة من بدء العدِّ التنازلي. لقد مرت عشرون ساعة منذ العدِّ التنازلي، لا يزال أمامنا يومان".

قالت كاتشيكا: "لماذا يستغرق العدُّ التنازلي وقتاً طويلاً؟ أعتقدُ أنَّ ساعةً أو ساعتين أكثر منطقية. إذا شن أحد الطرفين ضربةً في بداية العدِّ التنازلي على الطرف الآخر خلال ثلاثة أيام، فسرعان ما يُصابُ بالشلل، ومن ثم قد يكون لديهم ما يقرب من ثلاثة أيام للتخلص من حاوية المادة المضادة الخاصة بكلٍّ منهما، وإعادةِ إطلاقِها إلى الفضاء".

قالت جويا: "ترتبط كلتا الحاويتين الكرويتين بإحكام بالمركبتين اللتين تضمانهما، وأي محاولة لفصلهما ستؤدي إلى إغلاق المَجال المغناطيسي المحبوس وتفجير المادة المضادة. ربما بعد بذل جهودٍ تستمر زمناً طويلاً، من الممكن فصل الحاوية عن السفينة وإطلاقها مرَّةً أخرى إلى الفضاء، لكنَّ يومين أو ثلاثة أيام لا تكفي. شرح لي داداس تفصيلاً سببَ هذا العدِّ التنازلي الطويل: إنَّ شريانَ الحياة للأرض مرتبطٌ بإشارةِ الإبطال هذه، ورغم جنون الديناصورات، فقد وجب أن تكون حذرةً للغاية. إذا تعذَّرَ إطلاقُ الإشارةِ لأسبابٍ غير متوقعة بخلاف هجمات العدو، فقد يتيح العدُّ التنازليُّ الأطولُ وقتاً للتعامل مع مثل هذه الحوادث. وفي الواقع، بالنسبة للحوادث المختلفة، كان أوَّلَ ما فكرت به الديناصورات هو تخريب النمل، وتحقَّقت مخاوفها".

قالت جولي: "إذا عرفنا المحتوى الدقيق لإشارة الإبطال، فبوسعنا بناء جهاز إرسال خاصٍّ بنا، ومقاطعةُ العدِّ التنازلي للقمر الساطع وإله البحر باستمرار".

- "المشكلة أنَّنا لا نعرف، ومن المستحيل أن نعرف! لم تطلعني الديناصورات على محتوى الإشارات، بل قالت إنَّها عبارة عن كلماتِ مرورٍ طويلة ومعقدة للغاية تتغير كلَّ مرَّة، وتُخزَّنُ خوارزمياتُها فقط في أجهزة كمبيوتر محطتَي التحكم عن بُعد. ولا أعتقد أنَّ هناك ديناصوراً يعرف ذلك الآن".

- "وهذا يعني أنَّ محطتَي التحكم عن بُعدٍ هاتين فقط هما القادرتان على إصدارِ إشارةِ الإبطال".

- "يبدو ذلك".

فكَّرت كاتشيكا سريعاً وقالت: "ما يمكننا فعله هو إصلاحهما في أسرع وقت ممكن".

(١٧)
معركةُ محطَّتَيِ الإشارات

تقع محطة الإشارات التابعة لإمبراطورية غندوانا حيثُ تُطلقُ إشارة الإبطال في أرضٍ قاحلة على مشارف مدينة الجلاميد. وهي مبنىً صغير أعلاه هوائياتٌ معقدة، لا يَلفتُ النظرَ مثل محطة الأرصاد الجوية. كان الأمن في محطة الإشارات متهاوناً للغاية، وتحرسُ المكانَ فصيلةٌ واحدةٌ من الديناصورات، ومهمتهم الأساسية منعُ الديناصورات المحلية المارة من الدخول دونَ قصد، ولم تقلق بشأن جواسيس العدو والمخربين. لأنَّه مقارنةً بغندوانا، كانت لوراسيا أكثرَ استعداداً لضمان سلامة هذا المكان. وفي الواقع احتجت لوراسيا مراراً وتكراراً أمام غندوانا، وطالبت بتعزيز الأمن في محطتيِ التحكم عن بُعد.

باستثناء الحراس، هناك خمسة ديناصورات فقط مسؤولة عن المهام اليومية لمحطة الإشارات؛ مهندس وثلاثة مشغلين وفني صيانة. وهم -مثل الحراس- لا علمَ لهم بغرض هذه المحطة.

توجد شاشة كبيرة في غرفة التحكم في المحطة، تعرض عدّاً تنازليّاً يبدأ من ٦٦ ساعة. لكنَّ العدَّ التنازلي لم ينخفض قطّ عن ٤٤ ساعة، وكلَّما وصل إلى هذا التوقيت (عادةً في الصباح)، ظهرت صورةُ الإمبراطور داداس على شاشةٍ فارغة أخرى، قائلاً عبارةً واحدةً فقط:

- "أعطِ أمراً بإطلاق الإشارة".

سيقف المشغِّلُ المناوب وقتها منتبهاً ويجيب: "نعم جلالتكم!" ثم يحرك الفأرة على وحدة التحكم وينقر زر "الإطلاق" على شاشة الكمبيوتر، فتُعرَضُ المعلوماتُ التالية على الشاشة الكبيرة:

- أُطلِقَت إشارةُ الإبطال
- تُلقيت إشارة استجابة ناجحة
- إعادة ضبط العدِّ التنازلي

ثم يظهر الرقم "٦٦:٠٠" مرَّةً أخرى على الشاشة ويبدأ التناقص.

يراقب الإمبراطور باهتمام كلَّ شيء على شاشةٍ أخرى، ولا يغادر إلَّا بعد إعادة ضبط العدِّ التنازلي، متنفساً الصعداء.

تكررت هذه العملية بدقة كلَّ يوم ولمدة عامين. أجرى الإمبراطور هذا الاتصال الهاتفي بمحطة الإشاراتِ في هذا الوقت يوميّاً، سواء أكان في القصر، أو في أثناء الدوريات، أو حتى في زياراته إلى لوراسيا، ولم يفوِّتْ يوماً من قبل. وهذا ما حيَّر الديناصورات العاملة في المحطة: إذا أراد الإمبراطور إرسال إشارات يوميّاً، فليشرح ببساطة، لماذا عليه إصدار الأمر بنفسه كلَّ يوم؟ (أُخبِرَ المشغلون أنَّه من المستحيل إرسال الإشارة من دون أمر الإمبراطور) وحتى المحطة لا تحتاج إلى هؤلاء المشغلين، سيؤدي جهاز إرسال بمؤقِّتٍ تلقائي المهمة. العدُّ التنازلي بدءاً من ٦٦ ساعة شديدُ الغموض أيضاً، ماذا يعني إذا وصل إلى نهايته؟ كلّ ما هم متيقّنون منه هو أنّ لهذه الإشارة أهميّة قصوى، وذلك ما يمكن ملاحظتُه في نظرة الإمبراطور عند إطلاقها. لكنَّ هذه الديناصورات العادية لم تكن لتتخيل أبداً أنَّ هذه الإشارة تؤخرُ حكمَ الموت على الأرض مرَّةً كل يوم.

في هذا اليوم، انقطعت الحياةُ السلمية التي استمرت عامين، وتعطل جهاز إرسال الإشارة. كانت محطة الإشارات مجهزةً بمعداتٍ موثوقة للغاية ونسخٍ احتياطية، وأن يتوقف الجهاز ويصيبه خلل، بما في ذلك نظام الدعم الاحتياطيِ ليس حتماً بسبب عوامل طبيعية أو عرضية. باشر المهندس والفنيون البحثَ

عن الخلل، واكتشفت الديناصورات العاملة فوراً عدَّةَ أسلاكٍ مقطوعة، أسلاكٌ لا يستطيع إلا توصيلها النمل. وحين سارعت بالاتصال برؤسائها وطلبت إرسالَ عمالٍ من النمل، اكتشفت أنَّ الهاتف معطَّل. واصلت البحث عن الخلل، وعثرت على المزيد من الأسلاك المقطوعة. حينها، كان توقيت إصدار الإمبراطور أمرَ إطلاقِ الإشارةِ قد اقترب، ولم تجد الديناصورات خياراً إلَّا توصيلها يدويّاً، لكنَّ مخالبها السميكة أعجزتها عن توصيل تلك الأسلاك الرفيعة، وسيطر القلق على الديناصورات الخمسة. ورغم انقطاع خط الهاتف، فإنَّها كانت على يقين أنَّه سيعمل قريباً، وأنَّ الإمبراطور سيظهر على تلك الشاشة بكل تأكيد حين يصل العد التنازلي إلى ٤٤ ساعة. على مدى العامين الماضيين، تحوَّلَ ظهور الإمبراطور في وعي الديناصورات إلى قاعدة ثابتةٍ مثل شروق الشمس. لكنِ اليوم، ورغم طلوع الشمس، لم يظهر الإمبراطور، وانخفض العد التنازلي إلى أقل من ٤٤ ساعة لأوَّلِ مرَّة، واستمر في الانخفاض بالسرعة الثابتة نفسها.

أدركت الديناصورات لاحقاً أنَّها لم تعد قادرة على الاعتماد على النمل، لأنَّه دمَّرَ جهازَ الإرسال. بدأت الديناصورات الهاربة من مدينة الجلاميد بالمرور من هنا، ومن الديناصورات المذعورة من هول الصدمة، علمت الديناصورات الموجودة في محطة الإشارات عن الوضع في العاصمة، وأنَّ النملَ قد دمَّرَ جميعَ آلات إمبراطورية الديناصورات بذرَّات الألغام، وأنَّ عالمَ الديناصورات أُصيبَ بالشلل.

لكنَّ الديناصورات العاملة في محطة الإشارات كانت مخلصة وتتحلَّى بالمسؤولية، واستمرت في محاولة توصيل الأسلاك المقطوعة. لكنَّها مهمة مستحيلة، إذ إنَّ مواقع معظم الأسلاك المقطوعة في الآلات لا يمكن لمخالب الديناصورات السميكة أن تصل إليها مطلقاً، والأسلاك القليلة المكشوفة تتقافز بين أصابعها الخرقاء ولا تتضامُّ.

فركَ فنيُّ الديناصورات عينيه المنهكتين وشتمَ قائلاً: "آه، هذا النمل اللعين!".

في هذه اللحظة اتسعت عينا المهندس، لقد رأى نملاً حقّاً! كان فريق صغير من نحو مئة نملة، يتقدم بسرعة على سطح الطاولة الأبيض لوحدة التحكم. هتفت النملة القائدة للديناصورات: "مرحباً، نحن هنا لمساعدتكم في إصلاح الآلات! نحن هنا لمساعدتك في توصيل الأسلاك!! لقد جئنا...".

لم تُشغِّلِ الديناصورات جهازَ ترجمة الفيرمونات وقتها، فلم تتمكن من سماع النملة. في الواقع، حتى إن سمعتَها فلن تصدِّقها، إذ استحوذت عليها الكراهية تجاه النّمل. سحقت الديناصورات وقرصت بمخالبها موقع النمل على وحدة التحكم، وغمغمت وهي تصر بأسنانها: "حتى تنشروا ذرَّات الألغام! حتى تتلفوا الآلات...". وسرعان ما ظهرت بقعةٌ صغيرة على السطح الأبيض، وسُحِق النمل كله.

- "أيَّتُها القنصل الأعلى، أُبلغكِ أنَّ الديناصورات في محطة الإشارات هاجمت فريق الصيانة، وسُحِق أعلى وحدة التحكم!" قالت نملة هربت بأعجوبة من المحطة لكاتشيكا، التي كانت تحت عشبٍ صغيرٍ على بُعدِ خمسين متراً، ومعظم قيادات اتحاد النمل حاضرة.

- "لنرسل فريقَ صيانةٍ أكبر".

- "واو، النمل!" صرخ حارس ديناصور يقف على عتبة باب محطة الإشارات. وجذب صوته عديداً من جنود الديناصورات الآخرين وملازماً مسؤولاً عنها. رأوا مستعمرةَ نملٍ تندفع على الدرج، تبدو أربعة آلاف أو خمسة، تشبه قطعةَ حريرٍ أسود تنزلق ببطء. زحفت عدَّةُ نملات خارج المجموعة، ولوَّحت بقرون استشعارها إلى الديناصورات، كما لو أنَّها تصيح بأمرٍ لها.

صاح ملازم الديناصور: "أحضر مكنسة!" وعلى الفور أحضر جندي مكنسة كبيرة. التقطها الملازم وكنس مستعمرةَ النمل بقوةٍ عدَّةَ مرَّاتٍ كما لو أنَّه يكنسُ كتلةَ غبارٍ أسود، وطيّرها مع الغبارِ المتناثر.

قالت جويا: "أيتها القنصل، علينا أن نعثر على طريقة للتواصل مع الديناصورات في محطة الإشارات، فنشرح لها نوايانا!".

- "كيف نتواصل؟ إنَّها لا تستمع إلينا ولا تشغِّل حتى جهازَ الترجمة".

اقترحت نملة: "هل يمكن أن نجرِّبَ الاتصالَ الهاتفي؟".

- "حاولت قَبلاً. لقد تعطل نظام الاتصال عند الديناصورات بالكامل، وانقطع تماماً عن شبكة الهاتف عند اتحاد النمل، ولا يمكن الوصول إلى الهاتف على الإطلاق".

قالت جولي: "لا بُدَّ أنَّكم تعرفون مهارةَ النمل القديمة. في سالف الزمان، قبل العصر البخاري، استخدم أسلافنا جيشاً لتركيب جملٍ من الكلمات والتواصل مع الديناصورات".

تنهدت كاتشيكا وقالت: "ما فائدة إخبارنا بذلك؟ لقد فقدنا هذه المهارة".

- "كلّا، بمقدور الوحدة التي أقودها الآن تركيب الكلمات، وأردتُ تدريبها على هذه المهارة لتتذكرَ الجنديات أمجادَ أسلافهن، ويختبرنَ الروحَ الجماعية لعالم النمل. أردتُ مفاجأةَ الجميع في العرض العسكري هذا العام، لكن يبدو أنَّ بمقدورنا استخدامها الآن".

- "كم عدد القوات المُجمَّعة هنا الآن؟".

- "عشر فرق، نحو مئة وخمسين ألفَ نملة".

- "كم عدد الكلمات التي يمكن تركيبها؟".

- "حسب حجم الكلمات. لكي تتمكن الديناصورات من الرؤية بوضوح من مسافة بعيدة، لا بُدَّ ألّا تتجاوز اثنتي عشرةَ كلمة".

فكرت كاتشيكا للحظة وقالت: "حسنٌ، لنشكِّل الجمل التالية: لقد جئنا لمساعدتكم في إصلاح جهاز الإرسال، هذا الجهاز يمكن أن ينقذ العالم".

تمتمت جويا: "هذا ليس واضحاً بما يكفي".

- "ما الحل؟ إنَّها أكثرُ من اثنتي عشرةَ كلمة! فلنجرِّبها، أفضل من الانتظار".

*

- "عاد النمل مجدداً! عددٌ أكبر هذه المرة!".

أمام محطة الإشارات، رأى جنود الديناصورات تشكيلَ نملٍ يقترب، يشغل مساحة ثلاثة أو أربعة أمتار مربعة، وكانت ترتفع وتهبط مع الأرض المتعرجة مثل علمٍ أسود يرفرف.

- "هل سيهاجموننا؟".

- "لا أعتقد، هذا التشكيل غريب جدّاً".

اقترب تشكيل النمل تدريجيّاً، وهتف ديناصور حاد النظر: "واو، إنَّها كلمات!".

قرأها ديناصور آخر كلمة كلمة: لقد - جئنا - لمساعدتكم - في - إصلاح - جهاز - الإرسال - هذا - الجهاز - يمكن - أن - ينقذ - العالم.

هتف ديناصور بإعجاب: "سمعت أنَّ النمل في العصور القديمة تواصلَ مع أجدادنا بهذه الطريقة، والآن رأيتها بعيني!".

لوَّحَ الملازم بمخلبه قائلاً: "هراء! لا تخدعكَ حِيَلُه. اذهب وعبِّئ كل الماء الساخن في سخان الماء في طسوتٍ وأحضرها".

قال رقيب بحذر: "أيها الملازم، ألا تعتقد أنَّه يجب أن نتحدث معه؟ ربما يريد إصلاح جهاز الإرسال حقّاً، كما أنَّ المهندس والآخرين بالداخل بحاجة ماسة إلى مساعدة فنيي النمل".

بدأ جنود الديناصورات الثرثرة وقالوا: "كلامهم غريب جدّاً، كيف يمكن لهذا الجهاز أن ينقذ العالم؟" ."عالم من؟ عالمنا أم عالمهم؟" ."لا بُدَّ أنَّ الإشارات التي يرسلها هذا الجهاز مهمة جدّاً" ."أجل، لماذا يصدر الإمبراطور أمراً كلَّ يوم؟".

وبَّخهم الملازم: "أغبياء! هل ما زلتم تصدقون النملَ حتى الآن؟ لقد دمَّرَ الإمبراطوريةَ بسبب سذاجتنا! هذه هي أحقر وأخبث الحشرات على وجه الأرض، ولن نسمح بخداعنا مرة أخرى! بسرعة، أحضروا الماء الساخن!".

سارعَ جنود الديناصورات بإحضار خمسةِ طسوتٍ كبيرة من الماء الساخن، حمل كلُّ واحدٍ طستاً، وسارت في صف نحو تشكيل النمل، وسكبت الماء معاً. تطاير رذاذ الماء الساخن فيما انبعث البخار، وجُرفت الكتابة اليدوية السوداء على الأرض، ومات معظم النمل حرقاً.

قالت كاتشيكا، وهي تنظر إلى البخار المتصاعد بعيداً: "أصبح من المستحيل التواصل مع الديناصورات. الخيار الوحيد الآن هو الهجوم والاستيلاء على محطة الإشارات بالقوة، وإصلاح الجهاز، وسنرسلُ إشارةَ الإبطالِ بأنفسنا".

حدَّقت جولي إلى كاتشيكا كما لو أنَّها لا تعرفها: "النمل يهاجم مباني الديناصورات؟ هذا جنون من الناحية العسكرية!".

- "لا خيار آخر أمامنا، هذا عالم مجنون بالفعل. إنَّ المبنى صغير نسبيّاً ومعزول، ولن يتلقى تعزيزات خلال فترة قصيرة، ولو حشدنا أقصى ما استطعنا من قوات، فبوسعنا الاستيلاء عليه".

*

- "ما هذا البادي من بعيد؟ تبدو مثل مشَّايات نملٍ فائقة".

رفع الملازم منظاره عند سماع هتاف الحارس، ورأى صفّاً طويلاً من الأجسام السوداء يتحرك في الأرض القاحلة البعيدة. وبعد نظرةٍ فاحصة، تأكدت ملاحظة الحارس. وسائل نقل النمل شديدة الصغر عموماً، ولكن نظراً للاحتياجات العسكرية الخاصة، ابتكرَ مركبات كبيرة جدّاً مقارنة بأجسامه، وهي المشَّايات الفائقة. يبلغ حجم كل مركبةٍ من هذه المركبات حجم دراجاتنا ثلاثية العجلات، وهي بلا شك عملاقة في أعين النمل، مثلما

تبدو سفن الشحن العملاقة التي يبلغ وزنها عشرة آلاف طن عملاقة في أعيننا. ولا تحتوي المشَّايات الفائقة على عجلات، بل ست أرجل ميكانيكية تحاكي مشيَ النمل، وذلك يمكِّنُها من اجتياز التضاريس المعقدة بسرعة. يمكن لكلِّ مشَّايةٍ فائقة أن تحمل مئات الآلاف من النمل.

أمر الملازم: "أطلق النار، أطلق النار على تلك المركبات!" استخدم جنود الديناصورات مدفعهم الرشاش الوحيد لإطلاق النار على المشَّايات البعيدة، وأثار الرصاص أعمدة ترابية على الأرض، كما تحطمت إحدى القوائم الأمامية للمشَّاية التي تسيرُ في المقدمة، وانقلبت على الأرض، بينما استمرت الأرجل الميكانيكية الخمس المتبقية في التلويح في الهواء. اندفعت كراتٌ سوداء كثيرة من صندوق المركبة حين فُتِحَ الغطاءُ الجانبي، كلٌّ منها بحجم كرة القدم عندنا، كانت عبارة عن كتلٍ من النمل! تدحرجت هذه الكراتُ السوداء على الأرض وتناثرت بسرعة، مثل حبيبات قهوة تذوب في الماء. وأصيبت مشَّايتان أخريان وتوقفتا. ولم يقتل الرصاص الذي اخترقَ هياكلها نملاً كثيراً، وتدحرج مزيدٌ من كتل النمل السوداء إلى الأرض.

قال جندي ديناصور: "آه لو كان لدينا مدفع!".

- "أجل، وقنابل يدوية كذلك".

- "قاذفات اللهب هي الأشد فعالية".

ألقى الملازم المنظار وأشار أمامه قائلاً: "يكفي، توقفوا عن الثرثرة الفارغة وأحصوا عدد المشَّايات!".

- "يا إلهي، إنها مائتان أو ثلاثمئة".

- أعتقد أنَّ جميع المشَّايات الفائقة التابعة لاتحاد النمل في غندوانا في طريقها إلى هنا.

ردَّ الملازم: "وهذا يعني أنَّ مئات الملايين من النمل ستتجمع هنا! من المؤكد أنَّه سيهاجمُ محطةَ الإشارات".

- "أيها الملازم، دعنا نسرع وندمِّر عربات الحشرات تلك".

- "لا فائدة، مدافعنا الآلية وبنادقنا لن تفتك بها".

- "لا يزال لدينا وقود المولدات، لنحرقه!".

هزَّ الملازم رأسه بهدوء وقال: "لن يقضي إلَّا على جزء منه. مهمتنا الأساسية هي حماية محطة الإشارات. الآن، استمع إلى ترتيباتي...".

*

- "أيتها القنصل، أيتها المارشال، أفادت طائرات استطلاع القوات الجوية، أنَّ الديناصورات تحفر خندقين في مركزهما محطة الإشارات، وتوجه المياه من مجرىً مجاور لملء الخندق الخارجي، كما أخرجت عدَّةَ براميل كبيرة لصبّ البنزين في الخندق الداخلي".

- "لنشُنَّ هجوماً على الفور".

بدأت مستعمرة النمل بالتحرك نحو محطة الإشارات في كتلٍ سوداء كثيفة، كأنَّ السحب في السماء ألقت بظلالها على الأرض، وارتعشت الديناصورات في المحطة خوفاً من المشهد.

وصلت طليعة مستعمرة النمل إلى الخندق الأول الذي امتلأ بالمياه، ولم يتوقف الصف الأول منها وزحف مباشرة إلى الماء. ثم تقدم بقية النمل خلف الطليعة في الماء قليلاً زاحفاً على أجسامها، وسرعان ما تشكَّلت طبقة سوداء سميكة عائمة على سطح الماء، وانتشرت في الجانب الداخلي للخندق.

اعتمر جميع جنود الديناصورات خوذات محكمة الإغلاق لمنع النمل من الدخول إلى أجسامها، واستخدمت مجارف لسكب التربة على النمل داخل خنادق المياه، وسكبت طسوتاً كبيرة من الماء الساخن، لكن بلا فائدة، إذ سرعان ما غطت الطبقة السوداء العائمة سطح المياه، وتدفقت أسراب

النمل أعلاها مثل فيضان أسود. أُجبرت الديناصورات على التراجع إلى الخندق الثاني وإشعال الوقود، فحاصرت نيرانٌ مستعرةٌ محطة الإشارات.

بعد وصول مستعمرة النمل إلى الخندق المحترق، تراكم بعضه فوق بعض وشكّل سدّاً. أطلقت الديناصورات النارَ على النمل، واخترقه الرصاص من دون صوتٍ كما لو أنه يخترق كومة رمل سوداء. كما ألقت حجارة على السد، فأصدرت صوتاً مكتوماً، وأحدثت فجوة، لكنها سرعان ما رُدمت. استمر سد النمل في الارتفاع ووصل إلى أكثر من مترين، مشكلاً جداراً أسود عند حافة الخندق. بدأ سد النمل بأكمله يتحرك نحو الخندق، وتلوى سطحه في النيران كأفعى كبيرة سوداء. وانبعث من سطح سد النمل الذي أحرقه اللهب دخان، وامتلأ الهواء برائحة احتراق نفّاذة. وتساقط النمل المتفحم من سطح السد إلى الخندق المحترق، وشكّل نيراناً خضراء غريبة على حافته. كان سطح سد النمل يُستبدَلُ باستمرار بطبقة نمل جديدة، وظلّ قائماً بثبات على الحافة. وحينها صعد عددٌ كبيرٌ من النمل من الجانب الآخر للسد، وشكّل كراتٍ سوداء كبيرة، بحجم تلك التي تدحرجت من المشّاية الفائقة قبل ساعة. واحتوت كلّ كرةٍ على فرقة من قوات النمل. ثم تدحرجت هذه الكرات من أعلى السد، وقد اجتاحت النار بعضها، لكن معظمها وصل بزخمه مجتازاً النيران إلى الجانب الآخر. تفحمت الطبقات الخارجية لكرات النمل في أثناء عبورها النيران المستعرة، لكن عدد النمل المهول ظلّ متشبثاً بعضه ببعض، وشكّل غلافاً محترقاً لحماية النمل في الداخل. وسرعان ما وصل عدد الكرات المتدحرجة إلى الضفة المقابلة إلى أكثر من ألف، وتشققت أغلفتها المحترقة. تفككت الكرات إلى مستعمرات نملٍ، وصعدت سلالم محطة الإشارات في كتلٍ سوداء.

انهارت أعصابُ جنود الديناصورات الذين يحرسون محطةَ الإشارات. ورغم عرقلة الملازم لها، فإنّها اندفعت خارج الباب، واتجهت خلف المبنى، وركضت بهياج على طول ممرٍّ خالٍ لم تصل إليه مستعمرة النمل.

احتشدت المستعمرة في الجزء السفلي من محطة الإشارات، ثم صعدت الدرج ودخلت غرفة التحكم. كما تسلقت أيضاً في الوقت ذاته مجموعاتٌ جدارَ المبنى الخارجي، ودخلت عبر النافذة. وفي لحظةٍ تحول النصف السفلي من المبنى إلى اللون الأسود.

في غرفة التحكم ستة ديناصورات، الملازم والمهندس وفني صيانة وثلاثة مشغلين. شاهدت مذعورةً النمل يدخل الغرفة من الأبواب والنوافذ ومن جميعِ الشقوق، كأنَّ المبنى بأكمله غرق في بحر من النمل، ومياهه السوداء تتسرب من جميعِ الجهات. نظرت من النافذة وأدركت وجودَ هذا البحر. وعلى مدِّ البصر، غطَّت الأرضَ مستعمراتُ النمل السوداء، وأصبحت المحطة مجردَ جزيرةٍ في بحر النمل هذا.

وسرعان ما غمرت المستعمرة معظم أرضية غرفة التحكم، تاركةً دائرةً فارغة أمام وحدة التحكم، حيث وقفت الديناصورات الستة. أخرج المهندس جهازاً بعجالة، وسمع صوتاً فورَ تشغيله:

- "أنا القنصل الأعلى لاتحاد النمل، لم يعد لدينا الوقت لأشرحَ لكَ كلَّ شيءٍ بالتفصيل. كل ما تحتاجون إلى معرفته، أنَّه إذا لم تتمكَّن محطةُ الإشارات من إرسال الإشارة خلالَ عشر دقائق، فستُدَمَّرُ الأرض".

نظر المهندس حوله إلى كتل النمل السوداء. باتباع مؤشر التوجيهات على الجهاز، رأى ثلاث نملات على وحدة التحكم، وكان الكلام صادراً من إحداها. هزَّ رأسه للنملات الثلاث وقال:

- "جهاز الإرسال مكسور".

- "لقد استطاع فنيونا توصيل جميع الأسلاك المقطوعة وإصلاح الجهاز. يرجى تشغيله على الفور وإرسال الإشارة".

فهزَّ المهندس رأسه مرة أخرى وقال: "لقد انقطعت الكهرباء".

- "ليس لديكم مولد احتياطي؟".

- "لدينا، نستخدم مولدات البنزين لتوفير الكهرباء منذ انقطاع التيار الكهربائي الخارجي، والآن نفد البنزين. سكبناه في الخندق بالخارج وأشعلناه".

- "نفد بالكامل؟".

تولى الملازم المحادثة وقال: "عن آخره. أراد الجنود آنذاك حراسةَ المحطة، فاستهلكنا كلَّ الوقود في خزان وقود المولدات".

- "إذن اخرجوا واجمعوا ما تبقى في الخندق".

نظر الملازم من النافذة ورأى أنَّ النيران في الخندق تخمد. فتح خزانة أسفل وحدة التحكم، وأخرج دلواً معدنيّاً صغيراً. فسحت مستعمرة النمل الطريق وحين سار الملازم إلى الباب استدار وسأل: "هل سيُدَمَّرُ العالمُ حقّاً خلالَ عشر دقائق؟".

أذاع جهاز الترجمة إجابة كاتشيكا: "أجل، إذا لم تتمكن من إرسال الإشارة".

استدار الملازم ونزل على الدَّرج، لكنَّه عاد سريعاً. وضع الدلوَ الصغير على الأرض، وزحفت كاتشيكا وجولي وجويا إلى حافة وحدة التحكم ونظرنَ إلى الأسفل. لم يكن في الدلو بنزين، نصفه فقط مملوء بطين ممزوج بجثث النمل المحروقة، ويفوح برائحة بنزين".

قال الملازم: "لقد احترق البنزين في الخندق".

نظرت كاتشيكا من النافذة ورأت أنَّ الحريق قد خمد، ما أكدَّ كلامَ الملازم. استدارت وسألت جولي: "كم بقي من الوقت في العد التنازلي؟".

ردَّت جولي والتي كانت تنظر إلى ساعتها طوال الوقت: "خمس دقائق وثلاثون ثانية أيتها القنصل".

قالت جويا: "تلقيت للتو مكالمةً هاتفية، فشلت قواتنا في لوراسيا. فجَّرَت الديناصورات محطة الإشارات في أثناء هجوم جيش النمل، ولم

يعد من الممكن إرسال إشارة الإبطال إلى القمر الساطع، وستنفجرُ خلالَ خمس دقائق".

قالت جولي بهدوء: "ينطبق الأمر نفسه على إله البحر، أيَّتُها القنصل، انتهى كلُّ شيء".

لم تفهم الديناصورات أيّاً مما قالته كبيرات قادة اتحاد النمل الثلاث، قال المهندس: "يمكننا الحصول على وقود من مكان قريب، هناك قرية تبعد خمسة كيلومترات، لكنَّ الطرق السريعة مسدودة، فلا يسعنا إلَّا الذهاب ركضاً، وإذا أسرعنا، سنعود خلال عشرين دقيقة".

ولوَّحت كاتشيكا بقَرْنَيِ استشعارها بضعف وقالت: "اذهبوا، اذهبوا جميعاً، اذهبوا حيثما أردتم".

بينما أسرعت الديناصورات الستة إلى الخارج، توقف المهندس عند الباب وسأل السؤال الذي طرحه الملازم للتو: "هل ستُدَمَّرُ الأرضُ حقّاً خلالَ بضع دقائق؟".

ارتسم شبه ابتسامة على وجه القنصل الأعلى وقالت: "أيها المهندس، كلُّ شيءٍ مآله الفناء".

قال المهندس: "آه، إنَّها المرة الأولى التي أسمع فيها النمل يقول مثل هذه الأشياء الفلسفية". ثم استدار وغادر.

زحفت كاتشيكا إلى حافة وحدة التحكم مجدداً، وقالت لكتلة جيش النمل السوداء على الأرض: انقلنَّ تعليماتي إلى الجيش بأكمله فوراً: لتحتم القوات القريبة من محطة الإشارات على الفور في الطابق السفلي من هذا المبنى، وعلى القوات الأبعد البحث عن الثغرات والفجوات والاختباء داخلها. كلمة اتحاد النمل الأخيرة لجميع المواطنين: "حلَّت نهايةُ العالم، اعتنوا بأنفسكم".

قالت جويا: "أيتها القنصل، أيتها المارشال، لنذهب إلى الطابق السفلي معاً!".

- "لا، اذهبي بسرعة يا دكتورة. لقد ارتكبنا الخطأَ الأعظم في تاريخ الحضارة، لا حقَّ لنا في العيش".

قالت جولي: "نعم يا دكتورة، رغم أنَّ الأمر غير محتمل، آمل أن تتمكني من الحفاظ على شرارة الحضارة".

لمست جويا بقَرْنَيِ استشعارها، قرونَ استشعار كاتشيكا وجولي، وهو أعلى آداب الاحترام في عالم النمل. ثم استدارت وانضمت إلى المستعمرة التي تغادر غرفةَ التحكم بسرعة.

ساد الهدوءُ غرفةَ التحكم بعد رحيل الجيش، وزحفت كاتشيكا إلى النافذة، وتبعتها جولي. وحين وصلتا إلى حافتها، رأت النملتان مشهداً عجيباً: في هذه اللحظة، كان الليل على وشك الزوال، وظهر هلالٌ في السماء. فجأةً تغيرت زاويةُ الهلال، واشتدَّ سطوعه بحدةٍ، حتى تحول ضوؤه الفضي إلى قوسٍ كهربائي باهر، أضاءَ كلَّ شيءٍ على الأرض، بما في ذلك مستعمرة النمل المغادرة.

سألت جولي بفضول: "ماذا يحدث هنا؟ هل زاد سطوع الشمس؟".

- "لا أيتها المارشال، ظهرت شمسٌ جديدة، والقمرُ يعكس نورها. لقد ظهرت في لوراسيا، وهي تحرقُ القارةَ الآن".

- "ستظهر شمسٌ في غندوانا أيضاً".

- "أَليسَت هذه؟ ها قد بدأنا".

أشرقَ ضوءٌ أشدّ سطوعاً من الغرب، سرعان ما طغى على كلِّ شيء. شاهدت النملتان قبل أن تُبَددَهما الحرارة المرتفعة، شمساً ساطعةً تشرق بسرعة من الأفق الغربي، وتتضخَّمُ إلى أن احتلت في النهاية نصفَ السماء، واحترق كلُّ شيءٍ على الأرض في لحظة. يقع الساحل الذي حدث فيه إفناء المادة المضادة على بعد آلاف الكيلومترات، واستغرقت موجة الصدمة دقائقَ للوصول، ولكن قبل ذلك، كان كلُّ شيءٍ قد انتهى بالفعل واشتعلت فيه النيران.

وكان هذا اليومَ الأخيرَ من العصرِ الطباشيري.

(١٨)

الخاتمة: الليلُ الطويل

مكتبة
t.me/soramnqraa

استمرَّ الشتاءُ البارد ثلاثةَ آلاف سنة.

في ظهيرة أكثر دفئاً قليلاً في وسط غندوانا، زحفت نملتان من الأعشاش العميقة إلى سطح الأرض. كانت الشمس مجردَ هالةٍ ضبابيةٍ في السماء الرمادية الباهتة، والأرض مغطاة بطبقةٍ سميكةٍ من الجليد والثلوج، تظهر أحيانًا من بينها صخرةٌ سوادها لافتٌ للنظر. وبعيداً في الأفق، كانت الجبال، أيضاً، بيضاء.

استدارت النملة "أ" ونظرت إلى هيكل عظمي ضخم، تنتشر مثله هياكلُ كثيرة على الأرض، وتصعب رؤيتها من مسافةٍ بعيدةٍ لأنَّها بيضاء وممتزجة بالثلج. ولكن من هذه الناحية، تبدو لافتة للنظر على نحو خاص في مواجهة السماء. "سمعت أنَّ هذا الحيوان يسمى ديناصوراً". قالت النملة أ.

استدارت النملة "ب" وحدَّقت في الهيكل العظمي في السماء أيضاً وقالت: "هل استمعت إليهم يتحدثون عن أسطورة العصر السحري الليلة الماضية؟".

- "أجل، قالوا إنَّه منذ آلاف السنين، تمتَّع النمل بعصرٍ ذهبي".

- "نعم قالوا إنَّ النمل وقتها عاش في مدنٍ كبيرة على سطح الأرض عوضاً عن الأعشاش تحت الأرض. ولم يتكاثر من الأنثى الملكة. لا بُدَّ أنَّه كان حقّاً عصراً سحريّاً".

- "تقول الأسطورة إنَّ النمل والديناصورات خلقا العصرَ السحري معاً، إذ افتقرت الديناصورات إلى الأيدي المرنة، وأدَّى لها النملُ الأعمالَ التي تتطلب مهارة. افتقر النملُ إلى العقل الذكي، لذا ابتكرت الديناصورات تقنياتٍ سحرية".

- "في ذلك العصر السحري، ابتكرَ النملُ والديناصورات العديدَ من الآلات الكبيرة، وبنيا عديداً من المدن الكبيرة، وامتلكا قوىً شبهَ إلهية".

- "هل فهمت الجزءَ المتعلق بدمار ذلك العالم؟".

- "ليس تماماً، يبدو الأمرُ معقَّداً للغاية: اندلعت حربٌ في عالم الديناصورات، واندلعت حربٌ بين النمل والديناصورات أيضاً... وفيما بعد ظهرت شمسان على الأرض".

ارتجفت النملة "أ" في الريح الباردة وقالت: "أوه، لو طلعت شمسٌ جديدةٌ الآن".

- "أنتِ لا تفهمين! كانت هاتان الشمسان فظيعتين، أحرقتا كلَّ شيءٍ على الأرض".

- "لماذا يشتدُّ البردُ الآن إذن؟".

- "الأمر معقد للغاية ويبدو كالتالي: بعد فترةٍ من ظهور هاتين الشمسين، كان العالم حارّاً جدّاً بالفعل، وقيل إنَّ أجزاء الأرض القريبة من الشمسين ذابت وتحولت إلى حمَم! ثم تساقطت مياه البحر التي بخَّرتها الشمسان في أمطارٍ لأكثر من مئة عام، محدثة فيضانات في جميع أنحاء الكوكب. لاحقًا، حجب الغبار الناتج عن الانفجار الشمسي ضوءَ الشمس القديمة، وأصبح العالمُ بارداً، أشدَّ برودة ممَّا كان قبل ظهور الشمسين، تماماً كما هو الحال الآن. كانت الديناصورات ضخمةً إلى درجة أنَّها انقرضت بطبيعة الحال خلال تلك الحقبة الفظيعة، لكن بعض النمل نجا بالزحف تحت الأرض".

- "ألا يزال بإمكان النمل إحياء العصر السحري؟".

- "يقولون إنَّه أمرٌ مستحيل، فكفاءةُ أدمغتنا صغيرةٌ جدّاً، ولا نستطيع التفكير إلّا ضمن مجموعة، لذا ليس بوسعنا اختراع تقنيات خارقة، حتى إنَّنا نسينا التقنياتِ القديمةَ تماماً".

- "أجل، سمعت أنَّ النملَ كان قادراً على القراءة منذ وقت ليس بعيداً. أمَّا في الوقت الحاضر، فلم يعد بمقدورنا تمييز الكلمات، ولا يستطيع أحد قراءة تلك الكتب الباقية من العصور القديمة".

- "إننا نتردَّى، وإذا ظللنا على هذا المنوال، فسنتحوَّلُ عمَّا قريب إلى حشراتٍ صغيرة لا تعرف شيئًا غير بناء الأعشاش والبحث عن الغذاء".

- "ما الخطأ في ذلك؟ الجهلُ نعمةٌ في أوقاتٍ صعبةٍ كهذه".

- "وهذا صحيح أيضاً".

*

- "هل سيأتي يوم ويصبح العالم دافئاً مجدداً وتَخلقُ حيواناتٌ أخرى عصراً سحريّاً؟".

- "ممكن، أعتقد أنَّ هذه الحيوانات يجب أن تتمتع بعقل كبير ويدين مرنتين".

- "أجل، لا يمكن أن تكون بحجم الديناصورات، ستأكلُ كثيراً وستصبح معيشتُها شاقة".

- "ولا يمكن أن تكون صغيرةً مثلنا، فأدمغتنا ليست كبيرةً بما يكفي".

- "أوه، هل سيظهرُ هذا الحيوانُ السحري؟".

- "أعتقدُ ذلك. الزمنُ لا نهائي، كلُّ شيءٍ سيظهرُ في نهايةِ المطاف، ثقي بي، كلُّ شيءٍ سيظهر".

مكتبة
t.me/soramnqraa

يارا المصري

مترجمة مصرية، درست اللغة الصينية في كلية الألسن جامعة عين شمس في القاهرة، وفي جامعة شاندونغ للمعلمين في مدينة جينان بالصين. نشرت قصصاً ونصوصاً شعرية ودراسات مترجمة عن اللغة الصينية إلى اللغة العربية، في مجلات وصحف منها: مجلة العربي، جريدة الأهرام، الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد، أخبار الأدب، وغيرها من الدوريات الثقافية العربية. وصدر لها إلى الآن ١٣ عملاً مترجماً.

عن النمل والديناصورات

ليو تسي شين

يتحدَّثُ الكاتبُ ليو تسي شين عن أواخرِ العصر الطباشيري، أي قبلَ ملايين السنين، في قصةٍ تبدو في ظاهرها عن النملِ والديناصورات، وعن خلقِهما لحضارتين مزدهرتين، ويصفُ الفكرةَ بجديَّة، مستخدماً الجنسين كاستعارتين ربما لما حدث في الماضي من خَلْقٍ وازدهارٍ وانهيارٍ لحضاراتٍ بأكملِها.

إنَّ القصة عن ذكاء الكائنات الذي يخلقُ الحضارة، ممَّا يعني أنَّ هذا الذكاءَ قوةٌ على الأرض، لكنه في الوقتِ ذاته، قد يكون هشاشةً تقضي على كلِّ شيء. وإن كانت الفكرةُ في ظاهرِها بسيطة، إلَّا أنَّ الكاتبَ سردَها بطريقةٍ ذكيةٍ، مرحةٍ، مثيرةٍ للتفكيرِ والتأمُّل، إذا ما أردنا أن نحلّقَ بأفكارِنا وراءَ الحكاية، التي يسألُ فيها الكاتب أو يثيرُ سؤالَ الحضارةِ والحرب.

المترجمة

مكتبة
t.me/soramnqraa

9 789921 712841